1029
١٠٢٩
Harlequin
سلسلة قصص و روايات عبير
دار النحاس

رجل نزيه

جسيكا مارشانت

www.rewity.com

رجل نزيه

جسيكا مارتشانت

جاء الغضب لينتشلها من حالة الذهول.

«لقد قلت إنك ستقتلني.» قالت سالي.

«قلت ذلك، فقط... كل ما فعلته هو أنني أوقفت صراخك.» زمجر كيمب: «وربما انقذتك مما هو أسوأ، فطيور البوم الحاضنة تصبح خطرة مثل الصقور. وقد اعتذرت لك عن ذلك، وسأردد لك اعتذاري الآن، إني آسف.»

«لا حاجة بك إلى الصراخ!» اتكأت سالي على السرير، وهي تشعر بالتفوق عليه وقالت: «لا يبدو عليك الأسف.»

«لو لم تكوني، ايتها الصغيرة، أكثر من يصيبني بالجنون...» قطع حديثه واقترب منها ثم تراخى جالساً على السرير. لم تعرف سالي كيف سمحت له. كان يجب أن تقاوم، أن تصرخ وأن تطرده. كل ما فعلته، أنها انتظرت مسحورة، من دون حراك، فيما كان يهم بعناقها.

ماذا فعلت كي تبتلى بهذا الرجل؟

أُرسلت سالي بنيدكت، مسؤولة الاعلانات المبدعة، إلى سويسرا كي تسوق برنامجاً سياحياً جديداً. لم يكن عندها أية فكرة بأنها ستواجه أمثال كيمب ريتيكر.

اتخذ كيمب، المنتج السينمائي ومقدم برامج متلفزة والمحب للطبيعة وفارس أحلام النساء، موقفاً عدائياً على الفور، من سالي، ورفض كل ما تمثله.

أدركت سالي أن عليها أن تقوم بأي عمل، كي تجعله يتفهم وجهة نظرها... لأن الاستمرار في عملها يتوقف على ذلك. باستثناء عمل واحد، أقسمت على أن لا تلجأ إليه. لن ينتهي بها الأمر إلى أن تصبح واحدة من المعجبات به... وترضخ لنزواته ورغباته...

الفصل الأول

«توقفي عن ذلك وإلا قتلتك.»

رنّت هذه الكلمات في أذني سالي بهمس وحشي، ولكي يضمن المتكلّم توقفها عن فعل ما ظن مهاجمها أنها تفعل، أطبق يده على فمها وثبت ذراعيها إلى جانبي سترتها الرياضية الليمونية اللون، وجذبها للخلف نحوه. أما سالي، فقد أعجزها أن تكون مشدودة إلى جسد بدا وكأنه كان مقدوداً من الفولاذ الحار.

كان شعرها الكستنائي قد تناثر على عينيها، فحاولت أن تحدّق من خلال خصلاته إلى الظلمة المقمرة تحت الأشجار، وأن تجد أجوبة على تساؤلاتها، من أين جاء؟ ولماذا كان غاضباً عليها كهذا؟ ثم ما هو الأمر الذي فعلته؟

وعلى أي حال، لماذا كانت تضيع اللحظات الثمينة المتبقية لها على قيد الحياة بتلك الطريقة، خاصة بعد أن ظهر لها جنونه واضحاً؟ وإذ وثبت إلى مخيلتها الصحف وما ستكتبه عنها في خطوطها العريضة، وإذ لم يرق لها أن يقرأ عنها الناس جملاً مثل: «جريمة قتل أخرى دافعها الهوس. العثور على مديرة اعلانات مقتولة في غابة سويسرية. أو فتاة انكليزية في السادسة والعشرين تختفي في جبال الألب.»

حاولت أن تتكلم: «هل لك أن... هل لك أن...»

تملصت منه بعد أن قاومت ذعرها الذي تنامى، خاصة عندما لم تتبين في كلماتها سوى حشرجة مكبوتة بتلك اليد التي كانت تطبق على فمها بلا هوادة.

قال لها بوضوح وحدة: «لم أكن أريدك أن تكوني هنا مطلقاً، وكنت سأدعك تعرين لو لم تبدئي مواءك الملعون هذا.»

نعم، لقد كان حقاً مجنوناً، فغناؤها ربما لم يكن عذباً، لكنه لم يكن سيئاً إلى درجة تستحق عليه حكم الموت. إنها كانت فقط تحاول الترويح عن نفسها بعد أن خيم الظلام، وأصبحت الطريق وعرة مما منعها من متابعة الهرولة، وبعد أن أصبحت مضطرة إلى الابطاء، أخذت تستغل الفائض من طاقتها لكي تغني: «كل ما أحتاج إليه هو غرفة في مكان ما.» متذكرة أنه كان لها غرفة في فندق سيدرج منذ قريب وبفضل جهودها، في ليل كينغفيشر السياحي.

أما الآن فهي قد لا تعيش حتى ترى ذلك كله. وبسرعة، غيّرت تفكيرها جذرياً عن الموضوع، وإذ أحست بيده تتراخى فوق فمها، عبأت رئتيها واستعدت للصراخ.

لم يكن ذلك لينفعها كثيراً، فالقرية كانت تتألق وادعة في منبسط التلة، غافلة تماماً عن المجنون الذي كان يتوعد سالي بالقتل فوق المنحدر، ولم يكن هناك من أمل في أن يسمع أحد استغاثتها. وحيث أنه لم يستسغ غناءها، فصرخة واحدة ربما كانت تكفي لدفعه إلى تنفيذ تهديده.

قال لها وقد ابقى يده قريبة من فمها، جاهزة لتطبق على أي ضجيج قد يزعجه: «اهدئي. هل أنت تائهة؟»

حاولت سالي أن تتكلم لكنها عادت فابتعلت ريقها وأخذت نفساً، ثم أجابته بصوت متهدج لا يخلو من زعيق وتذمر: «يتوقف ذلك على ما تعنيه بتائهة.»

«اخفضي صوتك اللعين هذا.»

إنه حقاً يكره الضجة، ولا بدّ أن يزيده كرهاً لها ضوء ذلك

البدر وما يوحي به من هدوء. هكذا فكرت سالي وحرصت عندما تكلمت ثانية على أن تقلّد وشوشته الهامسة: «ساكون هادئة كالفارة في ما تبقى من الطريق.»

«من الأفضل لك أن تظلي هكذا.» ولشدة دهشتها تركها تذهب طليقة.

تجمدت سالي للوهلة الأولى غير مصدقة ما حصل، وعندما لم تتحرك قبضته الفولانية لإيقافها قامت بخطوة ثالثة أخرجتها عن متناوله. وللتو، دفع الخوف الدم في عروقها، فانحنت لا إرادياً إلى الأمام، واتخذ جسدها وضعاً انسيابياً استعداداً للجري، ثم انطلقت بعد ذلك. وساقاها تسابقان جسدها على الدرب الجبلية المضاءة بنور القمر.

تعثرت قدمها بجذع شجرة، فسقطت وراحت أضلاعها تتخبط ورئتاها تجاهدان للحصول على طاقتهما القصوى من الهواء الذي بدا كأن كلّه لم يكن كافياً.

«بالله عليك ما هذا؟»

لقد عاد شبحه الكبير فبلغها حالاً وارتمى متكوماً بجانبها سائلاً بهمس: «ألا تستطيعين أن تفكري بطريقة أفضل من الركض في ظروف كهذه؟»

ردت سالي عليه لاهثة، ناسية أنه كان عليها ألا تجادل: «بلى... بالطبع. إنني... لست حمقاء تماماً.»

قال لها الشبح مادّاً لها يده لتستعين بها على النهوض: «نعم، إنك مزعجة فقط.»

دارت سالي على نفسها تحاول أن تقف على قدميها وقالت: «شكراً... شكراً لك، لست... بحاجة لـ...»

ولكنها لم تكد تقف حتى انهارت من جديد وسقطت على

www.rewity.com

جنبها. فقد كانت إحدى ركبتيها قد أصيبت إصابة مباشرة. وبينما كانت الدموع تنهمر من عينيها، والألم يدير رأسها، سمعته يلعنها من جديد.

«اللعنة والويل لك أيتها المرأة. ألا يوجد حد لغباوتك؟»

طلبت منه سالي وفي نفسها حقد على دموعها التي كانت تنهمر بسبب عدم سيطرتها على الموقف: «أرجوك لا تؤذني فلم أكن أقصد أي ضرر.»

ردّ عليها بلهجة من اصابه الجنون والارتياع لهذه الفكرة: «أؤذيك؟ لماذا أفعل ذلك؟ تعالي، توقفي عن البكاء ودعيني أتفحص الإصابة.»

وقبل أن تتمكن من ابداء أي اعتراض، أمسكها بذراعيه حاملاً إياها كطفل، ثم انتصب واقفاً وانطلق بها على الدرب الجبلية. ها هي قد أمست أسيرته من جديد، وقد جعلتها اصابتها في وضع أشد سوءاً من ذي قبل، ولكنه هذه المرة كان يمسكها بلطف أكثر.

لقد كان حقاً يحتضنها بلطف شديد. لماذا هذا التثاؤب والنعاس؟ هل كان ذلك ناجماً عن الصدمة والألم، أم كان هناك سبب آخر؟ هل كان ذلك عائداً إلى وقع خطواته المنتظمة تحت أشعة القمر الآخذة بالبياض وسط هذه الأشجار السوداء المقنطرة؟ أكان ذلك راجعاً لاحتضانه إياها بحنان، مطوقاً خصرها بإحدى ذراعيه، مستعملاً الأخرى للاهتمام بركبتها المتألمة؟ لقد كان بامكانها وهي مشدودة إلى ذلك الصدر القوي أن تشعر براحة كاملة تقريباً. وكان بودّها أن تلقي برأسها على تلك الكتف العريضة وتتركه يصنع بها ما يشاء.

غير أنها انتفضت مبتعدة عنه سائلة: «إلى أين تحملني؟»

بدل أن يجيبها، طلب منها بصوت خافت مهدىء، خلا من نبرة

التهديد: «هل لك أن تتوقفي عن غرس أصابعك في كتفي؟» ثم توقف قليلاً وأضاف: «حسناً، إن كان ذلك يخفف عنك، فافعلي بكتفي ما تشائين، خذي حريتك.»

ردّدت سالي كلمته الأخيرة بشعور ملؤه الهزيمة بمواجهة منطقه المعتوه: «حريتي؟ وهل ساستطيع أن أستردها أبداً؟»

«إن كانت الإصابة بهذا الحجم، فربما علينا أن نرى طبيباً.» قال لها ذلك مرتقياً الدرب بكل سهولة ويسر كمن كان يتهادى في مشيته، ممتصاً وعورة الطريق بعضلات ساقيه المرنة، ومؤمناً لسالي وضعاً مستوياً مريحاً.

كانت كلماته عن الطبيب أول بريق أمل لها، فهل يعقل أن يقوم رجل كان على وشك ارتكاب جريمة قتل باخذ ضحيته إلى الطبيب؟ رفعت عينيها ونظرت بشزر إلى زوايا فكه وخدّه وأنفه، فتبخر أملها عندما رأت جبينه ملطخاً بشعر داكن متناثر فوقها. نعم، قد يفعل المجنون أي شيء.

غير أن حقيقة جنونه لم تكن لتغير من الأمر شيئاً، فهي من غير المعقول أن ترفض عرضه وتضيع هذه الفرصة الذهبية من يدها.

«ألا تظنين أن الذهاب إلى الطبيب قد يساعد؟»

ردت عليه بحدة: «ها أنت تعيد الكلام عن المساعدة كأي إنسان عاقل!»

«لكني انسان عاقل حقاً. أحاول أن أساعدك، واللعنة عليّ إن كنت أتردد في فعل أفضل من ذلك.»

كان صوته هذه المرة لطيفاً. عاقلاً، مندهشاً، لكنها ردّت عليه: «كان بامكانك... كنت تستطيع... لم تكن بحاجة إلى أن...»

«كفى، ستتضح لك أمور كثيرة بعد دقيقة واحدة.»

www.rewity.com

«هل حقاً سيتضح لي أي شيء؟»

استسلمت أخيراً، واستلقت على كتفه الصلبة مستشعرة نعومة قميصه الذي كان مشرعاً عند ياقته. كانت تنبعث من قرارة حنجرته رائحة صنوبر وسرخس ومسك، ولم يكن بامكانها أن تميز وحشية الظلام والأوراق والتربة ومخلوقات الليل المجهولة، عن وحشية هذا الكائن الرجل الذي كانت تحت رحمته يحملها إلى مكان ما، ليفعل بها شيئاً ما، لم تكن تعرفهما سوى السماء.

ليس هذا فحسب، بل أنها كانت عاجزة عن إيقافه. فهي إن لم تنجح في الهرب منه قبلاً، ما الذي تستطيع فعله الآن وإحدى رجليها مصابة، وهو يحملها كل تلك المسافة بلطف شديد جعلها تسترخي باطمئنان بين ذراعيه. لقد كان أسوأ ما تعانيه هو استنفار أعصابها في صراع لم تعرفه من قبل، دفعها إلى التساؤل، أهذا هو الشعور الذي يعتريك عندما تكونين مقدمة على الموت؟ هذا الاسترخاء المفاجيء، أم هذا الخدر في العمود الفقري حيث ذراعه تمر، أم هذا الوخز في فروة رأسك حيث تذري أنفاسه شعرك؟

هل معرفتك بأن حياتك قد تنتهي في أية دقيقة يشحذ كل حواسك بمثل هذه الطريقة؟ ألهذا تشتاقين إلى أن تنشبي أصابعك في التجويف عند قاعدة تلك الحنجرة، أو أن تسترقي اللمس إلى ما تستره قميصه من مباهج أخرى...؟

دفعت سالي من جديد بنفسها بعيداً عنه، محاولة استجماع أفكارها وسألت: «هل ستغتصبني؟»

تسمر في مكانه فجأة وقال: «ماذا؟ هل حقاً تعتقدين...؟»

غمغمت سالي، محاولة أن تحول احساسها عن الألم في

ركبتها وتوضح: «كنت أريد فقط أن أقول إنني عذراء. إني أعرف أن أترابي العذارى قليلات لكنها الحقيقة... انني واحدة منهن.»

«يا للسماء! اسمعي. ما اسمك؟»

«سالي.» وتوقفت. إذ فكرت بانه لا يعقل أن تعرفه بنفسها وكأنهما قد التقيا لتوهما في حفلة. نعم، أمسى ذلك واقعاً، لذا لم تجد ضيراً في أن تضيف: «سالي بنيدكت.»

توقف برهة ثم عاد وواصل السير قائلاً: «اسمي... كيمب ويتيكر.»

لم يكن في وسع سالي أن تفكر في اسمه الآن، فقد أخذت الأشياء تتغير، وبدأت كثافة الأغصان فوق رأسيهما تتضاءل وتكشف الدرب للقمر الساطع والنجوم البراقة. وبدا كيمب تحت ضوئها كمن اقتصر لون بشرته على اللونين الأسود والأبيض فقط. كان ذا شعر خشن وأنف بارز حاد، وكانت عيناه موغلتين في غموض العمق والسواد فوق عظمتي خديه الصلبتين الجريئتين.

احتجبت عنهما النجوم فجأة خلف بناء حجري، ورأت سالي بوابة حجرية ذات قوس مستديرة، ثم راحت تسمع وقع أقدام حاملها على حجارة مرصوفة. أهي القلعة؟ لم تكن قد اقتربت منها قبلاً، ولكنها كانت قد رأتها من الأسفل أثناء تصوير الاعلان، وفكرت بانه لا بد أن تكون خالية أو خربة يسكنها المجانين عند اكتمال القمر.

وعلى أي حال، كانت تفصلهما عن القلعة بوابة حديدية ضخمة مربوطة بجنزير من الحديد، لها مقبض حديدي ملتوٍ وقفل حديث.

www.rewity.com

ما كادا يبلغان البوابة حتى سألها: «هل بامكانك الوقوف مدة دقيقة؟»

أجابته بلهجة غريزية: «لقد كان بامكاني. أما الآن، فأستطيع الوقوف على رجل واحدة.»

أنزل قدميها إلى الرصيف. فوقفت على رجل واحدة محاولة توازن نفسها، ويعتريها شعور غريب بالسرور لوجوده قربها يسندها في وقفتها، وسعيدة ببقاء يده فوق خصرها حيث كانت بأمس الحاجة إليها، بينما راحت يده الأخرى تبحث عن شيء ما في جيبه.

استنتجت سالي أنه يبحث عن المفتاح، إذ رأته بعد قليل يفتح الباب بدفعة واحدة. واستنتجت أيضاً أنه لا بدّ أن يكون قد لمس مفتاحاً كهربائياً، لأن ضوءاً أصفر انسكب في الداخل يبشر بأناس عاقلين. كان ذلك الضوء ينبعث من مصباحين عاريين قريبين من سقف ممر منخفض ذي جدران بيضاء.

راح كمن يتكلّم بلهجة من يملك المكان: «إنني لم أقرر في شأنه بعد، فلقد فكرت في تجديد الجدران كلها، غير أن مهندسي المعماري لم يوافق على ذلك.»

تعجبت سالي: «مهندسك المعماري؟» يا إلهي! ما علاقة هذا الرجل الغابي البدائي، هذا الشبح الساكن في الأماكن الموحشة بمهندس معماري؟

رد على تساؤلها بصوت أجش: «إنني أدفع له، غير أنه دائماً يردّد الموال نفسه، قائلاً لي إن هذا البناء مسجل على القوائم الأثرية، لذا لا يمكنني أن...»

قاطعته سالي التي كادت أن تسقط عليه فجأة عندما تذكرت

أنها كانت كل تلك الفترة غافلة عن كونه انكليزياً: «سهلاً، إنك انكليزي!»

«بالطبع.» ورفعها إلى الداخل، وأغلق الباب بركلة من قدمه، ثم انطلق بها عبر الممر مضيفاً: «لقد قلت لك ذلك.»

سمعت سالي تردد نغمته المنخفضة في صدره، وراحت تقاوم من جديد شعورها الخيالي، إن صوته كان مألوفاً. ما كان ذلك الاسم الذي تسمى به بتردد غريب، وكان يبعث في نفسها الاطمئنان.

«لقد نسيت اسمك.»

نظر إليها بدهشة منكراً إياها بأنه كان مجنوناً. إنه كان أحد الأرستقراطيين المحليين... مثال النهاية الحزينة لذرية متداعية. وعلمت سالي أن ذلك لم يكن صحيحاً لأن اسمه كان انكليزياً كصوته ولأن السويسريين كانوا يطبقون أقدم ديمقراطيات أوروبا وأفضلها تنظيماً. فلم يكن بينهم أرستقراطيون.

وبينما كانت ما تزال تفكر في أجوبة لكل هذه المتناقضات، انعطف بها ودخل من باب مفتوح ووضعها على سرير خشبي بسيط يتسع لشخص واحد كبير. أحست برأسها يغرق في وسائده، وبلحافه المجعد بإهمال تحتها، أغمضت سالي عينيها وانتظرت بخوف، تحاول أن تهيىء نفسها، وأن تتصور ما سيحصل وكيف سيكون...

وعندما لم يحصل شيء، فتحت عينيها فلم تجده ولم تعرف إلى أين ذهب. وبرغم أن الضوء الوحيد كان يأتي من الممر عبر فتحة الباب المستطيلة، كانت عيناها قد تأقلمتا، ولما تأكد لها عدم وجوده في الغرفة، رفعت نفسها وأزاحت اللحاف من تحتها، ثم نهضت متكئة على مرفقها لتبحث عنه.

www.rewity.com

كان السرير في زاوية من الغرفة وقد تناثرت حوله أوراق كثيرة بعضها نصف ظاهر من خزانة ملفات؛ والبقية متناثرة فوق الأرضية الخشبية أمام مكتبة تشغل الجزء المتبقي من أحد الجدران بين السرير والجدار المقابل له، وتغص بمجلدات ضخمة كتلك التي يستعملها عالِم أو طبيب أو محام كمراجع. أما سطحها، فكان خالياً إلا من بعض المتفرقات، كأشرطة وجهاز تحكم لـ(فيديو) لوحة ملقط لمزيد من الأوراق، وقدح ماسية مستعملة كان الضوء الرقيق يقع على زواياها الرائعة الحفر فتتألق راقصة مغيرة ألوانها...

«هاك.»

«ماذا؟» جفلت سالي وفقدت انسجامها، وعادت إلى نفسها ثم تقبلت منه الكأس النظيفة واستنشقت محتوياتها سائلة: «ما هذا؟»

«شراب. إني أحتفظ به في المطبخ.»

وضعت سالي إذ ذاك القدح على المكتبة قائلة: «إن كان ذلك فكلا... أشكرك.»

هز كتفيه مشككاً وقال: «افعلي ما يريحك فقد أحضرت الشراب لأنك بدوت وكأنك كنت بحاجة إليه.»

«إنني أحوج منه إلى ذهن صاف.»

تكتك بمفتاح آخر، فامتلأت الغرفة بضوء وردي من مظلل أحمر ضخم لمصباح كبير من الحديد المصقول، وظهر تحت المصباح، أريكة جلدية كبيرة، قبالة جهاز تلفاز ضخم موضوع على طاولة، فوق سجادة يدوية الصنع مشغولة بألوان فاقعة. شمخ عملاق قلعة العمالقة تلك، ظلا ضخماً ينظر إليها من أعلى قامته وظهره إلى الضوء. «لدي قهوة، إن كنت تستطيعين

الانتظار حتى أحضرها، فأنا لا أبقي هنا إلا على الأشياء الجاهزة الضرورية.»

لم يعد يبدو مجنونا إلا بقدر ما كانت تبدو غرفته هذه غرفة مجانين. لقد كانت حقاً غريبة كزنزانة، لكنها لم تكن صغيرة جداً، وكانت نوافذها الصغيرة جداً تتخلل جدراناً مفرطة في الضخامة. ووضعت بين اثنتين من هذه النوافذ، طاولة قديمة كبيرة تحمل أجهزة الكترونية يبلغ ثمنها ملايين الجنيهات.

أما هو، فسأل سالي متأففاً: «تريدين قهوة أم لا؟»

أجابته سالي مباشرة وبشكل غريزي: «لا.» لأنها شعرت أنها كانت ستتحول إلى ضفدعة تقضي بقية حياتها في أسره، في ما لو أكلت أو شربت شيئاً في هذا المكان.

اقترب من السرير قائلاً: «حسن، افسحي لي مكان.»

بقيت سالي في مكانها متحفزة للقتال، واتسعت حدقتا عينيها حتى درجة الألم، وبعنف: «لماذا؟»

أجابها كمن يتكلم إلى طفل بطيء الفهم: «لأجلس إلى جانبك. ماذا فعلتِ بركبتك. تذكري انها سبب وجودك هنا.»

ردت عليه خائفة مغتاظة: «إنها بحالة حسنة.»

«نعم، طبعاً، وأنت مستعدة لأن تهبطي التلة سيراً عليها، أليس كذلك؟»

«سأجد طريقة أعود بها إن تركتني.»

تحوّل عنها باشمئزاز وبلغ الأريكة بحركة واحدة، وارتمى عليها قائلاً: «بالطبع ستتركك أيتها البلهاء! أتظنينني خاطفاً؟»

أجابته بحدة: «كيف أعرف من أنت؟»

استلقى إلى الخلف حتى غمره الضوء الأصفر وقال لها: «لقد أخبرتك، فان لم يكن ذلك كافياً، تمعّني فيّ.»

www.rewity.com

«ما فائدة ذلك؟» تخبطت سالي في رعب وهمي، لاعتقادها أن السحرة كانوا يحوّلون من ينظر إليهم إلى حجارة، فما ادراها، إلى ما قد يحولها هذا الساحر...؟ وفي النهاية تمكنت من أن ترفع عينيها إلى عينيه وتلتقط أنفاسها.

لم تكن تعرفه، في الحقيقة لم تكن تعرفه أبداً، غير أنها أدركت للحال، ومن أول رؤية واضحة لذلك الوجه، أن ملامحه لم يكن من الممكن أن تتناسب إلا وذلك الصوت.

لقد كان فمه مرسوماً بدقة، وفكه نحيلاً وعيناه مستطيلتين صافيتين تنمّان عن أي شيء سوى الجنون. كان الشيء الهمجي الوحيد فيه هو شعره الأشعث، المنفلت في كل الاتجاهات، ممتلئاً حيوية تأبى أن تهدأ فوق جبين عال مستقيم كجبين المفكرين. لم تصدق سالي عينيها، وأرخت فمها غير مطبق مُستسلمة لصورته غير المتوقعة.

أما هو فتنهد مستسلماً وسأل: «هل تأكدت الآن؟»

«أنت... كيمب ويتيكر!»

«لقد قلت لك ذلك.»

«لم أصدق... فأنت أكبر بكثير...»

«إنه التلفاز يضخم البعض ويمسخ الآخر.»

تمتمت سالي محاولة أن تستوعب ذلك كله: «أنت مُعِدّ برنامج الحقيقة! هل أنت تعمل على اعداد مسلسلات أخرى؟»

«إني هنا لأقوم بأعمالي الخاصة في هدوء واطمئنان.»

«أعمالك الخاصة؟»

لقد تحول انزعاجها إلى غضب عندما لمّح لها موبخاً على ما ظنته به، فسألت: «إذاً، هكذا تدعو الوثب على الفتيات العزل؟»

«اهدئي، فأنا لم أصيبك بأذى.»

دلّت سالي على ركبتها المرتجفة المتألمة إذ ذاك وقالت: «آه إن ركبتي هذه سليمة، بالطبع وليس لك علاقة بما جرى لها؟»

«أنت التي ركضت في الظلام فوق درب وعرة.»

«لكنني لم أكن مضطرة للركض، أليس كذلك؟»

أخذت ذراعها المتكئة عليها تؤلمها، لكنها ظلت مستندة عليها في مواجهته. كانت رجلاه القويتان المتدثرتان بقماش قطني قوي ممتدتين على طول السجادة، وكادتا أن تلامسا طاولة التلفاز. رمقته سالي بنظرة شرسة من حذائه الجلدي، مروراً بخصره النحيل صعوداً حتى كتفيه البيضاوين.

قالت: «أنت لم تشعر بالخوف مطلقاً.» ولكنها إذ شعرت برجفة في صوتها، توقفت قليلاً حتى سيطرت عليه ثم تابعت: «لكن، أليس لك قليل من الخيال؟ ألم تفكر يوماً بما قد تشعر به المرأة؟» ثم انحنت إلى الأمام متجاهلة الألم في ركبتها تجاهد في اقناعه: «امرأة بمفردها في الظلام؟»

نظر إليها بشيء من التجهم وقال: «لماذا إذاً كنت وحيدة ذلك يقلقك؟»

«لم يكن ذلك ليقلقني، فقد كنت مدفوعة بجمال منظر الغروب وما تلاه من بزوغ القمر، أضف إليهما حاجتي للحركة.»

وتابعت في نفسها، لقد كنت أيضاً بحاجة للابتعاد عن المصوّر المرافق لي والمغرم بي، لقد تركته في المقهى يشرب كأسه المليون ويهزّ رأسه امتعاضاً مما كان يدعوه بعاداتي المريضة. لقد قال لي إن الهرولة قد تسبب ضرراً لصحتي.» وتوترت أعصابها فجأة إذ تذكرت كيف تحقق تحذيره صدفة.

سألته غاضبة: «مهما يكن، لماذا أخبرك عن خصوصياتي كهذا؟»

www.rewity.com

«لأن الأرض التي تجاوزتها كانت أرضاً خاصة أيضاً.»

تنكرت سالي العلامات التي كانت موضوعة في الممر المحوّل وقالت: «انها ملكك إذاً؟ الآن فهمت. إنك... أنت الذي وضع ذلك السياج؟»

«نعم، ولأسباب وجيهة.»

«حسن، وأنا أيضاً كانت لدي أسباب وجيهة لتسلّقه.»

ابتسم ساخراً: «لتختصري الطريق إلى البيت؟ للأسف، لم يتحقق مرامك.»

«نعم، وقد تعلمت بسببك ألا أهرول بمفردي في الليل مرة أخرى.»

تجهم بحدة وتململ على الأريكة وأظهرت سحنته الجانبية، وحاجباه المائلان تفكيره المركز.

أما سالي، فبعد أن تعبت من الاستناد على ذراعها، ارتمت إلى الخلف واستلقت على الوسادة، أراحت الظلال اللطيفة على السقف عينيها التعبتين وفكرها المنهك. لقد كان ذلك بالنسة لها فترة من الهدوء قبل أن تجد طريقة ما تخرج بها من هذا المكان وتنزل إلى الفندق، وقد أراحها ذلك الشعور المتنامي بالاطمئنان إلى سلامة حياتها.

انفجر فجأة صارخاً: «اللعنة.»

انتفضت سالي وقد انقطع هدوؤها القصير معلقة بنبرة تهجمية: «نعم. يجب أن تقلق لأنني مصابة.»

توقف يفكر برهة ثم قام واقفاً: «لم أكن... دعيني أسهل عليك وضع الجلوس على الأقل.»

التقط اللحاف الضخم وطواه كمن يطوي منديلاً، ثم أمرها بأن تتحرك إلى الأمام. كان شيء ما في صوته يدفعها لتنفيذ أوامره

دائماً، فتحركت إلى الأمام وقام هو بوضع اللحاف المطوي قرب الجدار ثم أضاف إليه الوسادة.»

«والآن، عودي إلى الخلف.»

دهشت سالي للوضعية المريحة التي استقر عليها ظهرها بالاستناد إلى تلك الوسادة المبتدعة وقالت: «أنا لا أفهم كيف...»

أما هو، فبعد أن أتم عمله، عاد إلى اريكته وسأل: «كيف هي ركبتك الآن؟»

صارحته سالي: «أفضل بكثير. إنني مرتاحة.»

أخذ نفساً وزفره، ثم أخذ نفساً آخر وقال: «حسن، هل ينفع اعتذاري؟»

نظرت إليه سالي باندهاش سائلة: «أتعني... أتريد أن تقول إنك آسف؟»

«اللعنة. ماذا تظنين؟» توقف ليكبح عنان غضبه. ثم أردف: «نعم، إن هذا ما أريد قوله. أنا آسف.»

«لوثوبك علي؟»

«كلا، لأخافتي إياك.»

حدقت فيه بارتياب وسألت: «هل أنت حقاً آسف؟»

«أو لا أبدو كذلك؟»

ردت عليه بشيء من التردد: «أنت تعرف.»

«نعم، إنني حقاً آسف، فلقد أريتني... جعلتني أدرك... سأفعل ما بوسعي للمساعدة.»

لكن سالي انفجرت والألم يجتاح ركبتها لسماعها كلمة المساعدة وقالت: «ها أنت تتحدث عن المساعدة من جديد لكن ذلك لا يلغي الضرر الذي أصابني وعطلني عن العمل، فكيف بإمكانك أن تساعدني؟»

www.rewity.com

«أولاً، أستطيع أن أعيدك للمنزل سالمة.»

«حاملاً إياي؟»

ذكرتها كلماتها بالرحلة الشاقة عبر الغابة وصولاً إلى القلعة المجهولة، تلك الرحلة التي تركته يحملها عبرها برغم أنه كان غريباً مرعباً... وجربت أن تحول عقلها عن تلك الفكرة، غير أنه ارتطم بفكرة أشد سوءاً!

كانت قد سألته إن كان ينوي اغتصابها وأعلمته انها كانت ما تزال عذراء.

هل يتذكر ذلك الآن؟ هل كان ذلك ما يجعله يستغرق في تفكيره؟

لقد صدق ظنها إذ لمّح لها برقة: «إن هذا كله جزء مما تعلمته اليوم. ثم، لا تقلقي لأنني سآخذك بسيارتي.»

غمغمت سالي مغتاظة بسبب حماقتها وقالت: «إذاً، توجد طريق تؤدي إلى هنا؟»

أجابها بصوت هادىء: «نعم تصل الطريق إلى هنا، ولكن مهلاً، ليس ضغطاً عليك بل فقط أحب أن أذكرك أن الشراب ما يزال هنا إن كنت ترغبين فيه.»

نظرت سالي إلى القدح البلوري فبدالها رائعاً بما احتواه من ذلك السائل الذهبي الممتزج بألوان قوس قزح، وزادته قلّة الكمية قيمة في نظرها. «سواء شربته أم لا، ساكون ممتناً لك إن أصغيتِ لي دقيقة.»

ردّت عليه بعنف مغتاظة بسبب عجزها وإدراكها مدى الصعوبات التي سيسببها لها في برنامجها: «ليس لي خيار آخر، أليس كذلك؟»

ناداها باسمها إذ ذاك طالباً: «اسمعي يا سالي، لقد...» وتلكأ

مختاراً كلماته بعناية، ثم أضاف: «لقد أفزعتك وجعلتك تصيبين نفسك بالضرر، فحبذا لو أعطيتني فرصة لأشرح لك السبب.»

سألته مرتابة من جديد: «أويجب أن يكون ذلك هنا؟ لما لا يكون في الفندق؟»

«نعم بامكاننا أن نجلس في الصالة، لكن لغطاً كثيراً قد ينتشر في شاننا.»

لم يخطر لها ذلك أبداً، فعلى الأرجح كان معروفاً حتى في هذه القرية الجبلية الهادئة، أما في انكلترا، فقد كان معروفاً بالتأكيد. لقد كان كيمب ويتيكر الأنيق يتصور مع رائعة نسائية أخرى؛ كان كيمب ويتيكر القاسي القلب قد خدع إحدى الجميلات بعد أن سمعه سكان شارع كامل في منطقة أوكسفورد يطلب منها الزواج على الهاتف الداخلي! كان كيمب ويتيكر النزق قد سلّط أنبوب ماء احدى الحدائق على مجموعة من الصحافيين مبللاً قميص عارض الأزياء الذي صادف وجوده معهم.

«من الذي سيتكلم؟»

ردت سالي شعرها المتوسط الطول إلى الوراء متنكرة لونه الكستنائي المضجر ولون عينيها المرواح بين الزرقة والإخضرار، ثم أضافت: «لست من صنف النساء اللواتي غالباً ما يقترن اسمك بهن.»

ردّ عليها فجاة وبصوت قاس: «أوتعتقدين ذلك؟ مهما يكن، أرجو أن تنسي الموضوع فهم يقرنوني بكل أصناف النساء.»

أخفت سالي خيبتها بنفسها فهي وان لم تكن حقاً تنتظر اطراءً، وان كانت تدرك كم كانت عادية نظراتها، كانت ستجد أي اهتمام بها مليحاً ولو كان ذلك مجرد تلميح. إلا أنه لم يجدها بلا

www.rewity.com

جمال تماماً. وذكرت نفسها كما كانت دائماً تفعل، أنها كانت... أو لماذا لم يعد مارك ليطلب منها الخروج معه مرة أخرى؟. وأثناء تفكيرها بذلك تابع يقول: «إن قضيت أية فترة زمنية معك في الفندق، فستكون الجرائد هنا قبل ظهيرة الغد.»

اعترضت: «لكنك ستأخذني إلى هناك بطبيعة الحال، وبذلك سنظهر سوية حتماً.»

غير أنه ردّ شارحاً: «ليس من الضروري، فأنا على معرفة حسنة بأصحاب الفندق، وهم يعرفون أني أتكتم كثيراً على حياتي الخاصة.»

«هل تعني أنهم لن يقولوا شيئاً؟»

«بل أفضل من ذلك، فهم يسمحون لي باستعمال مداخل جانبية.»

«هاها، إذن هكذا نتسلل إلى الفندق دون أن تقترن بك أسماؤنا.» وأنزلت قدميها إلى الأرض تتحامل على ألمها، ومنزعجة من خيبتها بنفسها أكثر من انزعاجها منه وقالت: «إنني أعتبر المشكلة منتهية. هيا بنا.»

«لقد نسيتِ الخدمة التي طلبتها منك.»

«آه. الخدمة؟»

تناولت القدح واستنشقت بخار سائله الباعث على الصداع ثم قالت: «نعم، تريد أن تشرح لي؟»

«أريد أن أشرح لك السبب الذي دفعني إلى أن...» توقف قليلاً وتابع: «أن أكتم صوتك.»

وتذكرت سالي تلك ليد المرعبة وقالت: «لم تحب غنائي؟»

«حتى أنت تعتقدين أن الاستماع إليه لا يبعث السرور في النفس.»

ردت عليه بشجاعة: «لقد كان يبعث السرور في نفسي أنا، كما أنني لم أكن أزعج أحداً.»

قاطعها في غضب مستجد: «لم تكوني ماذا؟»

رمقته بنظرة خائفة لأنه بدا لها كما كان في تلك اللحظات الأولى من لقائهما في الغابة.

«لقد كنت تتعبين كمدخنة معمل انفجر كاتمها.»

كان غضبه ما يزال ظاهراً لكنه آخذ بالتضاؤل: «كنت سأتغاضى عن تجاوزك لو لم تبتدئي ذلك الشغب.»

أخذت رشفة من شراب ما كانت تكفي لترطيب شفتيها برغم أنها كانت نصف الكمية الموجودة في الكأس. فهي كانت متأكدة من أنه لم يكن يريدها أن تفقد وعيها، تسلحت بالجرأة فقالت: «كنت ساخرج عن نطاق سمعك في دقيقة.»

«وفي أثناء هذه الدقيقة، كنت ستخيفينها فتترك عشها إلى الأبد.» وراح ينقر على كرسيه مضيفاً: «قد تكونين فعلتِ ذلك. كيف لي أن أعرف ما لم أعد إلى هناك واتفحص المكان؟»

شربت سالي المتبقي في كأسها وأعادته إلى الطاولة قائلة: «عش! هل تتحدث عن الطيور؟»

أجابها بلهجة أقرب إلى قرع الطبول: «اثنان من البوم يبنيان عشاً.»

ولما لم تتفاعل معه، قام واقفاً وأخذ كتاباً عن الرف، ثم فتحه لها. وعندما أخذته في يدها، ظهرت أمام عينيها البومة المصورة، صفراء العينين، بيضاء الوجه مخططة بالأسود كعصفور الدوري. حدقت سالي فيها مندهشة، وأخذت الأمور تتضح لها. لقد كان يدير برنامج الحقيقة المتلفز، والمعروف بتغطيته وتعاطفه مع مخلوقات الأرض البرية. حسن، لقد خرقت

www.rewity.com

حرمة أراضيه متجاهلة التحذيرات: «ابتعد» المكتوبة بخمس لغات، وقام بافزاعها حتى الموت مقابل ذلك. «لقد كانا يحتضنان.» وردد كلماته محاولاً أن يترك لديها انطباعاً: «لم يكن أحد يعرف من قبل أنهما كانا يتكاثران في سويسرا.»

وافقت معه بسخرية مرة: «حسن، وهل هذا يبرر لك ما فعلت؟»

«نعم، عندما...» لكنه توقف وهز رأسه متابعاً: «إن كنت لا ترغبين في فهم ذلك، فلن تستوعبيه مطلقاً.»

ردت عليه متقدة غضباً ازاء ذلك الازدراء الذي بدا في نبرته: «إن كنت تعني كلامك عندما ما قلت لي إنك ستخرجني من هنا، فدعنا نذهب.»

لقد كان أمراً غريباً أن يحملها من جديد دون أن تشعر بالخوف، وربما بدا صمته الفاتر مريعاً، لكنها كانت متأكدة من أنه عندما حملها وأخذها إلى السيارة الباهظة الثمن والمتوقفة في الساحة وقادها هابطاً التلة، أنها كانت في طريقها إلى غرفتها، إلى سريريها. وإن كان المشهد قد بدا مكرباً، فذلك يعود إلى أنها كانت متعبة في نهاية ذلك اليوم العجيب.

أوقف السيارة في الساحة الظليلة تحت أشجار الكستناء المزهرة وقال: «إن كان المفتاح بحوزتك، يمكننا الدخول من هنا.»

لكن سالي فتحت الباب وجاهدت حتى خرجت ووقفت على ساقها السليمة وقالت: «بامكاني أن أدخل بمفردي، وسآخذ المصعد.»

ما كادت أن تنتهي من كلامها حتى وقف إلى جانبها وأعاد سؤاله: «هل المفتاح معك؟»

على الرغم من انها قالت: «سأتمكن من ذلك بنفسي.» سرّت بأن

تتكىء عليه، وارتاحت عندما ما رفعها عن الأرض ثانية.

استسلمت في النهاية وأخرجت المفتاح من جيبها.

«أعطني المفتاح.» كانت تشعر أنها بلغت مكاناً أميناً، وبرغم ذلك، لم تعرف سبب اضطرابها الداخلي. لماذا ذلك الشعور بالضعف، لماذا ذلك الاحساس بقوته؟ لم يكن له أي معنى. ولماذا هذا الشعور بالخطر وهو يحملها صاعداً بها الدرج؟

بلغ غرفتها الواقعة في الدور الثاني من غير أن يلهث، وحملها إلى سريرها ووضعها عليه بلطف تاركاً الباب مفتوحاً على وسعه. أما هي، فقد ارتاحت لأنه صار بامكانها اضاءة المصباح الذي كان إلى جانب سريرها وأن تشعر بالأمان.

www.rewity.com

انحنى فوقها قائلاً: «حاولي أن تنامي! انك بحاجة للنوم.»

ردت: «فرصة سعيدة.»

«هل تؤلمك ركبتك كثيراً؟»

بدا صوته وكأنه كان مهتماً بها حقاً، فدفعها ذلك إلى أن تعترف: «على ما يرام طالما لا أتحرك، ولكن لدي أعمال يجب القيام بها غداً.»

«سنفكر في ذلك صباحاً.»

«تعني... أنا التي سأفكر فيها، فيما أنت ستكون مع بومك البائسة؟»

«سأكون هنا لأرى كيف أستطيع أن أكفر عن أخطائي.»

«أتعني مهاجمتي؟»

أعاد مذكراً: «كل ما فعلته هو أنني أوقفت ضجيجكِ، كما أنني قد أكون أنقذتك مما هو أسوأ، إن شخصاً فقد عينه ذات مرة.»

«هه، لم يكن ذلك شيئاً بالمقارنة مع ما اعتقدت أنني كنت سأفقده اليوم.»

لكن سالي توقفت إذ شعرت بالحرارة تندفع إلى خديها، فقد تذكرت مجدداً ثرثرتها له في الغابة بين الوعي والهذيان عن العذرية، وأدرك هو أيضاً سبب احمرار وجنتيها، كما رأت هي في العينين الغائرتين تفكيره قبل أن يغمضهما شبه اغماضة ساترة ما كان يفكر به.

أنقذها غضبها من خجلها فتمكنت من أن تقول: «لقد قلت إنك ستقتلني.»

«كان ذلك مجرد... كان أي شخص في مكاني سيقدم على ذلك... اللعنة.»

استدار مبتعداً عنها ويداه غارقتان في جيبيه، غير أنه عندما واجهها من جديد، كانت الاثارة واضحة في كل خط من خطوط وجهه، وكان صوته راسخاً ومنخفضاً: «لقد اعتذرت لك قبلاً، وأكرر اعتذاري مجدداً، أنا آسف، أنا آسف، آسف.»

اتكأت سالي على أعلى السرير مستشعرة نصرها وقالت: «لا توجد حاجة للصراخ، فأنت لا تتصرف كالآسفين.»

«لم أر في حياتي امرأة أشد منك سطوة...» قطع حديثه واقترب منها... كان يجب أن تقاوم كيلا تصرخ، لكن كل ما استطاعت فعله هو أنها انتظرت مسحورة، من دون حراك، فيما كان يهم بمعانقتها...

تراجعت سالي إلى الخلف متخبطة بالخوف قائلة: «أهلاً هاري.»

يا لها من ورطة: أن تقوم بذلك العمل من بين كل الأعمال، والباب مفتوح، وأن لا يراها من كل الناس إلا المصور المرافق لها والمغرم بها؟

«أهي حفلة خاصة أم يستطيع أي شخص الدخول؟»

ترنح قرب الباب مازحاً يتهيأ للدخول محاولاً الوقوف من دون الاستناد إلى الجدار.

في هذه الأثناء، بلغ كيمب الباب وقال: «خاصة جداً أيها الرفيق.»

ثم دفع هاري خارجاً وأغلق الباب بقوة، استسلمت سالي عندما رأته يقفل الباب، وراحت تنتظر الأسوأ وربما الأفضل.

لم يكن ذلك ليساعد في شفاء ركبتها، وقد تصبح غداً لا شيء بالنسبة له، أو ربما مجرد فروة رأس ضحية في حزام ذلك الصياد. لكن هذه كلها كانت أفكار اليوم التالي، أما هذه الليلة فقد كانت في حوزته تماماً كما كانت تخشى دائماً، وكما كانت دائماً تخاف أن تتمتع به.

www.rewity.com
عيون المها

الفصل الثاني

«كيف امكنني أن أكون بهذه الحماقة!»

واصلت سالي تقلّبها فوق الشرشف الملتف على ذاته، ثمّ شدّت الدثار حتى غطىّ أذنيها، وحاولت عبثاً أن تنام برغم أن المنبّه الصغير الذي تستعمله في رحلاتها كان يشير إلى الثالثة إلاّ ربعاً فجراً.

على الأقل، أنه لم يشعر بما كان يعتمل في نفسها، فلم يتقبل عقلها هذه الفكرة على الرغم من ترددها في نفسها، إذ لم يكن من المعقول عدم تنبه كيمب لاندفاعها الحسي نحوه، خاصة وأنها تجاوبت مع عناقه كمراهقة ساذجة.

لا بدّ أن يكون طبعاً قد أحسّ بذلك، ولكنها كما يبدو لم تعجبه وإلاّ، لماذا بقي عند الباب مبتعداً قدر استطاعته عنها، بعد أن دفع بهاري خارجاً؟ لقد تمعن بها في ضوء مصباح السرير الصغير، وقرأت من نظراته أنه لم يستحسنها.

تذكّرت قوله: «أأفهم أنه أحد أصدقائك؟»

وعلى الرغم من أنها كانت تودّ أن تصرخ: «ليس بالضبط» غير أن صوتها خرج بصعوبة من حلقها: «إنه مساعدي المصور.»

ردّ بنفور ظاهر: «أعتقد أنني كنت قد أصبت في تصوّري أي نوع من الناس هو، والآن، يجب أن أبقى هنا إلى أن يخلي طريقي.»

«إفعل ما يريحك.» تصاعد غضبها عندما لاحظت لطخات من

الوحل على سترتها الرياضية في المكان الذي ارتطم بالأرض فقالت ساخرة: «أيعني هذا أن تقلق راحتي الليليّة قليلاً مقابل ما قمت به تجاهي اليوم؟»

نظر كيمب إلى ساعته قائلاً: «آه، نعم. إنّني متأسف لذلك، فأنا غالباً لا أتصرّف بمسؤوليّة عندما أكون مضطرباً.»

أحقاً كان يعتذر لأنه لثمها؟ شعرت برغبة في الاختباء تحت السرير، أن ترمي شيئاً، أو أن تنشقّ الأرض فتبتلعها وتخفيها إلى الأبد.

أخذت تنفض الوحل عن القماش الليموني اللون مرتبكة وخائفة أن يقرأ ما في وجهها وقالت: «إذاً، تعترف بأنك كنت مضطرباً وغير مسؤول.»

ردّ بصوت عادت إليه النغمة المزمجرة: «لم يكن ذلك بغير سبب، فأنت لم تجلبي لي إلاّ المتاعب، منذ أن رأيتك أول مرّة أو منذ أن سمعتك.»

رفعت رأسها منتفضة وحدقت إليه وقالت: «بل يجب أن تقول، منذ أن وضعت يدك عليّ.» ثم نظرت إلى يديه وقد حشرهما في جيبيه كأنما ليكفهما عن الإتيان بأي ضرر آخر. «كم مرّة يجب أن أعتذر عن ذلك؟»

«يكفيني اعتذار واحد اذا كان صادقاً...»

«إنني حقّاً آسف.» أشار برأسه إلى الباب قائلاً: «والآن، انظري إلى هذه الورطة التي أوقعتني بها. آمل أن يكون رفيقك متعباً إلى درجة لا تمكنه من التعرّف عليّ لاحقاً.»

ردّت عليه بسخرية محاولة أن تتجاهل وطأة ازدرائه: «يا لك من مسكين، فهو قد ينشر عنك شائعات محرجة، أليس كذلك؟»

«وستصاب سمعتك بالضرر أيضاً، أو، من يدري؟ ربّما لا

يعني لك ذلك شيئاً...» رمقها بنظرة قاسية ثم تابع: «آمل أن لا أكون قد ابتليت بلعنة عجوز مجدداً.»

نظرت إليه والغضب يتآكلها وقالت: «أتريد أن تقول إنني تحملت كل ذلك العناء عن سابق تصور وتصميم لكي أحظى بقصة في الصحف؟»

ردّد اسمها كمن كان يبحث عنه بين قوائم الأسماء التي كانت في ذاكرته: «سالي بنيديكت، لم أسمع بك من قبل. مهما يكن، قد يكون ذلك هو لبّ الموضوع، فقد تكون مهمّة استدراجي هي ما سيصنعك ويخرجك إلى الأضواء.»

لم تستطع تحمّل كلّ هذا، فنهضت تترنّح، تمشي على رجل واحدة إلى طاولة الملابس، متجاهلة ألم ركبتها، وفتحت حقيبتها الكستنائية اللون، ثمّ أخرجت منها بطاقة تعريف خضراء اللون.

تقدّمت منه مبرزة البطاقة وقالت: «أعمل في مؤسّسة الضوء الساطع للعلاقات العامة.»

نظر كيمب إلى البطاقة بامتعاض متزايد مبقياً على يديه في جيبيه، رافضاً أن يأخذها وقال: «لن يختلف الأمر بشيء والبطاقة لن تحسّن وضعك. فارجوك بحقّ السماء أن تريحي رجلك وتجلسي.»

صرخت في وجهه قائلة: «أتخشى أن أجرّك إلى لثمي من جديد؟»

استدار ثمّ فتح الباب وقال: «لا أجد فائدة لأيّ منّا في بقائي هنا.»

«هذا أمر مؤكد.» تبلور الألم في داخلها، وتحوّل إلى كآبة عندما ناقضت احساسها فأمرته: «أغرب من هنا.»

«إلى اللقاء صباحاً.» ظلت سالي تترنح على ساق واحدة بعد أن أنتهت الأمور على هذا النحو، وخلال استعدادها للنوم، يكاد الألم في ركبتها أن يكون أخف وطأة عن الصراع الذي كان دائراً في عقلها.

دخلت الفراش بعد نصف ساعة وحاولت أن تنام، من دون جدوى، واستمرّ قلقها حتّى الثالثة والنصف حين قلبت ساعة المنبه على وجهها كي لا ترى الليل وهو ينسلّ من بين عقاربه.

ماذا دهاها؟ وهي التي كانت طوال حياتها مترددة في اقامة علاقة عاطفية، ثم، بكل بساطة، تتجاوب معه كما لم تتجاوب مع أحد قبلاً، حتى مارك والش الذي حاول جاهداً منذ شهر ولم يتمكن من جعلها تتمناه.

وحتّى كيفن ابن بلدتها نيوتن الذي كان حقاً الرجل الجدّي الأول في حياتها، لم تنته علاقتها به إلى الخطوبة.

سألها مرّة: «كيف نستطيع أن نتشارك الحياة؟»

وعلى الرغم من أنّ كلامه بدا منطقياً، فإنّ شيئاً ما دفعها إلى رفضه. ربّما كانت ما تزال صغيرة حينها، أو ربّما كان كيفن لا يشبع تطلعاتها. مهما يكن، فقد انتهى كل شيء نهاية طبيعية عندما استلمت عملها في الضوء الساطع وانتقلت إلى لندن:

بحكم عملها في العلاقات العامة، كانت تلتقي الكثير من الرجال الجذّابين وسرعان ما ألفت الثياب الفاخرة التي يرتدونها والشعر المصفّف بعناية، والتبجج. في الواقع لقد وجدت صعوبة في تمييز رجل عن آخر، فلم يكن بامكانها أن تفكّر جدياً بأيّ منهم إلى أن جاء مارك والش واقتحم مكتبها وحياتها وكلفها بالأشراف على عقد شركة كينغفيشر.

حينها، لم تصدّق أنه كان رجلاً حقيقياً، فهو لا بد أن يكون

www.rewity.com

قضى حياته كلّها مستلقياً على سرير تحت أشعة الشمس ليحصل على لونه البرونزي، كما كان يستحيل أن يكون لون شعره طبيعياً.

لاحظت ان عينيه الخضراوين تمعنان بها، تململت بضيق مكتبها عندما أدركت أنه قيّمها وأنزلها مكانة بالأستناد إلى مقاييس شخصيّة خاصة، لكنه عندما ابتسم فرحاً وادركت أنها اجتازت الامتحان، ذابت في ابتسامته تلك بينما كان يعلمها بالمهمة الجديدة.

لم تسأل نفسها بعد ذلك أيّ سؤال عن نظراته أو عن سحره الذي تمادى في السيطرة عليها. وعندما أخذها معه للغداء تبادلا الإشارة بالإشارة، والنظرة بمثلها ولم تدرك ما ورّطت نفسها به إلى أن حلّ المساء، واستقلا سيّارة، فأعطى مارك سائقها عنوان بيته لا بيتها، عندها فقط أدركت أنها كانت ستضيّع نفسها في ما لو قبلت الدعوة إلى تناول القهوة فقالت: «آه، كلا، أشكرك.» وعندما كرر الدعوة، قالت: «كلا إنّني جادّة.» أصرّت على موقفها في النهاية وتملصت من عناقه.

«من فضلك مارك، كلا.»

وبعد أن جاملها، شتمها وانطلق بسيارته مبتعداً مما اضطرها إلى أن تطلب سيارة أجرة كي تقلها إلى البيت.

لم يكن بامكانها أن تلومه على ما فعل، فقد اتّهمها بالتخلّي عنه في منتصف الطريق، وكانت تدرك حجته. أمّا الآن، فلم يبق لها سوى التفاني في العمل على عقد شركة كينغفيشر، منتظرة أن يسامحها مارك.

تذكّرت سالي هذه الأمور وقالت: «والليلة كدت أن اتجاوز الخط الأحمر مع رجل غريب!» ونفضت وسادتها للمرّة العشرين

وأضافت: «مع غريب أكرهه وأخافني حتّى الجنون!»

مكنتها هذه الفكرة من النوم أخيراً... فيما أشعة الشمس تنساب إلى داخل الغرفة.

من الذي أزاح الستائر؟ حتّى راحت أزهار الخبازي التي كانت موجودة في الحوض على النافذة تتراقص ظلالها متشابكة على الجدران البيضاء. وعلى الرغم من أن أشجار الكستناء في الفندق، وأشجار الليمون في ساحة القرية كانت تخفّف الضوء، لكنه كان ما يزال قويّاً ومن الصعب النوم خلاله.

«من المؤسف إيقاظها، أليس كذلك؟»

فتحت سالي عينيها ثمّ أغلقتهما بعنف. ألم يكن كافياً ما ساءها من كيمب ويتيكر في اليقظة حتّى تحلم به أيضاً؟ وإن كان هو الذي يهزّها هكذا، فلحسن حظها أنها مرتدية ثوب نومها القطني المحتشم والذي يغطي كتفيها اللّتين كان يمسكهما الآن بقوّة.

«من المؤسف إيقاظك يا عزيزتي، لكن هناك مرضى آخرون بانتظاري.»

فتحت سالي عينيها بسرعة إذ شعرت، أن من يهزها كان امرأة. نعم، لقد كانت امرأة حقّاً ذات شعر فضّي، ترتدي نظّارة فضيّة الإطار.

سمعت كيمب يقول: «سالي، هذه الطبيبة أليس كاموتزي. أليس، هذه هي مريضتك سالي بنيدكت.»

تخبّطت سالي بين وسائدها ثمّ جلست مستقيمة وفي نيّتها التنفيس عن غضبها، غير أن الكلمات لم تخرج من فمها لأن عقلها وصوتها لم يكونا قد استفاقا تماماً بعد. وبينما راحت تفتح وتغمض عينيها كسمكة مذهّبة، اتّخذ كيمب لنفسه كرسيّاً عند النافذة تاركاً الطبيبة كاموتزي تكشف الدثار عن ساقي المصابة.

www.rewity.com

«هل تسمحين؟» وكان استئذانها كلامياً فقط، فقد انكبّت مباشرة على الركبة المصابة تعالجها. نظرت سالي بفزع إلى ركبتها بينما كانت الطبيبة تعالجها بيدين رشيقتين انهتا العمل بسرعة.

«توقفي عن أخذ الأسبرين.» ثمّ التقطت حقيبة سوداء لا بد أن تكون قد وضعتها قبلاً على الأرض بجانبها وانتصبت واقفة. نقرت على الحقيبة وأضافت: «لست بحاجة لأي شيء من هنا. ارتاحي لمدّة ثلاثة أيام، أو ربّما أسبوع.»

«أسبوع! لا أستطيع أن أبقى في فندق سويسري كل هذه الفترة.»

تبادل كيمب ويتيكر النظرات مع الطبيبة ثمّ قال: «حسن، ساهتمّ بها أنا الآن.»

ابتسمت الطبيبة، ثم صافحتهما وغادرت. وبينما كان الباب يغلق خلفها سألت سالي بحدة: «على كل الأحوال، من طلب منك أن تحضر لي طبيباً؟ فقد يكلّفني ذلك الكثير.»

لكنه كان يبدو في بالغ السرور والانتعاش هذا الصباح، وكان يرتدي قميصاً مقلّماً أدخله في السروال القطني الذي كان يرتديه بالأمس، أو في سروال يشبهه، أجابها: «لست أنت من سيدفع بل أنا.»

أتشكره لأنه تدخّل في أمورها الخاصة؟ قالت له وهي مدركة كم ستبدو ناكرة للجميل: «لكنني لم أكن بحاجة لإحضار الطبيب.»

تمدّد على الكرسي، فبدا مثالاً للرجولة القويّة المترعرعة في الطبيعة وقال: «كنت أنا بحاجة لاحضاره، فقد كنت أريد أن أتأكد من أن الإصابة لم تكن بليغة.»

«آه، عظيم.» استدارت لتواجهه وأردفت: «لقد أرحت عقلك، أما

أنا فقد أصبحت وبقرار من الطبيب معطّلة عن العمل لمدّة أسبوع.»

«أستطيع إعادتك إلى الوطن إن كان ذلك ضرورياً.»

«أحقاً ستفعل؟ إنّ موعد إقلاع طائرتي في الثامنة.»

رفعت المنبه ونظرت إليه بذهول، كانت تشير إلى أن الساعة قد تجاوزت الخامسة والنصف. رفع ساعته ليريها الوقت وقال: «إنها الحادية عشرة إلا عشر دقائق.»

«لماذا لم تختار طاقة بطارية المنبه، وقتاً أفضل، كي تنفذ؟» ورمت المنبه الصغير على الفراش وقالت بيأس: «لقد حان تقريباً الوقت الذي كان يجب أن أتواجد فيه في العمل.»

غير أن كيمب قال بفرح يبعث على الاشمئزاز: «لقد رأيت المصور يغادر المكان بينما كنت في الأسفل أحضر الرقائق للفطور.»

«كان أيقظني لو أنه حقاً فعل ذلك.» ولكنها تذكرت متاعبها مع هاري قبل أن تفرغ من كلامها، أضف إلى أن كلاهما كانا متأكدين من أنها كانت ستستيقظ قبله بساعات. وبرغم أن كيمب لم يعرف ذلك، فقد ثبّت شكوكها إذ قال: «ربما ظن، متأكداً، أنك غادرت قبله، فقد بدا في عجلة من أمره، كمن ينتظره أحد.»

«أتظن أنه أدرك الطائرة في الوقت المناسب؟»

«إذا كان موعد الاقلاع في الثامنة كما ذكرت قبلي.» نظر إليها بتمعن لبعض الوقت، مقطباً حاجبيه بين الفينة والأخرى، ومسنداً رأسه الأشعث إلى النافذة الخضراء المرقطة، كان بامكانها أن ترى لون عينيه في ضوء الصباح الساطع.

كانت عيناه ثاقبتين، رماديتين مائلتين إلى الزرقة، تلاحظان وتسجلان كل شيء في تقارير ترفعها إلى الدماغ

www.rewity.com

المنكب على تحليلها. اقترح عليها في نهاية المطاف: «هناك طائرات أخرى، أستطيع أن أحجز لك مقعداً وأقلك إلى المطار.»

«أتفعل ذلك؟ أرجوك.»

ردّت الدثار عن رجليها ثم أنزلتهما إلى الأرض واستطردت: «بامكانك أن تتصل بالمطار من هنا.» ولكنها ما كادت تقف حتى بدأت تعاني من الألم وتمايلت وعلى الفور، اندفع كيمب إلى جانبها وأشارت هي بكفها مبعدة إياه عنها وقائلة بفظاظة مقتضبة: «أستطيع أن أقوم بأعمالي بمفردي.» حاولت ألا تلاحظ تلك الرائحة البرية التي لم تكن رائحة صنوبر، أو سرخس، أو مسك، بقدر ما كانت رائحته هو نفسه.

ظلّ كيمب قريباً مترقباً بينما مشت مترنحة إلى الحمام، فقد كانت ركبتها قد تصلّبت أثناء الليل فراحت تنحرف مطيحة بها يمنة ويسرة كلّما حاولت أن تضع ثقلها عليها. أطبقت يدها على مقبض باب الحمام وقالت: «إبدأ البحث عن الطائرات المغادرة فأنا بحالة حسنة.»

ولكن كلماتها هذه لم تتمكن من خداع العينين الرماديتين المائلتين إلى الزرقة، فقال لها: «أنت لست على ما يرام، وركبتك ما تزال تؤلمك، أليس كذلك؟»

«لكني أستطيع السفر.» أدركت عجزها عن ذلك حالما جلست في الحمام، إذ عندما زال ضغط الوزن عن ركبتها المتألمة، تراجع الألم فاسحاً لها المجال لأن تتخيل نفسها وهي تقفز على رجل واحدة صاعدة الطائرة هنا، ونازلة منها في لندن. كما تصورت كيف ستدخل المكتب مترنحة وتمشي متمايلة إلى غرفة مجلس إدارة كينغفيشر لتجتمع بمارك. عندها، اعترفت في نفسها أنه لا جدوى من سفرها، وقررت أن تبقى في الفندق حتى تشفى.

كان كيمب ينتظر قرب الهاتف عندما خرجت من غرفة الحمام مرتدية فستانها، فبادلت نظرته المستفسرة بهزة خفيفة من رأسها، ضاغطة على نفسها لاخفاء ألمها، ثم ترنحت عائدة إلى السرير وهي تشعر بالسرور، بينما وقف كيمب قريباً منها مستعداً للمساعدة.

قال لها بعد أن رفعت قدميها إلى السرير: «إني مسرور لأنك فكرت بالموضوع بشكل أفضل، فربما كنت ستسببين لنفسك ضرراً مستديماً.»

«أوتعتقد أنني لم أفعل ذلك؟» وفكرت في المهمة التي كان قد أسندها إليها كينغفيشر وقد قاربت على الانتهاء، فهي كانت قد أنجزت كل القرارات تقريباً، خططت وأشارت إلى مكان ابتياع الاعلان، وأبقت على هاري صاحياً بينما كان يلتقط صورها الملهمة الساحرة التي لم يكن بوسع مصور آخر إخراج مثلها. وهكذا، لم يبق سوى الجزء الممتع من العمل، كاختيار اللقطة التي ستستعمل، تركيب الاعلان في صيغته النهائية، طلب المساحة المناسبة في عدة مجلات، وأخيراً، وبعد كل جهدها المضني عليها حضور الاجتماع لوضع تقريرها.

«إن وظيفتي قد لا تتعافى أبداً.»

اعتذر كيمب ببساطة كمن كان يعني اعتذاره: «إنني حقاً متأسف، غير أن الأمور قد تبدو لك أفضل بعد أن تأكلي.»

ردّت سالي شعرها بعنف إلى الوراء مجيبة على اقتراحه: «لن يحل قليل من الأكل شيئاً في المشكلة!»

«سترين.» التقط سماعة الهاتف ثم تابع: «فأنت قد تأخرت كثيراً عن تناول الفطور.»

عندما سمعته يطلب الطعام بالهاتف بلغة ألمانية سليمة، ازداد

كرهها له، وأنحت بكل اللوم عليه، بسببه أنهارت كل خططها وأصبح بامكان معاونتها الجديدة استغلال الفرصة التي طالما انتظرتها.

لقد بدأت تارا سبنس، منذ وصولها إلى العمل قبل شهر ببنا امبراطوريتها الخاصة وأصبح بامكانها الآن أن تتدخل وتضع اللمسات النهائية على صفقة كنغفيشر، وتبدو تماماً بكفاءة مديرتها الغائبة التي قامت بكل الأعمال الشاقة. كلا، ستبدو أفضل من إدارية حمقاء، آذت نفسها وتأخرت عن موعد طائرتها فاضطرت إلى البقاء في سويسرا.

قطع كيمب عليها أفكارها قائلاً: «إن الطعام في طريقه إلى هنا.» ثم وضع السماعة مكانها وتابع: «ستتمتعين به.»

«أتريد أن تراهن؟»

ولكنها استطيبته، فما أن فتح الموظف المتدثر بزيّ الفندق الباب، حتى أثارت رائحة الخبز الطازج والقهوة الجيدة شهيتها، بعد أن وضع الطاولة الصغيرة ذات الأرجل القصيرة فوق ركبتيها، وأصبح من الصعب عليها الانتظار أكثر. كانت البيضة المسلوقة المضاف إليها كمية كبيرة من الزبدة أطيب بيضة ذاقتها في حياتها، ورقائق جبنة الغرويير الحارة لذيذة جداً. ومربى الكرز مثالاً راقياً لطعم الفواكه. أما القهوة، والرقائق الجافة، فقد اختفت قبل أن تشعر أنها تناولتها.

بينما كانت تأكل أخذ كيمب يحدثها عن القلعة، التي رممها مؤخراً كي يحولها إلى منزل. علّقت سالي وفمها مليء بالرقائق والزبدة: «أستغرب أنهم سمحوا لك الحصول عليها.»

وافق معها قائلاً: «لم يكن ذلك سهلاً، فقد كان عليّ أن أقطع عهوداً متعددة بشأن الحفاظ على سلامة البناء وطرازه الأثري.»

«أترغب في شيء من القهوة؟» عرضت سالي بتردد ثم أفرغت الإناء. «بامكاننا دائماً أن نطلب المزيد.»

«شكراً لك، فقد تناولت كل ما أحب على الفطور.» أزاح الطاولة من أمامها وقال: «الا يبدو العالم مكاناً أفضل؟»

«لماذا؟» سألته.

«بامكاني أن أعطيك سبباً، طيور البوم ما زالت في مكانها.»

حدّقت فيه بغضب وسألته: «أوعليّ أن أصفّق لهذا؟ فلقد تعطل برنامجي كله، قد أفقد الوظيفة التي أحبها أكثر من كل شيء، بالإضافة إلى أني متألمة.»

«هل أنت حقاً متألمة؟» واستدار نحوها في اهتمام صادق مضيفاً: «أتظنين أن ضمادة باردة قد تساعد؟»

تملصت من عرضه هذا وضميرها يؤنبها لأنها كانت قد بالغت بتقدير ألم ركبتها وقالت: «هل تستطيع أن تساعدني على الاحتفاظ بعقد شركة كينغفيشر؟»

«شركة كينغفيشر؟» وارتمى على الكرسيّ باحثاً في ذاكرته ثم سأل: «أليسوا هم أولئك الذين ينظمون رحلات الصيد الفاخرة؟»

صححت سالي: «رحلات الصيد الباهظة الخاصة. نعم هم، والأصح هو، أن الشركة ملك مارك.»

«أأفهم من ذلك أنه مارك والش؟»

«أنت تعرفه إذن؟ انتظر، لا بد أن تعرفه.» وتذكرت أن شركة كينغفيشر كانت قد بدأت عملها قبل أن تنتقل وظيفة إدارة اعلاناتها إليها وأضافت: «لقد ظهر في برنامجك. أليس كذلك؟»

هزّ رأسه وقال: «إنه يدعي إدارة أنظف شركات السفر في أوروبا.»

www.liewity.com

شعرت سالي بقليل من الانزعاج من لهجته المشككة وقالت: «سيبيع ستة أماكن فقط هنا في فندق انكلدورف في كل من الأسابيع الثلاثة المفتوحة للصيد.»

«أشك في أن يكون قد تمكن من الحصول على مزيد من التراخيص.»

وافقت سالي: «لم يتمكن، فالقوانين هنا صارمة جداً.»

دبّ الفتور في عينيه الرماديتين المائلتين إلى الزرقة وسأل: «إذن، فقد حاول. إنه لم يتغير بعد، فهو ما يزال يتصرف كأنه عطية الله للطبيعة بينما هو في الواقع يستغلها بكل الطرق التي يستطيع.»

احمرّ وجهها غضباً لسماع عبارة: «... عطية الله...» وقالت: «ليس هذا عدلاً، إنك فقط تريد أن تهز إيماني بعميلي..»

«إذاً، أنت تتعاملين مع مارك والش.» رمقها بنظرة من رأسها حتى قدميها، ثم رفع عينيه إلى السماء قائلاً: «يا حبيبي!» بسخرية كمن اكتشف شيئاً.

تراجعت سالي إلى الخلف وقالت: «يا له من تعبير بشع!»

«ومعناه بشع أيضاً.» ثم سمّرها بنظرة لا تبعث على الراحة وأضاف: «كم لك من الوقت في هذه الوظيفة؟»

«شهران، لكن لا أجد ذلك من شأنك.»

«شهران!» ارتفع الحاجبان المنحنيان القويان ساخرين مرتابين: «أولم تقولي لي الليلة الماضية إنك عذراء؟»

أحست بالحرارة تندفع إلى وجنتيها وهي تقول: «ماذا؟ كيف تجرؤ على استعادة ذلك خاصة وأن عنفك هو الذي دفعني لقول ذلك؟»

رد بغضب مماثل: «العنف، أهذا ما تطلقين على كل الجهد

الذي بذلته لمساعدتك على الشفاء من إيقاع الضرر بنفسك؟ إنك تعرف تماماً ما أعنيه. إنه أمر لا تتكلم المرأة عنه في الظروف الطبيعية، وخاصة إن كانت تعمل لدى مارك والش.»

سحقت ذكريات تلك الأمسية الرائعة التي قضتها مع مارك سالي وما آلت إليه من نهاية تعسة. مهما يكن، فقد أمسى متأكداً من ردة فعلها على أي تصرف من هذا النوع.

انتصبت واقفة كأي شخص عادي برجلين سليمتين، برغم أن الألم كان يمزق ركبتها وقالت: «إنني لا أعرف إلى ما تلمح.»

وقف كيمب لبرهة حاجباً زهور أشجار الكستناء الوردية وقال: «أنا لا ألمح أيتها السيدة، ولكني أقول لك إن كنت تختلطين بذلك الرجل، فاحذري. لا توجد قوانين صيد تحمي النساء.»

صرخت فيه سالي قائلة وهو يتجه إلى الباب: «أوتعتقد أني لا أعرف ذلك، أنا التي هوجمت في الغابة؟»

استدار كيمب ليواجهها ويده على مقبض الباب قائلاً: «ألن تدعيني أنسى ذلك أبداً؟ ألم أقم بما أستطيع لكي أكفر عن خطأي؟»

«لقد أحضرت طبيباً لتريح ضميرك.»

«والآن أنا ذاهب لأدفع أجرة غرفتك لمدة أسبوع لكي أريح ضميري أكثر.»

فتح الباب ثم تابع: «ثقي تماماً أنه كلما قصرت فترة بقائك طريحة الفراش، تزداد راحة ضميري.»

«ومهما قصرت، ستظل تبدو طويلة بالنسبة لي.»

غير أنه كان قد أغلق الباب فلم يسمعها.

«يا له من سلوك!» سارت مترنحة إلى الطاولة طلباً لحقيبتها.

www.rewity.com

لم تكن متشوقة للاتصال بالمكتب وتقديم تفسيرات عما جرى، لكنها كانت مضطرة لفعل ذلك، وكان من الأفضل أن تقوم بذلك في أقرب وقت، فعلى الأقل، تستطيع هكذا أن تثبت أنها أنهت هذه المرحلة من العمل.

بعد دقائق قليلة، وبتودد سألت تارا على الطرف الآخر من الخط قائلة: «وهل تؤلمك كثيراً؟»

تجاوزت سالي التعاطف المعسول متسائلة عن سبب تعاطيها بفتور واقتضاب مع هذه الفتاة الأدنى منها مركزاً، وقالت: «لن أموت. هل اتصل بكم هاري أم لا؟»

«كلا، لكن...»

قاطعتها سالي قائلة: «قد تضطرين للذهاب في أثره، عنوانه موجود في دفتر العناوين.» غير أنها كانت تدرك أنه على الأرجح سيكون الآن جالساً في مقهاه المفضل يتناول وجبة الغداء وفضلت أن تقوم تارا بالبحث عنه.

أما تارا، فقد بدت واثقة من قدرتها على احضاره عندما قالت: «سأجعله يحمض الصور، كما أني سأشرح لمارك ما جرى لك.»

«إني متأكدة من أنك ستفعلين.» كان بامكانها أن تتصور كيف سيكون الشرح، ولكنها فضلت ألا تفعل ذلك فمارك الذي لم يكن قد التقى تارا بعد، كان بالتأكيد سيعجب بذلك الشعر الذهبي، تلك العينين المتقدتين بنظرات حانقة. ولكي تحول ذهنها عن الموضوع، راحت تقفز على ساقها السليمة لتجلب حقيبتها الصغيرة الموضوعة على الحامل غير أنه لم يكن ذلك ليساعدها كثيراً، فما يضعه المرء فيها من ثياب لزيارة مدتها نهار وليلتين، يختلف تماماً عما قد يضعه فيها في ما لو عرف أنه سيبقى أسبوعاً. لقد كان عليها اليوم أيضاً أن تلبس سروالها

القطني نفسه والقميص القطني الأزرق اللذين لبستهما البارحة في جولتها حول القرية. وتمنت لو أنها وضعت المزيد من القمصان بدل هذا الفستان الحريري ذا اللون الأحمر الفاقع والذي جعل هاري يظن بها ظنوناً متنوعة في المقهى مساء البارحة.

ما أن انتهت من الاستحمام حتى راحت رجلها السليمة تؤلمها لأنها كانت قد ألقت كل وزنها عليها أثناء الاستحمام. ولكنها على الأقل، أمست نظيفة، مرتدية ثيابها، وفي حالة عقلية مناسبة للرد على الهاتف.

«مرحباً أيتها العزيزة.»

أغمضت سالي عينيها، وأخذت نفساً، ثم ردّت على التحية المألوفة بقدر ما كانت تستطيع من خفة: «مرحباً مارك.»

«أيتها الصغيرة المسكينة، ماذا فعلت بنفسك؟»

«لا شيء، كل ما في الأمر هو أنه عليّ أن أرتاح لأسبوع.»

ردّ مارك: «حسن، حسن.»

تلا ذلك فترة صمت قصيرة، فكرت فيها سالي، بأن مارك ينقر الآن على الأرجح بقلمه الذهبي على تلك اللعبة الدائمة التحرك في مكتبه الزجاجي المرتفع في سماء لندن، كما كان يفعل دائماً عندما كان يستغرق في التفكير، أو يكون الآن يمرر أصابعه المطلية الأظافر في شعره الذهبي الذي لا يلبث أن يعود إلى الوضع السابق.

«إذن، ستبقين في فندق انكلدورف؟»

«نعم، أعتقد ذلك.»

وارتفع الصوت الرقيق متخذاً نبرة حادة: «ألديك فكرة عن الكلفة أيتها العزيزة؟»

www.kewity.com

«لا تقلق، أستطيع أن أدفع ذلك.» أسرعت لتطمئنه بأن الكلفة لن تحسب على الشركة وأضافت: «يقول الطبيب...»

غير أنه قاطعها مستغرباً: «الطبيب! أوتستطيعين دفع ذلك أيضاً؟»

«لست مضطرة للدفع، فكيمب ويتيكر سيدفع.»

مرت فترة صمت ثانية، غير أن تفكير مارك انتقل إلى سالي نفسها هذه المرة، قطع مارك الصمت سائلاً بتوتر مفاجىء يدل على أنه انتصب في جلسته: «من قلت؟»

ردت مرتبكة بسبب هذا التغير الطارىء في صوته: «كيمب ويتيكر، ألا تعرفه؟ رجل برنامج الحقيقة.»

عندما تكلم مارك في المرة التالية، كان الاحترام يبدو من نبرته إذ قال: «إنك لم تقضي بعد سوى أربع وعشرين ساعة خارج الحدود، وتمكنت في خلالها أن تجعلي شخصية تلفزيونية تدفع حسابك!»

أسرعت سالي وقد ذعرت، لتصحح ذلك الانطباع الرخيص الخاطىء الذي تركته لديه سهواً: «لا يدفع... لا أقبل... الأمر خلاف ما تظن تماماً، لقد صادف أنه يملك أرضاً هنا، وأنا...»

غير أنه قاطعها قائلاً: «أيعني ذلك أنه يعيش بالقرب من انكلدورف؟»

«هناك، فيها... في القلعة، لكنه يا مارك.» وإذ تذكرت أنهما كانا قد التقيا، أضافت: «ألم تجده كريهاً؟»

ردّ عليها مداعباً: «وكان ذلك يغير في الأمر شيئاً. أصدقك القول، إنني أسرح في التفكير بك أحياناً.»

تمتمت خجلة من توبيخه المبطن: «إنني... لا أعتقد... إنه لا...»

تعجب مارك قائلاً: «يعيش في القلعة! ويدفع حسابك!»

«فقط أجرة الطبيب. فقد كان هو... يا إلهي.» وعندما يئست من تصحيح فكرته تابعت: «كان سقوطي بسببه.»

«إذن فهو مدين لك بواحدة؟»

«أنا لا أفكر بالموضوع كهذا.»

غير أن مارك أعاد القول بلهجة حاسمة: «إنه مدين لك بواحدة، فأنت لن تجدي صعوبة في الحصول على دعمه.»

ردّت مرتبكة: «دعمه! ماذا أستطيع أن...»

«نعم، بالنسبة للكتيب. رجل الحقيقة؟ هو عالم طبيعي مشهور. وحامي البيئة في كل المنطقة التي أحاول أن أبيع فيها.»

«لكن يا مارك، هو لن يقبل أبداً...» تلعثمت، إذ تذكرت ازدراء كيمب ويتيكر الجارح للشركة ولكل ما يمثله عالم الأضواء هذا، وأصبحت جزءاً منه للخمس سنوات الأخيرة.

قال مارك موجهاً: «اجعليه يفعل ذلك، فأنت تتقاضين أجرك مني على أعمال كهذه أيتها الحلوة.»

ترددت قائلة: «نعم، أظن ذلك صحيحاً.»

أضاف مارك بصوت ازدادت حرارته: «كيمب ويتيكر، في بيته، قلعة انكلدورف! كل ما نحتاج إليه هو إذنه وصورة.»

أعادت سالي كلمته «... كل ...» بيأس مضيفة: «ألديك أية فكرة عن شعوره تجاه الإعلان؟»

«أعتقد أنه لديّ فكرة، خاصة وأني أستغل برنامجه، لكن ذلك.» كانت آخر كلمة تلميحاً صلباً تخلل النغمة الهادئة. «كان ذلك قبل وجودك في مساعدتي.»

أحست سالي برعشة إذ تذكرت أن مارك كان يستعين حينها

www.rewity.com

بسوليفان بروك... وتساءلت دوماً عن سبب تركه الشركة. هل من الممكن أن مارك يهددها الآن بالمصير نفسه؟

قال مارك بلهجة مغازلة: «هيا يا سالي، تستطيعين فعل ذلك، وساكون مسروراً منك جداً.»

سألته متمزقة: «أسيسرك ذلك حقاً؟»

«كيف لا؟»

لقد اختفى فتور الأسابيع الماضية من كلامه، عاد مارك الساحر في أفضل ساعاته، كما كان عندما سلمها العقد. وجدت سالي نفسها، بتأثير من ذلك السحر، تعده بالمحاولة.

غير أنها ما أن أعادت السماعة إلى مكانها حتى أحست بجسامة ما كانت قد تعهدت به لمارك، فهل ستبدأ من جديد طلب الخدمات من كيمب ويتيكر، خاصة وهما لم يتبادلا أي كلام مهذب منذ لقائهما إن كان يصح أن تسمى تلك الحادثة التي كان سبب كل متاعبها لقاءً؟

كيف تبدأ طرح الموضوع على كيمب؟ أتتصنع الأهتمام بطيوره؟ كلا، فهو سيدرك دوافعها.

أرعبتها فكرة الاعتذار، التي أغفلتها حتى الحين بسبب تسارع الأحداث، وأدركت في النهاية أنه كان محقاً في انزعاجه، فان كان قد أخطأ في إخافتها، فقد أخطأت هي أيضاً بتعديها على حرمة أرضه.

اعترفت بينها وبين نفسها بحسرة، إن صوتها العالي لم يكن عذباً ومن المؤكد أنه كان سيجفل البومتين.

وتذكرت كيف تمكنت الليلة الماضية، من أن تجعله يدرك ما أوقعه بها من ضرر. فعلى الرغم من أنه كان ما يزال غاضباً من إخافة البومتين، استوعب قصدها وقدم اعتذاراً صادقاً. نعم، لقد

كان وقحاً وغير مهذب، اعتذاره كان صادقاً مما خفف عن سالي كثيراً.

وقرع الباب بعد خمس دقائق، فأجابت سالي: «أأنت السيد ويتيكر، تفضل أدخل.» وإذ ذاك، دخل ووقف قرب الباب، ثم قال: «من الأفضل أن تناديني كيمب.»

حدقت فيه بتعجب، فيما هي جالسة، متانقة ورجلاها فوق السرير وتساءلت: لماذا هذا الطلب المفاجيء لاستعمال اسمه الأول؟ ولماذا كان يبدو مرتبكاً إلى حد الخجل تقريباً؟ فقد سار إلى الكرسي وارتمى عليه من غير أن يرفع إليها نظرة مرة واحدة.

أما هي، فقد أمسى لديها مهمة أخرى، كان من الأفضل أن تبدأها فوراً، وهو كان ما يزال في حالة تسهل عليها الحصول على جواب إيجابي. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «إنني آسفة لما قمت به من ضجة قرب بومتيك.»

فقطب حاجبيه ونظر إليها بتعجب سائلاً: «ماذا؟»

أسرعت سالي لتضيف وبشعور صادق: «ومسرورة أيضاً لأنهما لم تهربا.»

غير أنه لم يقتنع بسهولة، بل قال لها: «لم يبدُ عليك السرور عندما أخبرتك عنهما.»

«لقد فكرت بالموضوع بشكل أفضل أثناء غيابك.»

وبرغم ذلك، ظلت عيناه الرماديتان المائلتان إلى الزرقة تحدقان إليها في ثبات وقال: «هل حان الوقت لتغيري اتجاهك ١٨٠ درجة وتبدين اهتمامك بالحياة البرية فجاة؟ هل حقاً ستتوقفين عن إقامة الدنيا وإقعادها حول تغيير برنامجك وفقدان عملك؟»

www.rewity.com

«أوتسمي اهتمامي بعملي ضجة، بينما قد لا تجد مشكلة في أن تحمل إليّ بعض الطيور؟»

«ولكنك كنت قد أبديت أسفك لازعاجهما منذ دقيقة.»

«نعم إنني حقاً آسفة.»

اتكأ إلى الخلف مستشعراً نصره وقال: «كدت أن تخدعيني، فأنت لا تتصرفين كالآسفين.»

«آه، يا لك... يا لك!» غير أنها توقفت وهي تصارع فورة غضبها، إذ أدركت أن تهكمها ليلة البارحة أغضبه إلى حدّ كبير، ثم راحت تفتش عن أساليب أخرى لتستعملها في طرح موضوع الكتيب الإعلاني وتمكنت أخيراً من أن تقول وهي تضغط على نفسها: «إن عملي يعني الكثير لي، وأنا قلقة جداً بشأنه. الا تعتقد أنه ليس لطيفاً أن تسمي قلقي هذا حباً باثارة الضجة؟»

اندهشت لتأثره، إذ امتد صمته، وتحول إلى واحدة من فترات التفكير الطويلة، التي بدأت تلاحظ أنها كانت إحدى خصاله، عندما يتمعن في أي موضوع.

«أنت على حق. كان عليّ ألا أتكلم عن إثارة الضجة، ولكن اسمعي.» حرك قدميه ونظر من النافذة، ثم إلى ساعته وأضاف بخجل: «لديّ أخبار سيئة.»

حاولت سالي أن تمازحه وهي خجلة من المهمة التي أسندت إليها فقالت: «لا تقل لي أنني سأطرد بسبب ما ألحقت من ضرر بالحياة البرية السويسرية.»

ابتسم مرتاحاً وأجاب: «ليس إلى هذا الحد. بل، إن الفنادق جميعها محجوزة حتى نهاية الأسبوع، وهم بحاجة لغرفتك.»

أحست سالي بشيء من الراحة إذ تذكرت أنها كانت ستدفع

أجرة غرفتها فقالت: «أهذا كل شيء؟ إنه هراء، ولكن لا بد من وجود سرير في مكان آخر.»

ردّ شارحاً: «آه، لقد كان ذلك سبب تأخري.»

«أتعني أنه لا يوجد لي مكان آخر؟»

«إن عائلة وبير في رحلة ونزلهم مغلق، ونزل الـ هرديز مليء تماماً.»

«ولكن، ألا توجد أية عائلات أخرى؟»

واجه كيمب نظراتها متأسفاً وقال: «ليس هنا من يؤجر غرفاً سوى المزارعين.»

حدقت عبر النافذة مدركة حجم المشكلة. فالمدينة التي كانت توحي بها أشجار الكستناء المقلمة في الفندق، لم تكن لتعكس حقيقة المدنية في المنطقة، إذ أن الفندق الأنيق وساحة القرية المنظمة، كما البيوت المريحة كانت تجعل المرء ينسى كم كان فندق انكلدورف مرتفعاً عن الوادي، الذي ينتهي إلى بعض المزارع المعزولة وأميال من الغابات المؤدية إلى الجبال. تأملت فيه من جديد ثم قالت: «لا بد أن يوجد مكان ما.»

ردّ عليها بتردد: «بامكاني الاتصال بأحد الفنادق في أسفل الوادي.»

هل كان محتماً عليها أن تتجشم عناء الانتقال لمجرد الوصول إلى مكان ليس فيه أحد يعرفها أو يساعدها؟ وإذ ترددت هذه الأفكار في ذهنها، أجابته بتردد مماثل: «نعم، أعتقد أنه من الأفضل أن تفعل.»

وإذ ذاك، رفع قدمه ونظر إلى مقدمة حذائه ثم قال: «اسمعيني إلى النهاية. فقد أردت فقط أن أعلمك بالبدائل أولاً، برغم أنني أعتقد أن أفضل مكان ترتاحين فيه سيكون منزلي.»

www.rewity.com

«القلعة؟ كنت أعتقد أنك تقيم فيها أيام الراحة فقط، وأنه ليس لديك سوى غرفة للاستعمال، أليس ذلك صحيحاً؟»

أسرع كيمب إلى طمأنتها قائلاً: «لدي المزيد من الغرف، ولكن سأقيم أنا هناك، بينما أنت تشغلين منزلي في المزرعة، فهو في الواقع في أسفل القلعة مباشرة.»

أدركت سالي أن ذلك سيقلص الشائعات إلى أقصى حد وقبلت بتردد قائلة: «أشكرك.»

يُفترض بها أن تقفز فرحاً لهذا العرض، الذي أعطاها الفرصة المناسبة لتحسن علاقاتها به وتطلب منه المساعدة في موضوع مارك. ولكن، لماذا كانت تشعر بالتردد هكذا؟ لماذا سرّت عندما وجدت اعراضاً عملياً على خطته؟ «فيكف ساتمكن من رعاية نفسي؟»

«سأحضر السيدة هيوبر من القرية للمساعدة، فهي سيدة محترمة جداً.»

نعم، لم يكن ذلك سوى وسيلة أخرى لتقليص الشائعات.

«وبذلك لن تكون مضطراً للاقتراب مني.»

لم ترحب سالي بالفكرة، خوفاً على خطط مارك، التي كان مجرد التفكير فيها يبعث الرعشة في أوصالها. ليس هذا فحسب، بل لأن شعوراً غامضاً كان يدفعها إلى ذلك.

وافق معها كيمب قائلاً: «نعم، سوف لن أكون بحاجة لزيارتك، ولكن سأفعل.»

وإذ التقت عيناها بعينيه الرماديتين الماثلتين إلى الزرقة، رأت فيهما أنه كان صادقاً، صبوراً جاداً وهو يضيف: «إن أقل شيء أستطيع فعله هو مساعدتك على الشفاء. إن هذا دين لك علي.»

الفصل الثالث

«راقبني!»

فتحت سالي ذراعيها بحركة مسرحية، ثم قامت واقفة على رؤوس أصابعها، وراحت تمرح على العشب الريان، مجتازة الفسحة الثمينة من الأرض المنبسطة، وأنهت عرضها بتحية راقصة باليه لتريه قوة الركبة التي كانت قد آلمتها في ما مضى.

أما كيمب، فظل خارج البوابة الصغيرة وقال: «احذري، لا نريد أية انتكاسة جديدة.»

عادت إلى الكرسي المخصص للحديقة لتلتقط الكتاب الذي كانت تقرأه مضيفة: «إنها لا تختلف أبداً عن ركبتي السليمة.»

«إنني سعيد بذلك، برغم أنه...» توقف ثم أنزل نظره إلى البوابة وفتحها كمن كان يولي عملية فتحها البسيطة كل انتباهه.

«برغم أن، ماذا؟» التقطت الكتاب ثم عادت متبخترة عبر البوابة لتقف أمامه على رؤوس أصابعها متابعة القول: «برغم أنني أتراقص كالمجنونة؟»

«إن كان ذلك تراقص مجانين، فهو يعجبني.» أغلق البوابة بانتباه شديد، ثم أشار إلى درج البيت الحجري مضيفاً: «ألا تعتقدين أنه يجب علينا الدخول؟ إن السيدة هيوبر تكره أن تترك الطعام ينتظر آكليه.»

«إن الطعام سلطة، والسيدة هيوبر...» تلعثمت لأن عينيه

www.rewity.com

نظرتا في عينيها بتلهف، إلا أنها تمالكت نفسها وتابعت: «والسيدة هيوبر قد غادرت.»

لم تكد تنهي كلامها حتى أدركت أن مرحها منذ وصوله قد شدّ انتباهه إليها. كان قد قضى ثلاثة أيام من غير أن يراها، لكن تصرفاتها اليوم دفعته للنظر إليها من غير أن تدري.

أما الآن وقد حققت ما كانت تصبو إليه، فلم تكن واثقة من قدرتها على ضبط الأمور، لأنها قبل أن تتمكن من إزاحة نظرها عن نظره، وخفضه إلى مؤشر القراءة لتضعه في كتابها، لاحظته يخمد ويخفي بريقاً مفاجئاً في عمق عينيه الرماديتين المائلتين إلى الزرقة. وإذ أحست بلسانها يتلجلج وهي تقول: «لقد فكرت في ترتيب البيت، احتفالاً بشفائي.»

وضع كيمب إحدى يديه تحت مرفقها من غير أن تلمسها، ولكنها كانت كافية لتحريكها أمامه صعوداً على الدرج وقال: «إن لديك أفكاراً احتفالية غريبة. لو كنت أنا مكانك، لفضلت فكرة تناول الشراب على الشرفة.»

سرت سالي بهذه الفرصة لتغيير الموضوع، فتقدمته إلى الشرفة الضيقة المسوّرة بالقضبان الخشبية والمطلة على مناظر أخاذة وقالت: «الليموناضة جاهزة، وبالطريقة التي تحبها عند الظهيرة.»

انزلقت على المقعد الوحيد الذي كان على الشرفة، أمام طاولة تحمل طبقاً مذهباً عليه ابريق وكوبان متشابهان. حفر على الأبريق قوس قزح، يغص بمكعبات الثلج، وكانت الرسوم الماسية على الكوبين تتألق، تعكس ظلال شجرة الخبازي الخضراء الممتدة على طول الحاجز الخشبي، كانت القرية قد هدأت في فترة الظهيرة، وتدلى الضوء الساطع بشفافية فوق الجبال في الأفق.

همس كيمب: «أتسمحين؟»

كان سؤالاً شكلياً فقط، إذ أن المقعد القصير كان المكان الوحيد للجلوس في الشرفة، وثنى كيمب قامته الطويلة وجلس بجانبها، فاختلط ذلك العبير الغريب المجهول المنبعث منه بعبير أوراق الخبازي الخضراء.

أحست سالي وهي تأخذ الابريق بسرعة، أنه كان يحاول الجلوس على أبعد ما يستطيع عنها، ولكنه على الرغم من ذلك ما يزال قريباً جداً.

وضع كيمب منظاره على المقعد بينهما وقال: «هكذا إذاً، لم يبق ما يثنيك عن العودة إلى الوطن؟»

الوطن البيت. الفكرة أعادتها إلى رشدها، فالبيت لم يكن ليعني منزلها الأبيض في نيوتن، بل الشقة المزدحمة في كنغستون حيث كانت تسعى وراء شغلها اليومي.

وإذ شعرت بأنها لم تكن في عجلة من أمرها، أحبت أن تطيل فترة الأيام الثلاثة التي قضتها هنا، ثلاثة أيام من التسكع والمطالعة وتناول الوجبات البسيطة التي كانت تعدها السيدة هيوبر وترقب زيارات كيمب المسائية لها كل ليلة ليطلع على حالها.

منذ متى بدأ يعجبها، يعجبها حقاً؟ منذ متى بدأت ترى صدقه الكامن خلف سلوكه السيىء؟ وعلى الرغم من أنها لم تستطع تذكر وقت محدد، كانت تعرف أن شعورها كان نابعاً من تلك المصادفة السعيدة التي جاءت بها إلى هنا، فهذا البيت القديم كان مخبأه الأول، وبيته الحقيقي.

فكرت سالي مبتسمة بأنه أعاد بناء القلعة لأن شعوره الرومانسي لم يمكنه من مقاومة سحرها. اتي لزيارتها في

www.newity.com

المساء في اليومين الأولين، أما البارحة واليوم، فقد زارها في فترة الغداء أيضاً. وكان بودها أن تعزو ذلك لاستلطافه صحبتها، كما أحبت هي صحبته، غير أنها لم تكن متأكدة من ذلك، فهو لم يصرح بشيء برغم أنهما تحادثا كثيراً.

تكلم بحماس عن سني دراسته في الجامعة الملكية للطب البيطري، وعن منصب المحاضر في الجامعة، ذلك المنصب الذي انتقل منه إلى ولوج عالم التلفزة تدريجياً. وقد اعترف لها أيضاً: «وأنا ما زلت غير متأكد، إذا ما كنت قد فعلت الشيء الصحيح.»

احتجت سالي: «آه، لكن برنامج الحقيقة برنامج رائع.»

«لكنه أحياناً يصبح سخرية ملعونة تشبه الكثير مما يدور في هذه الحياة.»

على الرغم من أنه لم يكن يود أن يتكلم كثيراً عن حياته، علمت سالي منه تدريجياً، أن والده كان دبلوماسياً، وأن طفولته كانت طفولة مدللة قضاها بين أيدي المربيات، وفي المدارس الداخلية، وامضى اجازاته في عواصم متعددة من العالم. وإذ كانت سالي قد قالت له أن طفولته تبدو مثيرة، رد عليها نافياً إن تكون كذلك.

ثم شجعها على أن تخبره عن بيتها، والديها، وعن الحيوانات المفضلة لديها. وعن أخيها سايمون الصغير الذي كان من المحتمل أن يرسب في الثانوية العليا إن لم يتخل عن الطبيعة والهواء الطلق ويهتم أكثر بالدراسة. أحست سالي بالحنين إلى مسقط رأسها، وأحبت أن تزور أهلها في أقرب وقت.

أعلمها كيمب باعجابه بطبيعة أخيها، وقام بتحميض نسخة

إضافية في الغرفة المظلمة في القلعة عن الصورة التي التقطها لبيوض البوم، وخص سايمون بها.

وضعت الصورة في حقيبتها الصغيرة التي كانت منذ ثلاثة أيام تبدو بمحتوياتها غير مناسبة ولا كافية، لكنها في نهاية فترة النقاهة، لم تحتاج في هذا المكان سوى ما كانت تحويه تلك الحقيبة من سروال قطني وبعض القمصان.

راحت تسكب الليموناضة باعتناء شديد، حريصة ألا تضيع قطرة واحدة وقالت: «أستطيع أن أفهم كيف تعافيت بهذه السرعة، فلقد جربت أسلوب عيش مختلف تماماً.»

قاربت اجازتها القسرية على النهاية، وتعافت. ولكنها، في غمرة الفرح الذي اعتراها، تناست ولم تجرؤ على التحدث بشأن كتيب شركة كينغفيشر الإعلاني، وأن تطلب من كيمب موافقته على استعمال عنوانه وصورته في هذا الكتيب.

كلا، لن يكون بامكانها فعل ذلك، أياً كان حجم شعوره بأنه مدين لها، لقد كفر تماماً عن خطأه بدعوته إياها إلى هذا الملجأ الخاص الذي لا يعرفه العالم الخارجي. ولهذا، لم تذكر أي شيء يتعلق بشركة كينغفيشر أثناء فترة إقامتها هنا لأن أشياء أخرى استحوذت على اهتمامها كله.

قالت له بحسرة صادقة: «سوف تفوتني فترة تفقيس البيض.»

أدرك كيمب أنها كانت تعني فراخ البوم، التي كان من المتوقع أن تشق طريقها خارج البيوض في أية لحظة فقال: «ليس بالضرورة. هل نسيت أن غداً هو يوم السبت.»

أعادت سالي الابريق إلى مكانه باعتناء شديد وسألت متعجبة: «حقاً، إنني لم أشعر بمرور الأيام.»

www.rewity.com

قال كيمب وهو يركز نظره عليها: «إن السفر يوم السبت صعب جداً، فلم لا تبقين هنا حتى تنتهي عطلة نهاية الأسبوع؟»

«إنني أود...» توقفت قليلاً لتضبط الرجفة في صوتها ثم أكملت: «أحب ذلك كثيراً.» وقدّمت إليه الكوب المليء بالعصير، فتقبله بصمت، وقبل أن تتمكن من سحب يدها، أحست بأصابعها تلمس أصابعه.

التقطت أنفاسها خائفة من الأحاسيس التي اجتاحتها، والتي لم تكن قد شعرت بمثلها من قبل. وإذ وجدت أصابعها مضغوطة بلطف على الكوب الزجاجي، سرّتها برودة السطح لأنها كانت تخفف من وطأة حرارة تلك اليد التي كانت تطوق يدها. وحالما التقت عيناها بعينيه الرماديتين الماثلتين إلى الزرقة، لم يعد بامكانها رفض ما كانتا تطلبان. فأرخت قبضتها المتصلبة عن الكأس وعندما رفع يدها الباردة والدافئة في آن إلى شفتيه ولثمها، لم يعد بوسعها إلا أن تتركها تستقر هناك مأخوذة بدفء، ورقة، وصلابة اللثمة. ثم حضن يدها بكلتا كفيه. وأشار إلى منظاره الملقى على المقعد بينهما وقال: «أترين هذا؟ لقد أدى إلي خدمة جليلة.»

عاد صوتها إلى حلقها منخفضاً مخنوقاً لتقول: «هل تعني أنه لا يعمل؟»

وضع كيمب كفها على احدى كفيه ومرر أصابع الكف الأخرى على ظاهر يدها، ثم انتهى إلى تطويق معصمها بأصابعه وقال: «كلا، أستطيع أن أرى جيداً بواسطته، لكنه لم يحول بيني وبين لمسك.»

«هل ما زلت تتكلم عن المنظار؟»

«نعم، فلقد كان هذا هو السبب الذي دفعني إلى وضعه بيننا.»

تشجعت سالي على مواجهة نظراته وقالت: «لكن لماذا فعلت ذلك يا كيمب؟ ليس هذا فحسب، حتى أنك لم تكن ترغب في النظر إليّ أيضاً. لماذا لا؟»

«ألمس؟ أرى؟ ربما من الأفضل أن أعترف بكل شيء. منذ أن التقينا لأول مرة، وأنا أرغب في...» وتوقف باحثاً عن طريقة أخرى يعبر فيها عن مشاعره فأضاف: «يكفي ما ارتكبته من حماقة، عندما عانقتك في الفندق عندما كنت مرتبكاً.»

وجدت سالي في كلامه التبرير نفسه الذي اعطته لنفسها، حين تجاوبت معه. أما الآن، فقد راحت تنظر إلى الحادثة من زاوية أخرى، محاولة أن تهدىء أنفاسها، وتقاوم ذلك الاسترخاء الذي انتشر في جسمها انطلاقاً من معصمها المطوق، وقالت: «أعتقد أن كلاً منا كان في وضع غير مناسب.»

تنهد كيمب، ثم أنزل يدها إلى الطاولة برفق، وجرع الشراب المثلج دفعة واحدة ثم قال: «كان علي ألا أستسلم لرغبتي، غير أنني كنت ماكراً بعض الشيء، برغم أن إمساكي بك في الغابة لم يكن ليعني لي سوى الامساك بأرنب برية.»

نظرت بتعاسة إلى يدها المهملة على الطاولة وقالت متعجبة: «أرنب برية هي مخلوق بني اللون، صغير لا قيمة له؟»

«بل مخلوق بري ناعم يحمل أسراراً بامكان المرء أن يتعلمها إن كان صبوراً، ولكن للأسف، لم أكن أنا كهذا.»

«إذاً منذ ذلك الحين وأنت تدرسني.» راحت تتابع بيدها الرسوم المتألقة على سطح الكوب بأصبع واحد مدفوعة إلى ذلك بتلك الرعشة الباردة التي نجمت عن افتراق يديهما وتابعت: «لقد أحببت... الإقامة هنا يا كيمب.»

«ذلك شيء رائع، لكن...» توقف قليلاً واستقام في جلسته كمن

اتخذ قراراً هاماً وتابع: «اسمعي يا سالي، قد لا تحبين أن أذكرك بما قلته لي في الغابة.»

عضت على شفتها إذ كانت تدرك تماماً ما كان يقصد.

«لكن... حسن... إنها الحقيقة فأية فتاة لا تتورط في علاقة حسية بالسهولة نفسها التي تنظف بها أسنانها.»

إذ ذاك، أغمضت عينيها وردت عليه قائلة: «أما أنت فأعتقد أنك عرفت الكثيرات ممن يفعلن خلاف ذلك أليس هذا صحيحاً؟»

«نعم، لقد فعلت ذلك مرة، ولكننا الآن نتكلم عنك، وكيف أرغب فيك بصورة...» توقف ودفع بكأسه بعيداً وتابع: «بصورة عنيفة منذ أن لمستك لأول مرة. هل تفهمين الآن ما أعنيه؟»

هزت رأسها مندهشة لهذا العالم من الأحاسيس الذي لم تكن لتفهمه أو حتى تعتقد بوجوده من قبل. أما الآن، فقد أحست أن اعترافه كان يسهل عليها أن تقوم هي باعتراف مقابل.

فقالت: «تلك الليلة عندما عانقتني، كان بامكانك أن تستمر...»

«ولما لم أفعل!»

وواصلت بقليل من الخوف الذي نجم عن المقاطعة الحادة المعبرة: «أعني... لم أعن أنت فقط.»

«كلا، أنت تقولين لي إنك كنت ســ... سترحبين بما يأتي، أتظنين أني لم أشعر بذلك؟»

هل كان ذلك واضحاً جداً؟ هل كانت سهلة إلى هذه الدرجة؟ أخفضت سالي رأسها ورفعت يديها المتجمدتين إلى وجهها المتقد، فلم تر كيمب يمد يده إليها، لكنها أحسته يرفع ذقنها بأصابعه القوية.

أجبرتها تلك الأصابع بلطف والحاح على رفع وجهها، وانزال يديها، وإبقاء رأسها مرتفعاً.

طلب منها بصوته الأجش مبقياً إياها في مواجهته رافضاً تهربها: «لا تخجلي. لقد كانت تلك غلطتي.» ثم نظر في عينيها وعيناه تلمعان وسقطت يده إلى عنقها وتوقفت عند أول زر من قميصها، فأطلقت سالي زفرة مرتعدة، مما جعله يتراجع بسرعة.

ثم تكلم بجهد كمن ينتزع الكلمات من أعماق معتمة: «إذاً هكذا تشعرين عندما لا... لا أغريك؟ والآن، تخيلي لو أنني فعلت.»

غير أنها ظلت متجمدة في مكانها، خائفة مما تستطيعه هذه اليد الممدودة.

شجعها كيمب قائلاً: «هيا سالي، واجهي الحقيقة، فلو أننا تورطنا تلك الليلة، أو الآن بطريقتي...» ابتلع ريقه ثم تابع: «لو فعلنا ذلك ثم سألنا أنفسنا أسئلة بعد، لما راقت لك الأجوبة.»

«هل كنت حقاً سأفعل ذلك؟»

«نعم لأنك لا ترغبين في التورط إلا مع الرجل المناسب وإلا ستنتهين إلى كره نفسك وكرهه أيضاً.»

وإذ لم تكن تثق بصوتها، هزت رأسها معترفة بصحة ما قال، فلو حاولت الكلام، فما كان شيء ليحول بينها وبين طرح السؤال الذي كان يتردد على لسانها. السؤال الذي لم يكن بامكانها أن تتحمل إجابته الواضحة لها سلفاً. وإذ كانت تعرف الإجابة.

دفعها الكبرياء إلى القول: «وأنت، لست الرجل المناسب.»

جاءت كلماتها جارحة، فظة، ونهائية، فقد نسيت في سكرة الدقائق السابقة من يكون كيمب، وما هو مركزه، رجل تعرفه الملايين وتتبعه أينما يذهب، كان قد شوهد مع نساء بالجملة، فكيف يكون لها الفوز في المنافسة. وقطع عليها خيبتها صوته وكأنه آت من مسافة بعيدة.

«لست أنا بالرجل المناسب.»

لاحظت أنه يوافقها الرأي، وكان هدوؤه خير دليل.

سألت بغضب مشوب بالخيبة: «كيف لك أن تكون الرجل الذي يناسبني، وأنت صاحب ذلك السجل الماضي.»

تحول هدوؤه إلى غضب وقال: «إذاً أنت تطالعين الصحف. ولكن، ألا تظنين أنك لم تقرئيها منذ زمن بعيد؟»

صعقت من نبرته المتهكمة، وردت: «بعض القصص تطول وبعضها ينتهي سريعاً، وتبقى جاكي لين في الصورة دائماً.»

أطلق كيمب صوتاً منخفضاً يشبه الفحيح، فنظرت سالي حولها لترى جانباً من وجهه العابس. وعندما تكلم من جديد، كان ذلك من بين أسنانه المطبقة بعنف: «أفضل ألا تذكريها من فضلك.»

لقد جرح هو أيضاً في الماضي، في الفترة التي كثيراً ما تحدثت فيها جاكي وعلانية عن خيبتها، أما هو فلم ينبث بكلمة واحدة. كما تذكرت كيف رفض التعاطي مع الصحف، وسلوكه المتوتر عندما أحرجه بعض الصحافيين، هذه كلها أصبحت أخباراً صحافية قائمة بذاتها.

في الحقيقة، لقد كانت القصة ملفقة كلها. ففي البدء كانت رفقته قد تزايدت للسمراء الأنيقة المجهولة التي أطلقت عليها الصحف في ما بعد اسم جاكي، وراحت تنشر مقابلات معها. وفي يوم من الأيام، سمع زبائن المتجر الذي كانت تعمل فيه جاكي كل كلمة من الشجار الذي دار بينهما على جهاز الاتصال الداخلي الانتركوم، حول سفر كيمب. وبعد أن سُمع صراخه على الانتركوم: «حسن، ماذا أفعل؟»

عرض عليها الخيار الذي أصبح عبارة الموسم، فتمتمته سالي في نفسها: «الزواج أم مدغشقر؟»

وثب كيمب واقفاً بسرعة مما جعلها تنتفض لشدة الحركة. وبعد أن أمسكت الابريق والكوبين المترنحين بقوة، رفعت عينيها الخائفتين إلى حيث كان يقف، ويلوح شكله الضخم كشبح اسود متوعد في خيال الجبال البيضاء البعيدة.

سمعته يقول بلهجة كقرع الطبول: «لقد طلبت منك بتهذيب، أما الآن فاقول لك إنني لا أريد أن ينكرني أحد مطلقاً بهذه القضية.»

«إني آسفة.»

«أو أي جزء من تلك المرحلة في حياتي. اللعنة عليها يا امرأة...»

لكن سالي قاطعته متضايقة من تلك الإضافة التي تشير إلى وضاعتها وقالت: «إن لي اسماً.»

«ولك عقل أيضاً، فاسمعيني إلى النهاية.»

ادخل يديه في جيبي سرواله واستدار ليتفرس في ما وراء الوادي متابعاً: «ألديك أية فكرة عن طول الفترة التي قضيتها هادئاً بعيداً عن عناوين الصحف العريضة؟»

هزت رأسها برغم أنه كان ما يزال شارداً عنها، فقد كانت عيناه متعلقتين بالأفق، مبحرتين بعيداً في الزمان والمكان، إلى أن أطلق كلماته بغضب قائلاً: «خمس سنوات.» مستغرباً من أنها لم تكن كافية، فأضاف: «مقابل سنتين قضيتهما أحمق مشهوراً.» نطق الكلمة الأخيرة باشمئزاز وتابع: «معجباً بالناس وهم يجرون ورائي، ارافق نساء كثيرات...» لكنه توقف ثم استدار وحدق فيها قائلاً: «تعلمت، لقد تعلمت منذ خمس سنوات مضت، وأنت ما تزالين تتكلمين وكان شيئاً ما لم يتغير.»

«كلا لم أفعل ذلك، فقد كنت أنت المتكلم معظم الوقت.»

«كالكلام عن سجلي الماضي، أليس كذلك؟»

www.rewity.com

عضت سالي على شفتها متذكرة أنها كانت قد رمته بتلك الكلمة لتغطي تمزقها وقالت: «حسن، ألم أعتذر؟»

«وهل سمعت مثل هذا الاعتذار من قبل؟»

ولدهشتها، رأت الغضب يفارقه بالسرعة نفسها التي تملكه بها، كان بامكانها أن ترى ملامح الغضب تختفي رويداً رويداً، وأن ترى عضلاته تسترخي عندما اتجه ليتكيء إلى جانب الباب وهو يقول: «إن كلاً منا يغضب الآخر من دون وعي، أليس كذلك؟»

جاء دورها لتشيح بنظرها عن نظراته، فتطلعت إلى يدها الموضوعة على الطاولة وجمدتها بتوتر، مصممة على ألا تذكره بذلك التأثير الذي كان بامكانه إثارته فيها لو هو اختار ذلك.

«على أي حال، يجب ألا أحملك متاعبي وهمومي، فأنت لست أسوأ من بقية النساء.»

شكرته سالي على ذلك، ثم نظرت خلسة إلى الوادي، محاولة أن تخفي ما أثارته كلماته فيها من شعور بضآلتها وقالت: «واحدة من الملايين، هذه هي أنا.»

«لم أعنِ... آه، حسن...» ثم هز كتفيه ووقف جانباً وهو يدعوها إلى الدخول قبله: «هل ندخل لتناول الطعام؟»

جاهدت سالي حتى وقفت ثم تقدمته عبر الباب كما أشار. وإذ فعلت ذلك، شعرت بأنها كانت تمر بحيوان خطر أخاذ، حيوان مجرد وجوده يسبب الرعشة في أوصالها، وتحاول ألا تهرب منه لأن ذلك يظهر مدى تأثيره عليها ولكن عليها أن لا تقترب منه إذا لم يكن ضرورياً.

وجدت أن ردهات البيت الباردة ذات الرائحة الخشبية، تقدم بديلاً مريحاً من ضوء الشمس المبهر. فبعد كل ما جرى، ذكرت

نفسها بأنها أحبت المكان كثيراً، وأن كيمب غمرها بكرمه ولطفه، فلولاه، لما سنحت لها الفرصة كي تتمتع بهذه الغرفة البسيطة الفخمة، وبالرفوف المليئة بالكتب، والبيانو القديم المزخرف، والمدفأة المغطاة بالقرميد، والسجاد الفاقع الألوان، المنتشر على الأرضية اللماعة.

كانت الوجبة التي سيقتسمانها موضوعة على مائدة كبيرة في الزاوية وكانت سالي قد فتحت النوافذ، لأنها كانت تحب أن تطل منها وتنظر إلى الخارج. فمن هذه الجهة، كان بامكان المرء أن يرى الشوارع الرئيسية الضيقة وبيوت الوادي البعيد، وأن يرى من الجهة الأخرى الجبال التي كانت تغير ألوانها تحت تأثير ضوء الشمس.

أخرج كيمب مغلفاً طويلاً أبيض من جيبه وقال: «لقد كدت أنسى هذا، فقد أعطاني إياه موظفو الفندق عندما كنت في القرية.»

أذعنت سالي لنداء الرسالة فألقت نظرة إلى رمز بريد لندن. وأحست أن عالم الواقع لا بد أن يجرها إليه من جديد، فها هو الآن على وشك انتزاعها من هذه الاستراحة الحالمة. وإذ راحت تفتح الرسالة، استقر الخوف في داخلها، لأنها تذكرت مهمتها غير المنجزة، وفشلها حتى في طرح الموضوع على كيمب، دعك عن طلب المساعدة منه في إعداد الاعلان.

كانت الرسالة التي كتبت على ورق الشركة الرسمي، الفاخر، أسوأ مما توقعت، غير أنه بدا منزعجاً، أو لم يكن لديه الوقت الكافي ليملي الرسالة على سكرتيرة، بدا أن مزاجه الأسوء قد غطى الصفحة كلها ولكن بكلمات قليلة، كل كلمة منها بحساب. مع كلمات قليلة كان الجميع يحسب لها حساباً.

www.rewity.com

«في أي جهنم أنت؟ لم أستطع أن أحصل على أي معلومات من الفندق، فكرت بأن أنسى الموضوع كله لولا معرفتي بأنك تنزلين في مكان ستعودين منه بفائدة كبيرة علينا.»

طوت الرسالة وهي تخفي خجلها، ولكن لم يكن في استطاعتها الهرب من الموضوع، فمارك لم يكن شخصاً يقبل تبريراً مرضياً لأي غياب. فإن أراد المرء أن يحتفظ بعمله في شركة مثل كينغفيشر ليس بامكانه أن يطلب منها أن يتركه وشأنه إلى أن تتحسن صحته.

أضف إلى ذلك، أنها كانت تشعر بتحسن وبضرورة العودة إلى عملها من جديد، فرفعت كتفيها ووضعت الرسالة قرب صحنها الذي راحت تملأه بالسلطة من الزبدية الخشبية. ثم أخذت قطعة الخبز المحمص التي قدمها كيمب لها. وقالت: «يجب أن أتصل بلندن، لذا، سوف أذهب إلى القرية بعد ظهر اليوم.»

رفع كيمب الغطاء عن الوعاء المليء باللحم المشوي على الفحم، وهو يشير إلى الهاتف الموضوع على رف في الزاوية القابعة بين مقعديهما الموضوعين وقال: «ولما تفعلين ذلك؟ أتظنين هذا الهاتف معطل؟»

«كلا، ولكن لا أستطيع أن أحملك هذا النوع من النفقات أيضاً.»

ضحك كيمب قائلاً: «يا لها من نفقات.» ثم مرر الطبق لها وتابع: «إنني أتصل بلندن دائماً، وباستراليا وطوكيو، ولوس أنجلس. هيا، هل أخذت ما يكفيك؟»

«نعم شكراً.» أعادت الطبق إليه بفتور متابعة: «هذا لطف منك ولكنني سأتريث قليلاً ريثما يعود من تناول غدائه.»

ملأ كيمب صحنه وقال: «بامكانك الاتصال وقت ما تشائين، وأنا سأذهب إلى القلعة بعد دقائق لأدون ملاحظاتي.»

إذاً، ستكون وحيدة عندما تتصل بمارك، فكيمب سيكون في عرينه الغابي يلقن الحاسب الآلي ملاحظاته التي أملاها على صفيحة مربعة بخط ينبض بالحركة، ولكن تسهل قراءته برغم ذلك. أما هنا في البيت، فستجلس هي أمام هذه الطاولة، وتفصل لمارك ما كان لديها من أخبار.

برغم ذلك، لم ترتح سالي للفكرة لأنه مهما سيدور بينها وبين مارك من أحاديث فلن ينتج عن ذلك إلا إحداث هزة مدوية في هذا المنزل الهادىء المنظم. وحتى لو كان بامكانها إخبار مارك بما كان يود سماعه، كانت تدرك في أعماقها أن أضواء المهنة الساطعة وشركة كينغفيشر لن تساعد إلا على تعكير صفو هذا المكان، واعتراها شعور بالرعب إذ أدركت أن مهمتها هي وصل عالمين مختلفين كثيراً عن بعضهما البعض.

كان عليها أن تقول شيئاً على الأقل، كي تبدو أنها كانت تحاول إقناع كيمب بإدراج اسمه في الاعلان، فسألته وهي تتمنى أن تعثر على ثغرة تطرح منها الموضوع: «فان لم يكن هناك، هل أستطيع ترك رقم هاتفك لديهم ليتصل بي عندما يعود؟»

توقف عن الطعام ليرمقها بنظرة فاحصة وقال: «إن ذلك يتوقف على الشخص المقصود.»

أشارت سالي برأسها إلى المغلف قائلة: «إنه مارك.»

عبس كيمب وهز كتفيه ثم واصل الطعام قائلاً: «مارك والش؟ أتريدين حقاً التكلم إليه؟»

أحست سالي بجسدها يتصلب إزاء الازدراء المفاجىء وقالت: «هل أستطيع بأن أنكرك أن هذا هو عملي؟»

www.rewity.com

غير أنه واصل طعامه بشهية قائلاً: «لم أنس، عالم الإعلان واضواءه الساطعة ولكنه أحد الأشياء التي لا أريدها هنا.»

لم تشعر تقريباً بأية خيبة، فقد كان رأيه طبقاً لما توقعت، فقالت له: «إذاً، يجب عليّ ألا أترك رقم هاتفك لديه.»

«ليس هذا فحسب، بل يجب ألا تقولي له إنني أقيم هنا.»

«إنني آخ...» وضعت سالي شوكتها وسكينها وحاولت أن تتكلم بصدق: «أخشى أن أكون قد فعلت.»

رمى كيمب بأدوات الطعام التي كان يستعملها في صحنه الفارغ وسأل بذهول: «ماذا، متى؟ لماذا؟ يا للحماقة، ما الذي كنت تريدين فعله؟»

تكومت على المقعد وسط هذه العاصفة التي طالما انتظرتها بخوف وقالت: «لقد كان ذلك زلّة لسان، فلم أقصد أن...»

انزلق بحركة رشيقة، ووقف بجانب المقعد الذي كان في الزاوية وسأل: «هل أنت متأكدة من أنك لم تذكري ذلك عرضاً للمساعدة في حملتكم الدعائية البائسة؟»

«كلا يا كيمب، أقسم لك بذلك...» غير أنه كان عليها أن تتوقف لأنها لم تكن تعرف كيف أقسمت بشيء كهذا، وهي التي كانت لتوها تبحث عن طريقة لتساله عن ذلك بالتحديد. ورفعت عينيها لتحدق في عينيه نادمة، وقالت: «أصدقك القول، إنني لم أنكر متعمدة.» فعلى الأقل، قالت له الحقيقة المطلقة ببساطة. «أما في ما يتعلق بحملتنا الدعائية، فقد كدت أغفل عنها تماماً أثناء إقامتي هنا.»

هز رأسه موافقاً: «أصدقك، ففي الأيام الثلاثة الماضية كنت تزدادين انسانية كل دقيقة.»

غادرت سالي مكانها ووقفت إلى جانب الطاولة قائلة: «آه،

الآن فهمت. ولكن دعني أصحح قولك. هل الانسانية تعني أن يتسكع المرء ويحلم دون أن يفكر بالحياة الواقعية؟»

استدار متجهاً إلى الباب وقال: «ذلك يتوقف على ما تعنينه بالحياة الواقعية.»

تبعته غاضبة وردت عليه: «ما أعنيه بالحياة الواقعية، هو عملي الذي أتقاضى عنه أجراً.»

ردّ عليها من فوق كتفه قائلاً: «أوهذا هو عملك، أن تساعدي طفيليين كمارك والش لتزداد طفيليتهم سوءاً؟»

غادر الغرفة، فخرجت في أثره. كانت من دون نقاش تبدو كما دعاها، أرنباً برية تتبع ذئباً شرساً، ولكن ذلك لم يكن ليثنيها عن عزمها، إذ أن الأرانب البرية لها حقوق أيضاً.

وإذ بلغا الصالة، قالت له: «يمكنك حقاً أن تكون سمجاً. ألا تستطيع أن تتوقف وتطرح على نفسك أي سؤال؟ هل يناسبك ذلك؟»

توقف عند الباب الخارجي وسأل: «مثل ماذا؟»

«كأن تكون بعض الأشياء التي أروجها مفيدة.»

وكان حقاً يودّ أن يصدق ذلك فقال: «سأكون سعيداً اذا اكتشفت فائدة أي من هذه الأشياء.»

راحت سالي تبحث في عقلها عن أمثلة:... صابون لانترن؟ كحل السيلك؟ لكنها عدلت عن ذلك في النهاية عندما وجدت طريقة أخرى للهجوم.

فقالت: «ماذا لو افترضنا أن مارك والش ليس سيئاً بقدر ما تعتقد؟»

«هل تريدين أن تفترضي أن الكلاب تطير، وتتكلمين عن الحياة الواقعية الحقيقية.» أخرج مفاتيح سيارته من جيب

www.rewity.com

سترته، وابقاها في يده، ثم خرج كمن كان يعتبرها صماء أو حمقاء أو كلا الاثنتين معاً وهو يضيف: «إن مارك والش أسوأ مما يستطيع أن يتصوره أي شخص.»

انفجرت مصممة على أن تجعله يسمعها حتى آخر كلمة: «حتى ولو كان ذلك صحيحاً، فهو يعني عملي.»

غير أنه في هذه الأثناء، كان قد بلغ السلم الحجري الموصل إلى الطريق فتوقف عند الدرجة الأولى ليقول: «بالضبط، يبدو من الأفضل أن أقول لك بكلمات قصيرة لكي تفهمي أن عملك مزعج وتصبحين مزعجة عندما تمارسينه.»

«آه منك...» وشعرت بوجهها يتورد حتى حدود شعرها لكنها تابعت: «وماذا عن الطريقة التي تتحدث بها عن عملي؟»

وبرغم أنها كانت آخر من تكلم، كانت تلك اللفتة منه أقوى من كل الكلام، فلا شك أنه صرفها من فكره، وأطاح بها وبكل مشكلاتها كمن يطيح بذبابة تاركاً إياها تستمر في ذلك الهراء الذي كانت تدعوه عملها، بينما ذهب هو ليواصل عمله.

لو أنها لا تشعر بالذنب وأخذت تسائل نفسها، من أين لي أن أعرف أنه كان مصاباً بمرض التصميم على إبقاء هذا المكان هادئاً. ولكن ذلك لن يبرر لها تصرفها، وهي تقف في تلك الفسحة المشمسة الهادئة من ذلك البيت القديم، وفي تلك المزرعة المبنية من الخشب، والتي كان قد حياها بفيض من الحنان.

وبينما راحت ترتب الطاولة في غرفة الجلوس، وتنظف الصحون في المطبخ البالغ الرفاهية. ثم تهندم نفسها في حمام الدور السفلي الذي لم يكن يقل عن المطبخ فخامة. رأت أنه من العدل أن تتركه يشعر بالسلام هنا في بيته الذي عمل بكل جد لبنائه.

ولكن ذلك لم يجعل التحدث إلى مارك سهلاً، وهو الذي بدا مرتاحاً عندما صدح صوته في الطرف الآخر من الخط، ولكن سرعان ما تبخر رضاه عندما سمعها، وقال مستغرباً: «لقد قضيت ثلاثة أيام، ومع من! مع كيمب ويتيكر من بين كل الناس، ولم تتمكني من أن تجعليه رهن اشارتك بعد!»

كادت أن تنفجر ضاحكة لو لم تكن تشعر بانقباض شديد، وقالت بثقة تامة: «كيمب لا، ليس بالرجل الذي يصبح رهن اشارة أي كان.»

«ربما ليس منك.» تخيلته يدفع الأوزان على تلك اللعبة الدائمة الحركة، وكانت تقريباً تسمع طنين تلك الأوزان، بل ربما كان طنينها قد امتزج بصوته وهو يقول: «صدقيني يا سالي، لقد فاتتك أمور كثيرة في أساس تربيتك كامرأة.»

وشدت قبضتها على سماعة الهاتف محاولة أن تقابل خفة روحه بمثلها، وقالت: «وماذا تعتقد أنه علي أن أفعل؟»

ردّ عليها مقهقهاً: «اسالي تارا، ربما يكون بامكانها أن تعلمك بعض الأمور.»

لكن سالي ذكرته وقلبها يتقطع: «تارا! إنها تتدرب على يدي، فمن المفترض أن أعلمها أنا.»

عادت تلك النغمة المسترخية إلى صوته وهو يقول: «الأمر الذي يظهر لي أنك لم تفعليه، وأنا لا أعيده إلى عدم مقدرتها على التعلم، فهي تستطيع أن تتعلم، وتتعلم الأمور بتمتع.»

إذاً، فلقد بدت الألفة تقوى بينهما. طردت سالي الصور المزعجة التي اثارها هذا الخاطر، وأدركت أنه كان عليها أن تتمسك بالواقع الذي كان مؤداه أن مارك هو عملها، لذا كان عليها أن تواصل الكلام وبنبرة رسمية: «إنني مسرورة لأنها ترضيك.»

www.rewity.com

«آه، إنها تفعل ذلك على ما يرام.»

أخذت نفساً عميقاً وتأهبت للأسوأ ثم سألت: «إذن ربما تريد أن تسلمها إدارة الصفقة؟»

ردّ عليها بنبرة متغيرة: «هل قلت ذلك؟ لا تستعجلي الأمور يا سالي. إنك ما تزالين الشخص الوحيد القادر على الوصول إلى كيمب ويتيكر.»

«ليس في هذا المضمار، فأنا لا أستطيع...» كرهت أن تعترف بذلك غير أنها شعرت أنه من الأفضل حسم القضية اليوم قبل الغد فقالت: «إنه لن يساعد في هذا الترويج الدعائي مطلقاً.»

«لا تكوني متأكدة إلى هذا الحد. حاولي فقط أن تكوني لطيفة معه، وسنرى النتيجة.»

لكنها ردت عليه حانقة: «سارك، لو كان لديك أية فكرة عن...»

قاطعها قائلاً: «سابقى على اتصال بك.» ثم قطع المكالمة.

عادت إلى الحديقة ولكن بعد أن تضعضع شعورها بالاطمئنان، وودت لو تتصل بالمطار لتحجز مكاناً للسفر، لكنها لم تكن قد تأكدت بعد من موعد مغادرتها، كان كيمب قد طلب إليها البقاء حتى يوم الأحد، لكن أما يزال يريد ذلك، خاصة بعد أن عرف كيف خذلته؟ راحت تحارب هذه الفكرة عبثاً، لأن عقلها لم يتمكن من انقاذها من شعورها بالذنب.

تواصل الصراع في داخلها كما لو أن كيمب ما زال موجوداً: «لم أقصد إيقاع الأذى بك، كما أنني لم أستفد من ذلك أبداً.»

ولكن هل كان ذلك صحيحاً؟ وراحت تقلب الأمور في عقلها المتردد والملح، فلو خسرت عقد شركة كينغفيشر، قد تفقد عملها أيضاً، خاصة وأن تارا كانت راغبة وقادرة على الحلول مكانها. رسمياً هي ما زالت في وظيفتها ولديها أمل

وفرصة للنجاح في مهمتها، وربما تستطيع إقناع كيمب ويتيكر.

لا فائدة، إنه لن يقبل. وظل الصراع يدور في رأسها حتى وقت متأخر من بعد ظهيرة ذلك اليوم إلى أن جاء وقت رفعت فيه نظرها عن الكتاب الذي لم تكن قد قرأت فيه شيئاً بعد الظهر. جفلت عندما سمعت فجأة صوت باب سيارة الرانج روفر يغلق بعد مناورة لايقافها في الممر الضيق، وسمعت وقع أقدام كيمب السريعة الخفيفة على الدرج الحجري. أما زال غاضباً؟

عندما دخل، كان يعتريها شعور بأن الشرر سيتطاير منه، رصدق شعورها، لكن ذلك لم يكن بسبب الغضب...

«لقد تم...» رفع يديه في الهواء ممطراً الغرفة بشرر النصر الذي كان ينطلق من وجهه.

«لقد فقس أول فرخ.»

وقفت سالي بسرعة من غير أن تشعر وقالت: «هذا عظيم يا كيمب! إنه رائع كيف يبدو شكله؟»

«منقار وكتلة من جلد. إنه أبشع مخلوق قد يراه انسان.» وقطع المسافة القصيرة بينهما وطوّقها بذراعه قائلاً: «إنه يشبه ديناسوراً صغيراً.»

لفت ذراعيها على رقبته بكل ارتياح، وكأنما ذراعيها كانتا قد فصلتا خصيصاً لعنقه، وقالت: «لكن ذلك ليس بوماً، بل ديناسورا.»

شدّها إليه، ثم رفع وجهها إلى وجهه وقال: «بوم! ديناسورا! بعضهم يعتقد...»

كانت متأكدة من أن دهشته لعناقها كانت على قدر دهشتها. فقد كانت حقاً تفكر بأفراخ البوم والديناسورات وفجأة لم تعد

www.rewity.com

تفكر بشيء. شعرت أن كل ما تريد الحصول عليه أصبح في متناول يدها.

إلا أنها تراجعت عنه لاهثة متنفسة بصعوبة وقالت: «إنني آسفة.»

«وأنا كذلك.» ثم أزاحها جانباً برفق وتردد كمن كان يفق ضلعاً من ضلوعه وأضاف: «ما أقدرك على تعذيب الرجال، سالي!»

حدقت في السجادة المحاكة باليد وقالت: «لا أقصد أن أكو هكذا.»

«هذا هو السبب بعينه.»

ألقى بنفسه على الأريكة ثم تابع: «أوتظنين أنك كن ستستطيعين فعل ذلك بي لو كنت مجرد لعوب عادية؟»

جفلت لدى سماعها كلمته ما قبل الأخيرة، فقد كانت المتكرر الإسم الكريه الذي سماها إياه مارك. أما عينا كيمب العميقتان لاحظتا تأثير ذلك عليها فصحح مضيفاً: «لقد قلت إنك لست هكذ ألم أفعل؟ إنك... إنك أشبه بقنبلة لم تنفجر.»

نفرت سالي من هذا التشبيه العسكري واحتجت قائلة: «غي أنني لم أؤذ أحداً...»

ولكنه واصل كلامه بحزم: «قد ينتهي الأمر بكلانا إلى التحس إنني أشكر السماء لأنني لا أقضي الليالي هنا.»

وإذ أحست أنه كان من اللياقة أن تعرض عليه مغادرتها قالت: «أتريدني أن أغادر؟» لكنها سرعان ما أحست بعد عرضها هذا بالخواء.

أما هو، فقد قطب حاجبيه. أتراه يفعل ذلك دهشة؟ نعم ستذهبين، الأحد مساء كما اتفقنا.»

«أعني... قبل ذلك. غداً صباحاً.»

حدق فيها كيمب وازداد تقطيب حاجبيه وقال: «إن كنت ترغبين في ذلك، فبالطبع تستطيعين المغادرة.»

لم أكن أريد أن أقول هذا، بل كنت أريد أن...» وتغيرت نبرتها إلى نبرة عدائية فجأة وهي تضيف: «ألم تكن تسمع...» وإذ أدركت عدائيتها، توقفت قليلاً ثم تابعت بهدوء: «إن أي انسان يرغب في التخلص بأسرع وقت من قنبلة مؤقتة، أليس كذلك؟»

ضاقت حدقتا عينيه مفكراً، ثم تلاقت نظراتهما من جديد، واستقر في النهاية إلى الخلف باسطاً ذراعيه على ظهر الأريكة، ومد رجليه على الأرض أمامه مسترخياً مترقباً ثم قال: «مثل ساقبل بالمجازفة إن أنت قبلت أيضاً.»

www.rewity.com
عيون المها

الفصل الرابع

أنزلت سالي زجاجة العطر، ثم اشتمت معصمها، لكنها لون أنفها متسائلة منذ متى أصبح هذا العطر مقرفاً كهذا؟

«لا شك أن السبب هو رائحة نسيم الجبل.» خاطبت نفسها في المرآة. ثم أشاحت برأسها بعيداً.

وكما العطر، كان فستانها شديد الاثارة أكثر مما توقعت أو اعتادت، فشعرت أن لونه الأحمر لا بد أن يكون قد ازداد تركيزاً ولم تفهم كيف كانت ترتاح لارتدائه من قبل، بكتفيه الهابطتين اللتين تشبهان أربطة الأحذية!

أولم تكن قد سرّت عندما ارتدته أول مرة في بداية الحملة الاعلانية لمنتجات سيلك؟ بلى، كانت أكثر من مسرورة، فقد شعرت بالاطراء من النظرات التي اجتذبها الفستان، ومن الطريقة التي التمعت بها عينا مارك، وهما تطيلان النظر إلى الجزء الأعلى من جسمها.

قالت لنفسها وهي تضع القلادة المؤلفة من ثلاثة اطواق من الذهب والكهرمان حول عنقها: لقد كنت آمل أن يتزوجني، ولكن لماذا تشعر الآن وكأن ما حدث، حدث لفتاة أخرى؟ وإذ كانت قد خبرت سابقاً ما يؤدي إليه الانفراد بمارك والش وهي ترتدي هذا الفستان، فهل كانت تسعى إلى تكرار المحاولة اليوم مع رجل آخر ومارك في عقلها، بهذا الفستان المثير والذي كان يرتفع وينخفض تبعاً لحركة صدرها التنفسية؟

قدرت في نفسها، لا شك انني كنت مجنونة.

لكن عليها أن تواجه الأمر. فقد اختارت هذا الفستان وهي تقصد من ذلك، أغواء كيمب كي يعطيها فرصة ثانية. ولو فعل...

نفضت عن رأسها شال الصوف المعرق واسدلته على كتفيها. سابدو على هيئة أفضل، فكرت في سرها.

أحست بعد أن كست نفسها بهذا الشكل أنها تستطيع مواجهة المرآة من جديد وبرغم أن الشال لم يكن يناسب ذلك اليوم من أيار/مايو، فقد أصرت على تحمله حتى حلول الظلام. بعدها سيقوم ضوء المصباح بالتخفيف من وطأة ألوان ثيابها المثيرة. أرغمت سالي نفسها على ترك عالم الأحلام والذكريات والعودة إلى عالم الحاضر: إلى حفلة عيد ميلاد لطبيبة أليز.

كان كيمب قد أخبرها: «إنه العيد الخمسون، لسنا مضطرين للجلوس طويلاً، ولكني أريد أن أذهب لفترة قصيرة.»

وكانت قد اعترضت: «ولكن ليس لدي أي هدية.»

فضحك مجيباً: «عليك فقط أن تأتي بوصفك ضيفتي. إن هذه الحفلة حدث هام بالنسبة للطبيبة، لذا فقد حددت موعدها، يوم السبت.»

وها هي قد أمست جاهزة للحدث الهام. أتمت زينتها، ودلكت بشرة وجهها ببعض المساحيق، ثم طلت شفتيها بلون فستانها ثم كحلت عينيها أخيراً.

وإذ سمعت صوت محرك سيارة يقترب، طمأنت نفسها إلى أنها كانت في وضع جيّد، عادي، لكنها استغلت كل ما تملك على أفضل وجه، وهكذا فلن تخذله.

كما توقعت، كانت سيارة كيمب، وقد اختار، الرانج روفر بدلاً من لمرسيدس. فراحت تنظر إليه من الشباك مندهشة، لمهارته

www.rewity.com

في المناورة، وإيقاف السيارة في الفسحة الضيقة التي شكلت المكان الوحيد لايقاف السيارة.

قفز من السيارة، ثم رفع وجهه مبتسماً في وجهها، ولوح بذراعه محيياً، بنشاط يدل على أنه يقيم وسط الطبيعة بصورة دائمة.

أشار كيمب بيده إلى الشمس المحمرة والسماء الصافية قائلاً: «أليس ذلك عظيماً؟»

وافقته سالي، فرحة بأن تشاركه امتنانه للسماء، وقالت: «إنها حقاً أمسية جميلة.»

«إن شعرك يبدو جميلاً.»

أسدلت الجزء الأكبر من شعرها المعطر النظيف إلى ما وراء كتفيها، وقالت: «شكراً لك، فقد اعتنيت كثيراً بغسله وتجفيفه وتسريحه.»

«إذن، هل أنت جاهزة؟»

«بالتأكيد.» أدركت على الفور أنه لم يكن بامكانه أن يرى سوى رأسها، فقالت: «سأكون معك في خلال لحظات.»

أخذ كيمب يهبط السلم إلى البيت، وهو ما يزال مبتسماً بينما نزلت هي متطوحة على أعقابها العالية المستدقة، وعندما بلغت الدور الأسفل، كان ما يزال بجانب البوابة من الجهة الداخلية.

التقيا في الصالة ذات العوارض الخشبية، وكانت أول مرة تراه فيها مرتدياً ثياباً غير ثياب العمل.

بدت لها السترة الصوفية البنية اللون غير لائقة تماماً، لكنه كانت تناسب قميصه البيج وسرواله البني الداكن وكان شعره مسرّحاً مسبّلاً.

بينما كانت على وشك أن تعلّق على عدم وضعه ربطة عنقه، لاحظت عليه ذلك التجهم المقيّم المستفز يتحول إلى تكشيرة شاحبة رهيبة وهو يستوعب مظهرها تدريجياً.

«اللعنة! ماذا تلبسين؟»

وإذا ارتخى فكها من شدة الدهشة، أطبقته بعنف وسألت نفسها: كيف يجرؤ؟ ولكنها برغم الغضب وبرغم أنها هيأت نفسها لتواجه قوة امتعاضه الساحقة، خذلتها جرأتها.

لم تتمكن إلا بعد وقت من أن تتكلم لتقول: «شكراً لك، انك بالتأكيد تعرف كيف تحبط فتاة!»

نظر إليها من رأسها إلى قدميها وقال: «أو تحتاجين أيضاً إلى تشجيع؟ أشجعك وأنت تستعدين للخروج إلى حفلة بفستان ليس أكبر من طابع بريد تلصقينه على جسدك!»

شدت سالي الدثار حول كتفيها. لكنه تابع بغير رحمة: «طابع بريدي مزخرف. ماذا تظنين أنك كنتِ ستلبسين لو وجدت المزيد من الجرأة... بدلة سيرك؟»

ردت عليه وقد أزعجها اضطرارها إلى التزام اللهجة الدفاعية فقالت: «إنني غالباً ما أرتدي ألواناً فاقعة، لأني كنت قد كبت نفسي بما فيه الكفاية.»

طاردها بنظراته قائلاً: «لا أعرف ما تعنينه بكلمة كبت. فأياً كانت هذه الألوان على وجهك، فهي لا تبعث على الراحة... لا تساعد.»

علكت سالي شفتيها، متجاهلة احمر الشفاه القرمزي المطلي باعتناء عليهما وقالت: «الآن فهمت. هل تعتقد نفسك خبيراً في التجميل؟»

رفع يده إلى خدها وقال: «أنا أعرف الأشياء الحقيقية فقط.»

www.rewity.com

ظلّ واقفاً في مكانه برهة، وعيناه ترشقانها بسهام نارية بينما ظلت يده قريبة من خدها إلى درجة أنها كادت تشو بحرارتها. ولكنه ما لبث أن أنزلها، ثم صرّ على أسنانه بعنا قائلاً: «أويلومني أحد لو صفعتك؟»

أدار ظهره إليها فجأة وحشر يديه في جيبيه قائل «ستندمين.» ثم اندفع بطريقة عشوائية ماراً بها باتجاه غرف الجلوس.

أحست أن الجدل انحرف إلى منطقة في عقله لا تستطيع معه أن تتابعه فقالت محتجة: «هذا ليس عدلاً.»

وإذ كانت قد تحررت من وجوده، شعرت أنها أمست أكثر قدر على الدفاع عن نفسها، فخلعت حذاءها وأسرعت في أثره.

وكما توقعت، كان يتجه إلى مقعده الجلدي المفضل، فدار حوله بقدميها الرشيقتين الحافيتين واعترضت طريقه، فكاد أ يصطدم بها لو لم ترفع يديها غريزياً لتجنب ذلك. وإذ لم تستطي يداها إيقافه، أنزلتهما وتراجعت، في حين تراجع هو بسرع مماثلة.

حدّق فيها وقال: «ماذا تحاولين أن تفعلي. هل تحاولين أ تجعليني أضمك؟ أسيثبت ذلك أن فستانك ليس معيباً؟»

وقفت في مكانها يعتريها شعور بأنه كان يظلمها وقالت: «ل ذلك سيلقي الضوء على شخصيتك أكثر مما على ملابسي» عضت على جرحها وأضافت: «بعد كل هذه الفظاظة.»

«لم يكن ذلك فظاظة، بل صراحة.»

«حسناً، حتى لو كنت لا تعني كل تلك الأشياء البشعة التي قلتها، كان بامكانك أن تتكلم أكثر...» حدقت به متابعة بتردد «بلطافة أكثر.»

وإذ رأت كيف ضاقت عيناه الرماديتان، أدركت كم كان يبدو له منطقها ملتوياً.

ثبت شعورها بقوله: «إن بعض الأمور أهم من كيفية التصرف في الحفلات.»

انفجرت صارخة: «يجب أن تكون هذه الأمور بالغة الأهمية لكي تهتم بها أكثر من الانسان الحقيقي. أنت، لم تكن مهذباً، عندما لم تتورع عن التواقح في وجهي.»

حملق فيها باشمئزاز وقال: «أنت تتكلمين عن قناعك لا عن وجهك، أليس كذلك؟»

«لقد كنت قاسياً عندما تكلمت عن الأشياء الطبيعية، وعن الندم...» وترددت قليلاً ثم تابعت: «أنت كنت تتكلم عن شخص آخر.»

«إنني أتكلم إليك الآن، فلقد شوهت نفسك.»

«وحديثك يبدو كاقصوصة من عصر الملكة فكتوريا.»

«أنا أقول ما حكمت عليه.»

«إنك تهينني، وإن كان ذلك كل ما تستطيع فعله، فسأتوقف عن الاهتمام بماذا تفكر.»

عضت على شفتها نادمة للاعتراف بأنها كانت تهتم بما كان يفكر، وأسرعت لتغطية زلة اللسان هذه قائلة: «إن لون بشرتي باهت...»

«بل انه باهت الآن.»

آه، أو لم تكف انها حطت من قدر لون بشرتها، حتى يوافق معها هذه الموافقة الحارة.

واستغل كيمب فرصته فتابع: «مضجرة كقطعة نقود معدنية رخيصة، واحدة من عشرات.»

www.rewity.com

«لكنك قلت منذ لحظات أن شعري كان جميلاً.» أرجعت شعرها إلى الوراء وتوقفت، إذ لم تكن تريد أن تقول الكلمة التي استعملها، غير أنه أعادها هو: «نعم، لقد قلت إنه كان جميلاً. انه جميل، وما يزال جميلاً حتى الآن.»

ثم راح كيمب يهدأ تدريجياً إلى أن صمت تماماً، وكانت عيناه قد تتبعتا انثناءة شعرها مروراً بكتفيها، وصولاً إلى حيث كان قرطاها يتأرجحان حول أذنيها. ودفعت سالي هذين القرطين بحركة متوترة، فإذ بهذه الحركة تفك السحر.

واصل كيمب قائلاً: «فهو كستنائي بلونه الطبيعي كشعر أي انسان عادي.»

«إنه دائماً هكذا.» ومررت يدها على شعرها رافعة إياه عن رأسها، لتريه أنه كان شعراً طبيعياً حقيقياً.

غير أن ذلك كان خطأ آخر، فقد تتبعت نظراته الخط الذي رسمته ذراعها، مركزة على الخصلة المتدلية من بين أصابعها. وعندما أعادته إلى مكانه، أمسى غير قادر على رفع نظراته عن عنقها وكتفيها العاريتين.

لم تدر متى سقط الشال عنهما، ولم تكن قادرة على سحبه لتغطيتهما الآن. راحت تقاوم ذلك الشعور الداخلي الذي كان يدفعها إلى تغطية كتفيها من تلك العينين الثاقبتين الساحرتين وهي تتمتم بأي هراء يخطر على بالها.

«لقد جربت مرة أن اصبغ بعض الخصل باللون الأحمر.»

اتسعت عينا كيمب وهو يعود إلى رشده، لوى فمه باشمئزاز قائلاً: «يخ.»

«نعم، لقد بدا شعري حينها مقرفاً، ولكنه برغم ذلك، لم يكن ليصل إلى رداءة التجعيد والخصل الشقراء التي جربتها لاحقاً.»

«كفى. لا تخبريني عن ذلك.» ورمش بعينيه مشيحاً نظراته جانباً وتابع: «لا شك أنك بدوت مثل ساحرة الغابة.»

«كلا، بل أسوأ. عندئذٍ قررت فقط الاكتفاء بشعري الكستنائي.»

«هذا الشعر البني الرائع.»

ركزت سالي نظرها على سترته الصوفية وواصلت المحاولة قائلة: «يا إلهي، ولكنك قلت لي منذ قليل إنه كان كأي شعر آخر...»

«لم أكن أتكلم عن شعرك، بل كنت أقصد هذا...»

رفع يده ليدل على الحرير الأحمر المبتذل، ولكن يده تجمدت من جديد في نصف الطريق، ثم فجأة وببطء، وكأنما بحركة لا إرادية، أدار كفه إلى الأعلى مكوراً إياها، ثم سحبها وأنزلها إلى جانبه.

تمتمت وهي غير واعية لما تقول: «لكنني أحب هذا الفستان الأحمر لما يوحي به من الحيوية والحياة.»

لم يجدِ ذلك نفعاً، فقد ثبت نظراته على جسدها كلّه، فتقوقعت على نفسها، وهي تسمع صوته يخرج من بين أسنانه كالفحيح، بينما كانت تنفض شالها لتعيده إلى مكانه فوق كتفيها العاريتين والجزء المكشوف من أعلى صدرها.

ولكنها بتصرفها هذا زادت الوضع سوءاً، فقد برز صدرها إلى الأمام وأصبحت معالمه واضحة تحت الحرير الرقيق معبراً عن أشياء أكثر مما كانت هي تود اعلام كيمب بها. وزد على ذلك، كان الصدفة لم تكتف بما حصل، فراح احد أربطة الكتف القرمزية ينزلق رويداً رويداً عن كتفها، فأسرعت لترفعه وتلف الشال حول نفسها كيفما اتفق.

وتذكرت لكن متأخرة كم كان شالها يعلق في الماضي في ثقل قلادتها. وبالطبع، علق أيضاً هذه المرة، فظل

ملفوفاً بفوضوية حول عنقها برغم كل محاولاتها لشده...
بشعور أقرب إلى الرعب، رأت كيمب يقترب منها حاجباً
الضوء ثم سمعته يقول: «دعيني.» وانسلّت يداه إلى ما وراء
عنقها فقيدتاها من غير أن تلمساها. وإذ أعماها قربه عن كل
شيء، ارتفع ذقنها فوق ذراعيه، تركت أصابعه تعمل على فك
الحبكة القائمة خلف عنقها. وانصاعت الحبكة أخيراً بانحلال
خرزتين، وانحدرت خرزة كهرمانية على بشرتها جاذبة الشال
معها إلى الأرض، ولكن كيمب التقطهما قبل أن يسقطا بينما
أخذت هي نفساً مرتعداً.

قالت: «لا أدري لماذا يتكرر هذا دائماً.»

وكان جوابه بأن رمى بالاثنين معاً إلى السجادة ووقف
مغمضاً عينيه شبه اغماضة ومطبقاً أسنانه على رأس لسانه.
عندما وضع يديه عليها أخيراً اطلقت زفرة طويلة وقالت:
«لست أنا من يفعل ذلك.»

«بلى يا عزيزتي، انها أنت.»

ردّت بيأس: «هذه ليست أنا. إنك لا تحبني. سأصبح بهذه
الطريقة كأية امرأة أخرى.»

لكنه همس في اذنها قائلاً: «سوف لن أؤذيك.»

استجمعت سالي كل قواها وصرخت بصوت مرتعد: «لا، لا...
دفعت صدره بعيداً عنها، ولكنه ضحك ضحكة خافتة وقال: «إنك
خائفة لأنها المرة الأولى. لا تخافي.»

«أرجوك يا مارك، كلا.»

تلعثمت بذعرها، لكنها أحست أن كلماتها كان لها وقع مؤثر
فيه، فتقلّصت عضلات وجهه وبدأ هوسه يخف وقال: «ماذا
دعوتني؟»

تراجعت مبتعدة عنه إذ سمعته يطرح السؤال بصوت أجش
فاتر مستعملاً صيغة الايجاب: «هكذا اذاً، كان يداعبك في
الماضي؟ وهل كان ذلك يحصل كثيراً؟»

«مرة... مرة واحدة فقط.»

وإذ لم تجد مبرراً لاحساسها بالذنب ازاء ما فعلته مع مارك،
سحبت نفسها بعيداً وقالت: «لكنه لم يفعل ما فعلته بي أبداً.»

سألها غاضباً بكلام واضح كالصاعقة: «ماذا تعنين
بالضبط؟»

ارتجفت مجيبة: «إنني لن أقول ذلك.»

شحب لونه، وأخذت عروق صدغيه تنبض بالغضب.

وقفت سالي تواجه غضبه. ولكن لم يكن ذلك ذنبها، فحاولت
أن تقول من غير أن ترتعد: «أنا لم أقل إنه لم يكن ليفعل هذا، بل
قلت إنه لم يفعله. وأنت لست أفضل منه، كيمب ويتيكر.»

انتصب واقفاً على قدميه صارخاً: «ماذا!»

كان عليها ألا تتركه يخيفها، فإن ظلت واقفة كما كانت من غير
أن تنظر إليه، مستعدة للتحرك بسرعة، وربما تستطيع أن تقول له
ما كان يجب قوله: «لم تكن تريدني أنا بالذات، بل كنت تريد
امرأة... أية امرأة.»

راحت تنتظر الانفجار، فلما لم يحصل، اختلست نظرة إليه،
فرأت فمه مطبقاً بشدة، عينيه لا تريان، وغضبه يقاوم ويستسلم
لعاطفة اخرى... ما هي؟

«اللعنة، أنا لا أستطيع التكلم وأنت على هذه الحال.» اتجه
كيمب نحوها بحركة حاسمة، مرت وهي خائفة من أن تقع تحت
رحمته من جديد، وانطلقت في عرض الغرفة ثم استدارت حوله
قاصدة الباب، وعندما بلغته لتواجه كيمب بقبضتها.

www.rewity.com

قالت مرتجفة: «لا تلمسني، فإن فعلت، سأقاتل.»

«لا توجد ضرورة لذلك.»

رأته يرفع الدثار عن ظهر الأريكة وينشره أمامه كدرع مصارعي الثيران، ويتقدم نحوها. وعندما اقترب منها، رفعها (الدرع) عالياً وراح يهزّها بعنف، ثم أشاح بصره عنها كمن لا يطيق رؤيتها قائلاً: «استديري.»

أطاعته سالي، فاحست بالراحة عندما وضع الدثار عليها لفته حول جسمها وذقنها، ثم بوقت حواشيه وطرفيه السفليين أمام جسدها لكي لا تتعثر به. عندئذٍ فقط، استرخى جسدها مطمئناً في مواجهته.

أشار لها إلى كرسي بتكلف، وقال: «والآن، هل لك أن تجلسي لنتكلم؟»

لكنها رفعت رأسها بتعال كدوقة وقالت له: «أعتقد أنه لم يعد لأي منا ما يقوله للآخر.»

«اللعنة، لم يعد عندنا!» وارتمى على الأريكة مضيفاً: «فقد أثرتني كـ...»

لكنها قاطعته غاضبة: «لا تتجرأ وتشتمني! لم تكن فكرتي أن أبدأ هذا كله!»

«لكنك أنت من ارتدت هذا.»

أشار بقدمه إلى الفستان المجعد الملقى على الأرض، فقابلت ازدراءه بنظرة مماثلة غاضبة وقالت: «يجب أن يكون بإمكاني ارتداء ما أشاء.»

«ليس هذا الفستان. سالي. من فضلك.»

«حسن، أتعتقد أنه لا يجب علي إلا ألبسه؟»

دفع القماش الحريري بقدمه وقال: «إن هذا الفستان يشبه دعوة مكتوبة على باب، وهل تعجبت من أنني كنت أريد الدخول لامتاع نفسي؟»

تذكرت سالي جدلهما، فانطلقت من جديد وعيناها الواسعتان تستشيطان غضباً واشمئزازاً وقالت: «آه، كيف، كيف تجرؤ؟ أولم يثبت ذلك ما كنت أعنيه بالتحديد؟ فكل ما كنت تريده كان مشاعرك الحسية، وكان بامكان أية إمرأة أن تحل مكاني في ارضاء نزوتك.»

نعم، لقد تركت كلماتها تأثيراً فيه، فراح يحدق فيها بتلك النظرة الفاحصة المالوفة، حتى ولو لم يعترف بصحة وجهة نظرها إلا أنه استوعب الفكرة.

رد عليها ببطء: «ليس بهذه الطريقة، فأنا صعب الارضاء.»

قامت باخراج أحد أصابع قدمها من تحت الدثار، ثم سحبت الفستان جانباً وقالت: «أنت تعرف جيداً ما أعنيه. فأنت لم تكن معي. لا أعرف من التي كانت في فكرك.»

اتكأ كيمب إلى الوسائد الجلدية خلفه، ونظر من خلال النافذة إلى الجبال المتلونة بفعل غروب الشمس قائلاً: «لقد كانت جاكي تحب هذا النوع من الثياب بأطرزة متعددة. ودائماً... مثيرة.»

انعكس قوله على سالي انخفاضاً في صوتها وخيبة وهي تقول: «لطالما تساءلت عن ذلك حقاً. إذن، فقد كنت أحل محلها.»

«لم أقل هذا أبداً.»

«هل استطاعت افهامك تقبل كلمة، لا، عندما تقولها امرأة لك؟»

انفجر ضاحكاً بمرارة وبلا سرور وقال: «آه، لو كنت تعرفين...»

وإذ لم تجرؤ على مواجهته، نظرت من الشباك الآخر إلى السماء الزرقاء وقالت «إذاً، اقتنعت بأسبابها وبخوفها من الحمل.»

www.rewity.com

«بل لم تذكر الأطفال مطلقاً، فمعظم النساء الآن لا يهتممن بهذا الأمر.»

هزت سالي رأسها. لا شك أن جاكي لين والنساء الأخريات اللواتي ارتبطن به كن يتخذن جميع الاجراءات اللازمة لحماية أنفسهن.

راحت تتساءل كما فعلت عدة مرات: لماذا لم تتمكن أبداً من اقناع نفسها بسلوك الطريق نفسها؟ وهل السبب في ذلك. أنها تشعر من اعماقها بأنها لن ترضى ابداً إلا بالحصول على الرجل قلباً وروحاً؟

ذكرته وهي حريصة على ألا تثير فيه ردة فعل عنيفة كالبارحة عندما طرحت الموضوع: «لقد طلبت منها أن تتزوجك.»

وثب واقفاً، ثم مشى إلى المقعد المنجد في الزاوية وارتمى عليه، ثم قال غاضباً: «ألم أقل لك للتو؟» انتظرت سالي مرتعبة ثانية بسبب ما انعكس في كلماته من مشاعر قوية، ومن توتر عضلاته وشرود نظره نحو الجبال الأرجوانية. لكنه عندما تكلم ثانية، كان كلامه هادئاً جداً.

«لقد اوقعت بي كما تعرفين، وتلك المكالمة كانت جزءاً من خطتها.»

أدركت سالي أنه كان يود التحدث في هذا الموضوع، وفوجئت إذ شعرت باحساس مشابه في نفسها.

سألته بلطف: «لما فعلت ذلك؟»

«كي تشتهر، فقد كانت فرقة المسرح في الشركة التي كانت تعمل فيها، قد شحذت فيها حب التمثيل فصممت على احترافه.»

«لكن لماذا ظلت تواصل الاصرار على احتراف التمثيل وهي كانت قد حققت الشهرة بمرافقتها إياك؟»

«رفقتي! كان ذلك أمراً سخيفاً بالنسبة لها، فقد كانت تطمح إلى أكثر من ذلك، إلى واجهة الصحف، وقد خططت لذلك منذ أول لقاء لنا.» ظل ينظر إلى الجبال البعيدة، وتابع بعد وقفة قصيرة: «بعد قصة الانتركوم، انهالت عليها عروض التمثيل، ولم تعد بحاجة لي.»

إذ سمعت سالي المرارة في جمله المرتجفة الكئيبة سألته بصوت منخفض: «ولكن ألست أنت من انهى العلاقة؟»

هز رأسه مواصلاً النظر عبر النافذة وقال: «لم يكن بوسعي تغيير الكثير بعد أن أعطت قصتها للصحافة.»

راحت سالي تتتبع احد الرسوم على السجادة بأصبع قدمها وسألته: «أما تزال تحبها؟»

لكن، لماذا جعلتها هذه الفكرة تحس بالحرمان والخواء. ولماذا اندفع الدم في عروقها عندما رأت شعره يتطاير من انقاضة رأسه القوية؟

تنهد كيمب مجيباً: «لم أحبها هي أبداً، بل أحببت صورتها، تلك الصورة الرائعة التي رسمتها في يقيني وكان من الصعب جداً محوها.»

«لكنك فعلت. أليس كذلك؟»

التمعت عيناه الغائرتان وقال: «من بين كل الناس أنت من يجب ألا تسأليني.»

«لكنني أسأل، فقد كنت تريد أن تتزوجها.» وواجهته بمشكلاتها عبر الغرفة مضيفة: «بينما لم تقل لي شيئاً بهذا الخصوص.»

قطب كيمب حاجبيه مندهشاً وقال: «إنك بالتأكيد لا تتوقعين أن أفعل ذلك ولم يمضِ إلا خمسة أيام على معرفتي بك.»

www.liilas.com

«لكنك كنت تريد مني...» وأخفضت عينيها إذ شعرت بالحرارة تندفع إلى خديها، ثم واصلت: «وأنا لا أريد ما كنت تطلبه مني بعد خمسة أيام فقط.»

«أعرف ذلك.» أدركت سالي من نبرته انه تفهم وجهة نظرها وثبت لها ذلك عندما استطرد قائلاً: «وكنت سأبدي سيطرة أكبر على نفسي لولا ذلك الفستان.» توقف قليلاً ثم تابع: «لا أريد أن أبرر ما قمت به، ولكن واجهي الحقيقة بشجاعة يا سالي، فقد كنتِ تعطيني تلميحات مخطئة.»

وإذ اعترف بأخطائه بتلك الطريقة، أمسى من السهل عليها أن ترى بماذا هي اخطأت. فتذكرت بخجل متجدد سبب ارتدائها الفستان. كيف بدا خارجاً عن المناسبة عندما ارتدته في مطعم الفندق للغداء بعد انتهائها من العمل. كيف اضطرت للهرب من هاري في المقهى بعد ذلك، وكيف انها لم ترتح إلا بعد أن استبدلت فستانها بالسترة الرياضية، التي شهدت لقاءها تلك الليلة مع كيمب.

«ربما أخطأت بارتداء هذا الفستان.» انحنت على الفستان الحريري فوجدته ممزقاً عند الخصر كما كانت تخشى فقالت: «سواء كان ذلك خطأ أم لا، فلن يكون بامكاني ارتداءه الآن.»

أضاف كيمب: «على أي حال، لن يكون ذلك مناسباً الليلة وكنت شرحت لك منذ أول دقيقة رأيته.»

«شرحت؟» رمقته بنظرة ساخرة وهي تربط أطراف الدثار الذي بدا يسقط عن جسدها وقالت: «هل كان ذلك شرحاً؟»

تلقى كيمب نظرتها بنظرة حزينة قائلاً: «نعم، فأنا أعبر أحياناً عن أحاسيسي بتطرف، لكنني لم أكن أبداً أقصد ازعاجك.»

أنحنت سالي لتلتقط عقدها وشالها، فيما هي تردد عبارته الجارحة: «لباس سيرك، قناع، كقطعة نقود معدنية رخيصة، واحدة من الكثيرات...»

غير أنه قاطعها بحرارة: «أولا تستطيعين أن تري أنك لست واحدة من الكثيرات. لذلك كنت مهتماً بما تلبسين. أنت تغفلين هذه الحقيقة. فقط أنت...»

انهت سالي لملمة أغراضها كان بامكانها أن تضحك وتقول: «فقط أنت... مطلع أغنية، أليس كذلك؟»

أشرقت ابتسامته مترددة في البداية، لكنها سرعان ما امتدت واتسعت لتضيء كل وجهه وقال: «هل اوقعت نفسي بالشرك ثانية؟»

ردت عليه قائلة: «نعم كنت تفعل ذلك ولكن بطريقة جميلة هذه المرة.» ثم أخفضت رأسها متظاهرة باصلاح دثارها وتابعت: «ولكن يا كيمب، علينا أن نذهب إلى الحفلة، فماذا أرتدي؟ إذ أنني لم أحضر معي سوى هذا الفستان.»

«إذن، ارتدي سروالك القطني، وضعي زينتك المعهودة.»

«لكننا ذاهبان إلى حفلة.»

قال لها كيمب: «أعتقد أنه كان علي أن أقول لك... صدقيني، كلما كان استعدادك للحفلة عفوياً، كلما كان ذلك أفضل.»

على الأقل، كان تنفيذ نصيحته سهلاً وسريعاً. عندما نزلت في المرة الثانية من الدور الأعلى، هز رأسه مستحسناً قميصها الحريري ذا اللون الأحمر المرجاني والبسيط جداً، وسروالها القطني بلونه الأزرق الداكن، المشدود بحزام ذي عقدة فضية اللون.

علق على ثيابها وهو يفتح لها باب سيارة الرانج روفر: «لقد عدت إلى حقيقتك ثانية، فأهلاً بعودتك.»

www.rewity.com

جلست بقربه وهي تقول: «إن ثيابي هذه مريحة أكثر.» وأغمضت عينيها بينما راح يناور للوصول إلى الطريق، ثم أضافت: «ولكن، هل سنتجه صعوداً؟ لا يوجد هناك سوى الغابة.»

«إنها غابات، مزارع ومراع في آن معاً، والطبيبة أليز، تقيم في واحدة منها على بعد نصف ميل من هنا.»

«هل اشترتها؟»

«كلا، انها لم تشتر شيئاً، لقد ورثها زوجها، وهو الذي يديرها الآن.»

«أليست الزراعة بالغة الصعوبة على هذه الأرض الشديدة الانحدار؟»

رد عليها كيمب: «السويسريون سكان جبال.» وانطلق بالسيارة على الدرب الضيقة بين الحقول الغناء غير المسيجة، ذات الانحدار الشديد وأضاف: «إنهم يعتبرون العمل الشاق أمراً عادياً.»

وافقته سالي في سرها، إذ رأت بعد قليل المزرعة محاطة بأرض شديدة الانحدار من كل الجهات، إلى حد أنه لم يكن بامكان أحد من هذه الجموع المنتشرة تحت أشجار الشربين أن يعبر أقصر مسافة لمصافحة صديق له من غير أن يصعد أو يهبط. وتعجبت كيف أن بعض الصبية كانوا يلعبون كرة القدم من غير أن يضطروا للهبوط التلة وصعودها دائماً جرياً وراء الكرات الضائعة.

كان المنبسط الصغير أمام البيت قد شغل بعربة وحافلتين صغيرتين، فاوقف كيمب سيارته بمهارة قرب كومة من الأخشاب على منحدر يكاد التوقف عنده أن يكون مستحيلاً ثم قال: «كان من الأفضل أن نمشي، فمعظم الناس جاءوا من القرية سيراً على الأقدام.» ونزل ثم فتح لها الباب وظلّ ممسكاً به لكي لا يغلق بفعل

الميل، لأن السيارة كانت تقف ومقدمتها إلى الأعلى وأضاف: «لكننا كنا قد تأخرنا.»

نزلت سالي من السيارة ممتنة لاهتمامه بفتح الباب في هذه الوضعية المائلة وقالت: «إنني سعيدة لأنك جعلتني أغير ثيابي.»

كانت مزرعة آل كاموتزي تتألف، كمزرعة كيمب، من الأشجار المعمرة ذات الأخشاب الفضية نفسها، لكنها كانت أكبر وأكثر جلبة في ذلك الوقت.

ما كانت سالي تنزل إلى الطريق حتى صعدت إليها فتاة صغيرة وهي تترنح ثم ضمت ركبتي سالي إليها، وجاءت في أثرها فتاة أخرى، تبلغ الحادية عشرة من عمرها، تمتمت شيئاً يشبه اعتذاراً. حملت الطفلة الصغيرة نازلة بها الدرج ثم انعطفت بها مختفية وراء البيت، ولما وصلا المكان الذي اختفت فيه الفتاتان، وثب عليهما طفلان صغيران يلوحان ببندقيتهما، كمن أوقع شخصاً ما في كمين، غير أن رجلاً نحيلاً أشيب أمرهما بالانصراف.

قال كيمب لسالي: «إنه مضيفك.»

وفيما تصافح سالي اليد الممدودة بابتسامة، تبادل كيمب بعض الكلمات السريعة مع زوج الطبيبة كاموتزي ثم قال لسالي: «إنه يدعونا إلى أن نعتبر البيت بيتنا.»

هزت سالي رأسها شاكرة، ثم دخلت من الباب الأمامي لتجد نفسها وسط عاصفة من الحركة وبرغم ان غرفة الجلوس كانت أكثر هدوءاً، لكن كيمب أخذها بعيداً عنها.

«لا يوجد هنا سوى المسنين، يستعيدون فيها ذكرياتهم مع أصحابهم القدامى، الذين لا يلتقونهم إلا في مثل مناسبات كهذا.»

تقدمها إلى مطبخ ضخم يعبق بروائح القهوة والفواكه والخبز

www.rewity.com

الحار، مزدحماً بنساء تبدين على قدر الحمل. كانت واحدة أو اثنتان منهن ترتديان منزرين عمل فوق فستانيهما الأنيقين، وكان بعضهن يلبسن سراويل وقمصاناً مثل سالي، والبعض الآخر يرتدين أحذية ذات أعقاب واطئة وبلوزات. برزت الطبيبة كاموتزي من وسطهن مرتدية لباساً رسمياً من الكتان الأزرق المطبق.

«إنني سعيدة لتحسن ركبتك يا عزيزتي.» ثم أخذت يد سالي متابعة: «أهلاً بك في عيد ميلادي الخمسين.»

ردت سالي بصوت خافت صادق: «يشرفني أن أكون مدعوة.»

حولت الطبيبة أليس وجهها نحو كيمب لتلقي عليه نظرة متجهمة وقالت: «كيمب، سنتحدث في ما بعد عن عدم مجيئك لأجراء الفحوص.»

طمأنها كيمب قائلاً: «إنني أقيس ضغط الدم بانتظام، وهو نسخة طبق الأصل عن درجة الضغط النموذجية للأشهر المنصرمة.»

هزت الطبيبة رأسها عندئذ برضى ووجهت كلامها إلى ضيفيها: «حسناً، إن حياتنا الجبلية تناسبك. بامكانك أن تأخذ الآنسة بنيدكت إلى القبو.»

رددت سالي بصوت منخفض بينما كان كيمب يقودها في الممر: «القبو؟»

«جزء صغير منه فقط، والباقي لا يزال يستعمل كمخزن للمزرعة.»

شدها كيمب جانباً ليلتصقا بالجدار فاسحاً الطريق أمام المرأة المبتسمة حاملة الطبق المملوء بقطع الجبنة المرشوشة بالعنب الأبيض والبقدونس وشرائح من الفلفل الأحمر والأخضر،

وتتبعها أخرى تحمل صينية مستديرة ضخمة من الخبز الأسمر وثالثة تحمل صحوناً من الزبدة.

سألته سالي: «ما كان ذلك الكلام عن ضغط الدم؟»

«أعتقد أن الحياة التي كنت أحياها لم تكن تناسب صحتي، فربما تكونين قد لاحظت أنني أفقد السيطرة على أعصابي بسهولة.»

«نعم، إنك سريع الغضب...» ثم توقفت قليلاً قبل أن تهبط السلم وسألته: «إذن أنت هنا بسبب صحتك. أليس كذلك؟»

«فقط بشكل غير مباشر. سأهبط هذا السلم قبلك. لقد زرت هذه المنطقة من قبل لمدة سنتين عندما كنت أعد تلك البرامج عن... فار الجبل الأميركي، ان كنت تذكرين، ثم بدأت أستقر هنا بالتدريج.»

«هكذا، فأنت لم تعد تقيم في لندن؟»

«إنني أحتفظ بشقة هناك للاستعمال وقت الحاجة التي يبدو أنها تتقلص شيئاً فشيئاً.»

ارتفعت الأصوات، ثم فتح كيمب لها باباً لتجد نفسها في ساحة واسعة تفوح منها رائحة التفاح وكانت كما يبدو تشكل مركز الحفلة.

كانت هذه الغرفة قبواً بالمعنى التقني للكلمة فقط، فقد كان الدور الأول من البيت محفوراً في الأرض المنحدرة، وكان يتلقى كمية كبيرة من الضوء كأي قسم آخر من المنزل، فعلى الرغم من اقتراب طول الظلام في الخارج، كان من الصعب معرفة ذلك الآن لأنه أثناء مرور كيمب وسالي بالمائدة المزدحمة بالأطعمة المغطاة بشرشف أبيض، كانت أضواء متوثبة تسطع حول الجدران.

www.rewity.com

من غير أن يسأل أحدهما الآخر، واصلا السير نحو الباب المزدوج المؤدي إلى ساحة معشوشبة في الخارج كانت تضيئها خطوط من المصابيح. وعلى الطريق في الأعلى، كان المزيد من الضيوف يتوافدون في سيارة اجرة القرية التي كانت أضواؤها الأمامية تتألق متطفلة على سكون الحفلة.

أشاحت سالي بنظرها عن الضوء الساطع، أعادت التطلع بسرور إلى مجموعات الضيوف الصغيرة المستضيئة بأنوار خافتة تحت الأشجار.

جلس تحت واحدة من هذه الأشجار رجال متوسطو العمر يتحدثون بارتياح، وقرب واحدة أخرى، كان أحد الأحداث يعزف على قيثارته ترافقه إحدى الفتيات بغنائها الرقيق بينما كانت الطفلة نفسها التي احتضنت ركبتي سالي تتمايل مع الموسيقى مفتونة. وكان على مقربة من هؤلاء طفلة صغيرة ترقد بين ذراعي رجل كهل يبدو أنه والدها. ارتفع الضحك من مجموعة شبان كانت قد تحلقت حول طاولة أوقفت عمودياً بطريقة ما، كان هذا الاحتفال مشهداً غير عادي بالنسبة لسالي في أحد جوانبه. على الرغم من أنه كان يدعى احتفالاً، فقد تميز بالسكينة واللهو الهادىء، لشعب كان يقدر السلام وظل يحافظ عليه قروناً عديدة.

ولم يكن كل ذلك الهدوء إلا ليزيد في صدمتها عندما وقع نظرها على الوافدين الجدد، فقد كانت أضواء سيارة الأجرة الخلفية قد أخذت بالتلاشي وهي تهبط التلة تاركة خلفها شخصيتين حالمتين تتعارض نعومتهما ولمعانهما مع هذا المحيط القروي. وإذ انطلقتا نحوها على العشب، هتفت سالي: «مارك، تارا، ماذا تفعلان هنا؟»

الفصل الخامس

رفع مارك ذراعه ملقياً التحية وقال: «كيمب، كيف حالك أيها الصديق القديم؟»

كشفت سترة بدلته الفاتحة عن قميص داكن، وربطة عنق ذات لون أحمر كالجمر، صممت لتبهر النظر حتى من هذه المسافة البعيدة وتحت الضوء الخافت. ما أن انتهى من تحية كيمب حتى استدرك قائلاً: «مرحباً سالي.»

نظرت سالي إلى كيمب فرأت الغضب بين حاجبيه، ولكن تقطيبته تلاشت بسرعة وهو يرد على مارك بتحية جافة. «ماذا تفعلان هنا؟ لم أكن أدري أنكما كنتما تعرفان الطبيبة أليز.» سألتهما سالي.

رد مارك: «تعنين الطبيبة كاموتزي؟» وبدا وكأنه كان يفكر في النزول إليهما مباشرة، ولكنه لم يفعل وأضاف: «إنها تهتم بزبائن الفندق.» ثم راح يتفحص التراب بحذائه المطلي جيداً وتابع: «قريباً سيكون زبائني بينهم.»

«هل تعني أنها دعتك إلى هنا للتباحث في شؤون العمل؟»

لكن كيمب همس في أذنها قائلاً: «أليز لا تفعل ذلك.»

علا الأحمرار وجه سالي، عندما تنبهت إلى أن صوتها وصوت مارك كانا مرتفعين وسط هذه الجمهرة الهادئة، وسرعان ما شعرت بالراحة من جديد عندما رأت زوج الطبيبة أليز يصعد الدرجات ليرحب بالقادمين.

«سوف تدعوهما لأن ذلك من آداب الضيافة، ولكن صديقنا

هناك لا يفهم شيئاً مثل...» توقف قليلاً ثم استطرد بهدوء: «... ولكن من هي مرافقته؟»

ردت سالي عليه وهي تشعر بمعنوياتها تهبط إلى الحضيض: «إنها مساعدتي.»

استوعب كيمب رقتها وقال: «لا يبدو عليها أنها كبيرة السن أو عندها الخبرة الكافية.»

«شكراً لك، فلكي يقوم المرء بعمل كعملي عليه أن يكون مسناً وقاسياً.»

نظر إليها باندهاش وقال: «ما مشكلتك؟ ألا أستطيع أن أعلق على صديقتك الجميلة...»

صححته قائلة: «بل زميلتي في العمل.»

«أنت لا تحبينها. لا شك أن هناك عطلاً في عقلها إن كانت ستقضي عطلة نهاية الأسبوع مع ذلك الرجل المزيف.»

«ذلك الممر...» توقفت سالي غاضبة لأنها اوشكت على ترديد كلمته نفسها، ثم أضافت: «ولكن لا تنس أن مارك والش هو عميلي أنا وتارا معاً.»

«هل سنعود إلى الموّال القديم؟» شرد نظره نحو تارا مرة أخرى وقال: «يا لها من جميلة!»

سرت رعشة باردة في جسد سالي، وهي تتابعهما بنظرها يهبطان إثر المضيف إلى المنزل.

كانت تارا تبدو صغيرة جداً نحيلة متوقدة الذكاء، مثل تلميذة شقية بتموجات شعرها الأشقر المتطاير، ولباسها ذي الطيات على الظهر. وراحت تهبط الدرجات وكعبا حذائها العاليان يحدثان بعض الضجيج، مجتذبة إليها نظرات لطيفة ولاهية من كلا الجنسين، واندفع خلفها مارك بجسمه النحيل الأهيف،

وابتسامته المشرقة والهادفة التي لم يرد عليها سوى النساء.

تساءل كيمب: «عساي أعرف إلى ما يهدف؟»

عضت سالي على شفتها متسائلة هي الأخرى، وقالت في نفسها ألا يستطيع أن يخمن حقاً؟ ثم رفعت وجهها إليه لكنها وجدته قد انتحى جانباً ليفسح الطريق أمام المجموعات الصغيرة التي أخذت تتجه نحو مائدة العشاء. كان مديراً ظهره لغرفة الحفلة المضيئة ولم تتمكن سالي من أن تقرأ في عينيه بماذا كان يفكر.

«لشركة الكينغفيشر أعمال هنا.» وتمالكت نفسها بعد أن سمعت اهتزاز صوتها وقالت: «أعتقد أنه يضع اللمسات الأخيرة على برنامجه مثل العناية الطبية...»

لكن كيمب قاطعها قائلاً: «من السهل تحقيق عقد التأمين الصحي في ساعات العمل.»

«قد يكون هناك أشياء أخرى: ربما يحب قضاء عطلة نهاية الأسبوع في مكان جميل.»

«ولكن، ليس هذا النوع من الأماكن الجميلة.»

توقف شخص كان يمر بالقرب منهما ليصافحهما، ففوجئت سالي بأنه مدير الفندق، وقد تغيرت هيئته تماماً بقميصه ذي الياقة المفتوحة وسرواله الفاتح فردت على تحيته بتهذيب مطمئنة إياه إلى تحسنها، وبعد أن تابع سيره. نظرت إلى كيمب آملة أن تكون تلك المقاطعة البسيطة قد أنسته عما كانا يتكلمان. غير أنه ولسوء حظها، نظر إليها بتجهم ووجهه يتلون بشتى الألوان.

«لقد عملت مع مارك والش، فهل تعتقدين أنه من الممكن أن يحب مكاناً هادئاً مثل انكلدورف؟»

www.newity.com

خفضت سالي نظرها وقد افحمها سؤاله، وعلى أي حال لماذا تجادله؟ مارك وتارا قد ينضمان إليهما في أي لحظة، حيث ستصبح مضطرة إلى مواجهة مشكلتها من كل جوانبها وبكل عواقبها؟

علق كيمب بمنطق قاسٍ: «وحتى لو فعل، فهو آخر انسان مستعد لقضاء وقته هنا ومعاشرة طبيبة ريفية ومزارع صغير.»

لم تجد ما ترد به.

استطرد كيمب: «يبدو مهتماً كثيراً باظهار نفسه على أنه صديقي.»

هزت رأسها بخيبة وخوف وقالت: «هذه هي طريقته مع جميع الناس.»

ارتفع صوت كيمب الأجش سائلاً: «مع كل الناس؟ هو لم يحمل نفسه عناء إلقاء التحية عليك.»

«قد يكون منزعجاً مني قليلاً.» لاحظت أن كيمب لم يكن يود أن يسألها عن السبب، فقد كان فكره منشغلاً بأشياء أخرى.

وكما يبدو، توصل تفكيره إلى نتيجة قاتمة لأنه قال: «لقد كان شديد الاستخفاف بجورج كاموتزي، ذلك لأن جورج ليس مهماً في تحقيق الهدف المقدس الذي مؤداه تحسين مركز مارك والش.»

«إنني حقاً لا أعتقد أنه سيء إلى هذه الدرجة.»

«إنه هنا للدعاية، أليس كذلك؟»

تنهدت سالي مستسلمة وقالت: «نعم.»

«هل لديك أية فكرة عن سبب إحضاره مساعدتك معه؟»

كانت تعرف السبب ولكنها لم تكن تود التحدث عنه. وإن كانت تارا قد تسلمت حقاً تنفيذ عقد شركة الكينغفيشر فستصبح قادرة على تسلم كل مهام سالي الأخرى بما فيها أيضاً مكتبها

وعملها. كان ذلك بالنسبة لسالي أكثر مما تستطيع التفكير فيه دفعة واحدة.

برغم أن شيئاً من تعاستها بدا على وجهها، لكن كيمب لم يغير الموضوع، بل تحول صوته إلى نبرة لطيفة على غير توقع.

«أيهمك أن تقولي لي ما تعرفينه عن مارك والش، وماذا يريد؟»

توقفت لتبلع ريقها، ثم أجبرت نفسها على مصارحته فقالت: «يريد اسمك على الاعلان.» وانتظرت الانفجار، لكنه عندما لم يحصل، أضافت قائلة: «إن برنامج الحقيقة الذي نفذته لا يزال حاضراً في النفوس، والرحلات التي نظمتها شركة الكينغفيشر إلى هنا...»

أكمل قولها باللهجة اللطيفة نفسها: «وستراقب بحزم فسيهتم السويسريون أنفسهم بهذا الأمر.»

حدثت فيه راغبة في معرفة المزيد وقالت: «لكنك لا تبدو غاضباً.»

«إنه مضيعة لكل شيء أن يغضب المرء بسبب حشرات كمارك والش.»

مضيعة لكل شيء؟ لماذا لم يحدد ويقول إنها مضيعة للوقت، أو مدر للطاقات إن كان هذا ما يعنيه؟ وسرت قشعريرة باردة في جسدها، عندما تذكرت تشدد الطبيبة أليز بالنسبة لضغط الدم عنده. ربما يجب عليه أن يأخذ الأمور ببساطة أكثر ولا يهتم كثيراً بالأشياء التي لا يستطيع أن يغيرها. الهذا السبب لم ينفجر غضباً عند وصول مارك؟ أو كان ذلك خطة لعدم الاهتمام بالمشكلات وتحويل تفكيره إلى مواضيع أخرى؟

إلى الفتيات الجميلات كتارا على سبيل المثال؟

www.rewity.com

أدركت سالي وفي نفسها غصة أن تارا ستناسبه أكثر منها بكثير لأنها لم يكن من طبعها المجادلة.

نعم فتارا لن تصرخ أو تتشاجر معه، فلها طريقة بالمهادنة والاطراء والارضاء لتصل إلى مبتغاها.

لو كانت تارا في مكانها، لما توغلت، ومنذ البداية في ذلك الوقت المتأخر من المساء في الغابة...

جلبت هذه الأفكار ذكريات جديدة وآلاماً جديدة، فقد كان من المفروض ألا يثار كيمب. وعذب سالي أن تفكر بالأذى الذي قد تكون سببته له في تلك الليلة، كما في كل الأوقات منذ أن التقت به في هذه الليلة عندما أوقفته عن...

غير أنها أقنعت نفسها بأنه كان عليها أن تفعل ذلك لأنه كان خطأ وأجبرت نفسها على تغيير ما كانت تفكر به.

لكن ذلك لم يكن سهلاً لأن كيمب عاد إلى استجوابها بشوق قائلاً: «هكذا إذاً، والش يريد تعاوني، ولكنه لم يثق بقدرته للحصول على موافقتي؟» وإذ لم ترد، استطرد: «إذاً لقد عرفت سبب وجوده هنا.»

هزت رأسها موافقة بيأس أكثر من كل المرات السابقة وقالت: «لا شك أنه قرر المجيء إلى هنا مباشرة بعد أن تحدثت إليه البارحة.»

«بمساعدة من...» توقف ساخراً ثم تابع: «... من زميلتك؟»

اقرت سالي بصعوبة وصراحة: «إن تارا تناسبه أكثر مني.»

«قد يكون...»

قطع صوت مارك الحاد عليهما انفرادهما، وحجبت ثيابه وشعره الضوء وهو يقول: «كيمب، ايها الزاهد المنعزل. ليس من المستغرب صعوبة العثور عليك وأنت تعيش هنا في هذه الأيام. كيف هي الحياة على قمة الجبل؟»

رد عليه كيمب بهدوء وانضباط قائلاً: «لست أدري، من الأفضل أن ترتفع ألف متر أخرى وتسأل وعل الجبل.»

أطلق مارك قهقهته التي اعتاد على اطلاقها في الحفلات، ثم استدار ليضم تارا إلى المجموعة قائلاً: «اقتربي يا عزيزتي، هذه هي فرصتك.» وقال لكيمب: «إنها تواقة لرؤيتك، فهي معجبة بك، منذ أن بدأت، عندما كان عمرها لا يتجاوز الثانية عشرة.»

أدركت سالي، أنه بذلك جعل عمر تارا عشرين عاماً فقط، وتساءلت: «ولما لا؟ فهي الليلة تبدو حتى أصغر من ذلك.»

وحيّت سالي مساعدتها عندما سنحت لها الفرصة بذلك. «هل رحلتكما للعمل، أم للمتعة؟»

«هذا الجزء... متعة خالصة.» استدارت مباشرة باتجاه كيمب قائلة: «يا لها من فرحة عظيمة!»

رمق مارك سالي بنظرة ذات مغزى وقال: «إنها تساعد في الحملة الاعلانية بعد أن فشلنا في الوصول إليك.»

أخذت تارا نفساً طويلاً وهي تعيد رأسها إلى الخلف وتوسع عينيها الزرقاوين تدريجياً وهي تنظر إلى قامة كيمب، قالت: «إنك ضخم جداً، أكبر بكثير مما تبدو على الشاشة.»

«كل شيء نسبي.»

كان وجهه ما يزال في الظل لكن سالي تمكنت من أن تلاحظ رعشة في حلقها كيف رقّ صوته، فمهما كان مقدار شكه بذلك المخلوق البريء، لم يكن بامكانه عدم التجاوب معها، لم يكن بامكان أي رجل أن يفعل ذلك.

«غالباً ما ابقى جالساً عندما أكون في الاستديو، أما في الطبيعة فـ...»

www.rewity.com

علقت تارا مقاطعة إياه بحكمة فقالت: «نعم، لا يوجد شخص من الممكن أن نقارنه بك.»

أضاف مارك: «بالضبط، ما عدا الأشجار.»

وفتحت تارا شفتيها الحمراوين لتضيف في حماس: «بل والذئاب، فقد كنت شجاعاً جداً بالاقتراب منها.»

فهمت سالي وقد اعجبت بتارا، إن هذه الأخرى كانت قد أتمت واجبها بالتأكيد، كم شريط فيديو قد شاهدته تارا وبسرعة قبل مجيئها؟

لكن كيمب عارض تارا قائلاً: «إنني في الواقع لا أقترب كثيراً من الحيوانات كما يبدو على الشاشة.» فهذا من وظائف العدسة المكبرة.»

علقت سالي بسرعة قائلة: «إن تارا تعرف ذلك.»

وإذ تحولت إليها كل أنظار المجموعة، وأدركت أن صوتها يشبه توبيخ إحدى المربيات، حاولت أن تخفف من نبرة صوتها، «لأننا نعمل مع مصورين. هذا جزء من عملنا.»

تدخل مارك كأنه يحاول سد ثغرة وقال: «ما رأيكم أن نتناول الغداء معاً غداً. هل يستطيع هذا الفندق أن يقدم لنا وجبة فاخرة حقاً؟»

ردت سالي: «ستكون مفاجأة لي إن لم يتمكن الفندق من ذلك.»

ولكن كيمب قال في الوقت نفسه: «بالطبع يستطيع.»

حدقت سالي فيه متسائلة عما إذا كان هو أيضاً مغتاظاً مثلها، وهل فهم مغزى الاشارة في أن على المرء الإشارة إلى أن عليه ألا يتوقع الكثير هنا في الغابة؟ لم تحر جواباً.

تابع دعوته قائلاً: «حسناً، سنتناول أفضل ما يستطيع تقديمه هذا الفندق القديم.»

تحولت عينا كيمب المحيرتان الغامضتان إلى سالي فعضت على شفتها لعجزها عن الكلام، وهز مارك برأسه في اتجاهها قائلاً: «لنعبر عن شكرنا تجاه ما فعلته لعزيزتنا سالي.»

أغمضت سالي عينيها متضايقة وتساءلت متى ستجرؤ على القول أنها كانت تكره أن يناديها بالعزيزة سالي، ثم رفعت عينيها إلى كيمب في تضرع كي لا يأخذ ذلك مستمسكاً ضدها. وبرغم أنها لم تكن قادرة على رؤية عينيه، لكنها كانت تشعر بطريقة ما أن عينيه كانتا عليها تحاولان قراءة أفكارها.

رد كيمب على مارك بصوت أجش: «نعم، حسناً... أعني... شكراً سالي.»

شبكت تارا يديها أمام صدرها المتواضع المكشوف وقالت: «آه، كم سيكون ذلك مثيراً، فأنا لم ألتق بكيمب ويتيكر فقط بل سأتناول الغداء معه أيضاً.»

رفع مارك كلتا قبضتيه إلى مستوى كتفيه تعبيراً عن شعوره الغريزي بالنصر. وفيما راقبته سالي أدرك خطأ فعلته، فاستبدل حركته بحركة أخرى وراح يحل ربطة عنقه قائلاً: «إن الطبيبة البيطرية لم تخبرني أنه ليس علينا التكلف بالثياب في هذه الحفلة.» ثم أتم خلع سترته وربطة عنقه ووضع الربطة في جيب السترة العلوي وأضاف: «إن ذلك يبدو أفضل.»

تعلقت عينا سالي بجسده العضلي المكسو بقميص أحمر قصير مما كان يزيد من جاذبية سمرته الناعمة. وتذكرت كيف أنها توقعت ومنذ أول مرة رأته أنه كان يأخذ حمامات شمسية.

نعم لقد استحسنت منظره وتعجبت من أنها لم تفكر بأن سمرته كانت مكتسبة في ما تلا تلك المرة الأولى من لقاءات. ورأت الآن

www.rewity.com

أنه كان يمارس الرياضة بانتظام من غير أن يتجول في شتى الظروف المناخية مثل...»

وإذ ذاك، حولت نظرها إلى كيمب ففوجئت بانحناءته السريعة لالتقاط شيء عن الأرض، وجاءت حركته تلك وكأنما لتظهر إلى أي مدى يستطيع المرء أن يبلغ من الصحة إن هو عمل في كافة الظروف المناخية.

كانت تارا كما يبدو قد خلعت حذاءها، لأن كيمب ما لبث أن استقام وفي كل يد فردة من الحذاء النسائي السخيف المستور وسأل مستفهماً: «كيف بإمكانكن أنتن النساء أن تمشين بأحذية كهذه؟»

رفت تارا أهدابها مجيبة: «ليس ذلك سهلاً لولا وجود شخص نضع ذراعنا في ذراعه عادة.»

وبدت تارا أرق وألذ من ذي قبل بفقدانها ثمانية سنتمترات من طولها بنزع الحذاء عن قدميها واستدارت بطولها البالغ مئة وسبعين سنتمتراً وراحت تمشي على رؤوس أصابعها على التراب كطفلة فضولية صغيرة ونادت على كيمب: «تعال، إنني أتشوق للجلوس على ذلك المقعد تحت الأشجار.»

تيقنت سالي من الطريقة التي دعته بها أنه كان سيفعل، فقال لها كيمب شيئاً لم تفهمه وهو يقوم بخطوته الأولى.

وبينما كانت سالي ما تزال تحاول أن تستوعب ما عنا كيمب، أحست بقبضة قوية تطبق على ذراعها وتجرها إلى غرفة الاحتفال ثم أحست بأنفاس مارك الدافئة ذات النكهة في أذنها تقول: «دعيهما وتعالي يا لذيذتي، فلنذهب ولنتناول شيئاً.»

«إنني لست جائعة.»

وإذ لم يكن بإمكانها تحرير ذراعها، استدارت لتنظر إلى

كيمب وتارا، لتجد أن كيمب قد استدار أيضاً محدقاً إليهما وقد أضاء وجهه أخيراً بتلك الابتسامة بين حاجبيه وعلى شفتيه المزمومتين. هل تراه كان يعبر عن اشمئزازه؟

وألح عليها مارك: «فلنشرب شيئاً إذاً.»

«لست عطشى.»

«عطشى! هذا هراء يجب أن تسترخي يا سالي.»

رأت سالي كيمب يرمي فردتي الحذاء كمن يرمي عصفورين ويتبع تارا، ولما رأته ينحني جالساً بجانب تارا على أحد المقاعد الخشبية الأكثر بعداً ويحني رأسه الداكن قرب رأسها الجميل ذي الشعر المنفوش الذي كان يضيء الظلمة، تنازعتها مشاعر من الغضب والمرارة والضياع.

وعند ذلك، أشاحت بنظرها عنهما إلى الجهة الأخرى، لكن ما رأته في هذه الجهة لم يكن أفضل، وقال لها مارك الذي كان ينظر إليهما ببشاشة واحترام: «إن لديها موهبة حقيقية، فعليك أن تتعلمي أساليبها يا سالي العزيزة طالما الفرصة ما تزال متاحة لك.»

ردت عليه والفشل يجرح حلقها: «إذن فقد أعطيتها مهمة تنفيذ العقد.»

أجابها ممازحاً: «إنك دائماً تستبقين الأمور، فقد تنجح في الحصول على موافقته وقد لا، لأن ويتيكر هذا عنيد وفظ.»

انفجرت في وجهه صارخة: «هل هذا لأنه يهتم بالمخلوقات المستقلة، ولأنه لا يحيا حياة المدن ويصرف وقته...؟»

رفع مارك يده بحركة دفاعية متصنعة وقال: «مهلاً، مهلاً، لقد كنت أحاول فقط أن أخبرك لماذا ما نزال بحاجة إليك.»

«هل ما تزال بحاجة إلي؟»

تسارعت أنفاس سالي لأنها كانت قد استعدت لحرق جميع سفنها وصممت على الدفاع عن كيب ومهاجمة مارك لأنها كانت قد تيقنت من خسارة العقد. لقد كان أشد ما أغاظها أسلوب مارك المغرور وهو يدعو كيمب عنيداً وفظاً.

أما الآن، وبعد أن اعترف مارك بحاجته إليها، أدركت مرة أخرى أن أسلوبه في الحياة قد يكون ما يزال صالحاً لها أيضاً. هل تستطيع الاستمرار في ذلك النمط من العيش؟

أقنعت نفسها بتعاسة أنها كانت تريد أن تستمر في نمط حياة مارك لأنها لم تكن تنفع في أي شيء آخر.

سألها مارك مستفسراً: «لقد قضيت عدة أيام في رفقة ويتيكر، فهل تعلمت أي شيء نستطيع الاستفادة منه؟»

صرت سالي على أسنانها وأجابت: «ربما.»

«إذاً أنت ما تزالين في مركز أقوى، في الوقت الحاضر على الأقل!»

«في الوقت الحاضر؟» أدركت سالي بالتحديد ما كان يعنيه بذلك، فهي كانت قد جربت كيمب ليس من وقت بعيد وأدركت أنه كان يبتغي معاشرتها، أما الآن، فقد ظهرت امرأة أخرى جذابة متشوقة لمعاشرته وربما إلى أكثر من ذلك. جفلت سالي من الفكرة، ولكنها أدركت أنه كان عليها مواجهة الأمر بصراحة. فهي ربما تكون مستعدة للزواج منه أيضاً.

ردد مارك صدى أفكارها وهو ساهم: «أضف إلى ذلك كله من يعرف ما قد يحصل بعد الذي يجري الآن، فتارا منفذة أعمال عظيمة وميلها لكيمب حقيقي غير متصنع.»

«هل هي تميل إليه حقاً؟ إن له معجبين كثيرين.»

كانت تريد أن تقول أي شيء تغطي بواسطته دقات قلبها

الصاخبة التي كانت تبث رسالة الحب في عروقها بشوق ويأس.

بالطبع كانت تارا تهوى كيمب، فأي امرأة كانت ستهواه لأنه لم يكن جذاباً بالمعنى العادي فحسب، بل كان فريداً عن غيره، كان رجلاً صادقاً، رجل النزاهة بكل معانيها!

واصل مارك كلامه: «بالتأكيد ستترك عملها إن تزوجها كيمب.»

«إن هي ماذا!» عضت على شفتها محاولة أن تستعيد السيطرة على أعصابها وأضافت: «ألا تعتقد أنك تستعجل الأمور بل تسبقها؟»

«أنت تعرفين عزيزتنا تارا، فما تريده تحصل عليه.»

«وهل هذا ما تريد؟»

هزّ رأسه وأجاب: «لقد حدثتني عن ذلك هي بنفسها.»

«لكنها لم تكن قد التقت به.»

«يجب أن تتعلمي منها دروساً ثمينة يا سالي العزيزة، فاللقاء الأول هو اللقاء الذي تتركين فيه انطباعاً.»

«لكن الزواج، كيف هي تعرف أنه سيتم؟»

علق مارك بازدراء مندهشاً لجهلها وقال: «بالطبع سيتم، فهو غني ومشهور أليس كذلك؟ مثل وصفة طبيب.»

«لمدى الحياة؟»

لمعت عيناه الخضراوان بدهشة ساخرة وقال: «ومن ذكر مدى الحياة؟ ولكن نعم، أصدقك القول يا سالي، النساء يفكرن بذلك، وقد يكونين على صواب، فبالتأكيد أنها تطمح إلى ذلك الآن.»

وتمتمت سالي محاولة أن تقنع نفسها بما كانت تقول: «إنني مسرورة لسماع ذلك.» نعم، أولم تكن منذ قليل قد أقنعت نفسها بأن تارا قد تكون مناسبة جداً لكيمب؟

www.rivity.com

سمعت مارك يقول: «الزواج الدائم ليس في حساباتها... فكل ما تحتاج إليه هو سنة أو اثنتين.» ثم غير الموضوع بآخر أكثر أهمية له هو وقال: «إنني افترض أنك لست على علاقة معه بعد»

أحست بالخدر يجتاحها، فأومأت برأسها.

«لقد اعتقدت ذلك، فأنت كنت ستمزقين ثاراً لو أنك أوقعته في حبائلك.»

أحست سالي بالأحمرار يندفع إلى وجنتيها وانتصبت مستقيمة وقد استفزت أخيراً لقول ما يجول في أفكارها.

«لكنك عبرت عن ذلك بطريقة بشعة.»

اعتذر لها مارك قائلاً: «أنا متأسف أيتها الحبيبة. إنك تبدين أكثر عافية، اتعرفين ذلك؟ فنسيم الجبل يناسبك على ما يبدو»

برغم أنها تاقت لتستدير وتنظر إلى ما كان يدور تحت الأشجار البعيدة، وجدت نفسها مضطرة للنظر بغضب في عينيه الخضراوين اللامعتين اللتين كانتا قد سحرتاها من قبل وكرهت الحديث عن الشيء الوحيد الذي كان ما يزال يربطها به وقالت:

«إذن ما زلت المسؤولة عن العقد؟»

«إن أثبت جدارتك في تحمل أعبائها هذه المرة.»

انزلقت أصابعه برشاقة إلى الجانب الأسفل من مرفقها، إلى بشرتها الناعمة تحت كم قميصها المرجاني، فخفضت نظرها وعادت بذكرياتها إلى ذلك الوقت، الذي كانت فيه مداعبة كتلك لها، تدفع أحاسيسها إلى الغليان.

فوجئت بنفسها تعبر عن أفكارها بصوت عال فقالت: «كم كنت حمقاء.»

«نعم، إذن هذا ما علمك إياه ويتيكر؟»

«بإمكانك أن تقول ذلك.»

اعترتها موجة من القرف فحررت ذراعها منه، وتساءلت عن سبب بقائها في الحفلة، حيث تحول طعم كل الأشياء مزاً. فقررت أن تترك الحفلة، وتتخلص من مارك، ثم تجد طريقها إلى البيت تحت النجوم ووسط رائحة الأرض وفي هدوء الجبال المسيطر.

«يجب...» عثرت على مبرر. «يجب أن احزم امتعتي، لقد قال كيب إننا لن نبقى طويلاً هنا.»

لكن مارك نظر إلى ما وراءها وقال: «لا أظن أنه يريد المغادرة الآن.»

رفعت سالي نظرها إلى عينيه الخضراوين، الراضيتين بما يحصل، بكره وملل وقالت: «ربما يجب علي أن أجد الطبيبة هيلير وأعتذر لها عن ذهابي.»

رد عليها موافقاً كأنه توقع ذلك: «فكرة جيدة، هل أتصل بسيارة إجرة؟»

أطلقت قهقهة قصيرة ومقنعة إلى حد ما وقالت: «المكان لا يبعد أكثر من عشر دقائق سيراً على الأقدام من هنا.»

«في الظلام؟»

«هنالك ضوء القمر.»

خطت في الظلام من دون أن تلقي نظرة إلى المقعد البعيد تحت الأشجار، رمت برأسها إلى الوراء وبدأت تحس بالراحة تحت ضوء البدر المعلق فوق القمم البيضاء في الجانب الآخر من الوادي وقالت لنفسها: ستكون الطريق جميلة، فالحقول مليئة بالأزهار، وقد كان كيب قد أخبرها أنها ستقطع وتحول إلى زيت في غضون أيام قليلة، وسينتشر عطرها في كل أرجاء القرية وحولها، غير أنها تذكرت نفسها أنها ستكون قد عادت إلى المنزل بين دخان السيارات.

لم يكن من السهل العثور على الطبيبة أليز، لكنها وجدتها أخيراً في إحدى غرف الدور العلوي تحتضن طفلاً متعباً وتتحدث إلى امرأة أصغر سناً تنفض سروال نوم صغيراً جداً. تقبلت وداع سالي بطيبة وشرود ذهن، وتمنت لها عودة سعيدة إلى الوطن. تركت سالي البيت بعد ذلك، ادارت وجهها شطر المزرعة من غير أن تبحث عن كيمب. وراحت تهبط الدرجات كل اثنتين معاً لا تصدق أنها تمكنت من الانفراد بنفسها أخيراً.

لكن، يا لخيبتها! لم تكن وحيدة، فقد سمعت وقع حذاء عصري تتبعها وما لبث أن انضم مارك إليها وهو يرتدي سترته.

«لما لم تنتظري، فقد كنت أودع الشيخ ببعض الكلمات الجميلة.»

بدأت سالي تضرب قدميها بالأرض من شدة غضبها وقالت: «هل تعني السيد كاموتزي؟»

ورد عليها مارك: «إن صداقته لا تضر، فهل علمت أنهم يملكون جزءاً من الغابة؟»

«إن معظم السكان هنا يملكون جزءاً منها.» تعجبت سالي من وفرة المعلومات التي كانت قد تعلمتها في أثناء فترة إقامتها القصيرة في هذا المكان، كلمة من هنا وكلمة من هناك. «إنهم يعتنون بها للحصول على الأخشاب.»

ولكن مارك لم يكن مهتماً باقتصاد الريف، بل كان يود التحدث عن حملته الاعلانية الجديدة صيد القرش في خليج المكسيك، وراح يفكر لو أنه سمى شركته شاركفيشر أو ربما شارك فقط. أخذت سالي تسير بأقصى سرعتها لأنه لم يكن بامكانها أن تنعم بالراحة وهو إلى جانبها، أو أن تتلذذ بالنسيم العليل، أو الجبال

المضيئة تحت أشعة القمر وعلى تلك الحال رغبت في الوصول إلى البيت في أقرب وقت.

توقفت عندما وصلت إلى بيت كيمب في المزرعة واعترتها موجة جديدة من التعاسة وتمنت لو أن كيمب أعطاها هذا المفتاح لتحتفظ به إلى الأبد لا لتستعمله لوقت محدد أثناء إقامتها... القصيرة جداً... في ذلك المكان.

أخرجت المفتاح من جيبها برغم أفكارها الحزينة وقالت: «حسن، ها هو المكان الذي...»

وأكمل مارك: «... الذي تبدأ فيه الإثارة.» وأخذ المفتاح من أصابعها المتصلبة، ثم نزل الدرجات وفتح الباب بسرور قائلاً: «هيا تعالي! ما الذي تنتظرينه؟»

هتفت سالي: «لا يمكنك الدخول إلى هنا، إنه...»

وأكمل مارك مرة أخرى: «... إنه لنا، ألا ينام هو في القلعة؟»

وتلعثمت سالي وهي تقول: «لكن، ولكن...»

أضاف مارك وهو يهز رأسه بفارغ الصبر: «أما الليلة فلن يكون هناك بمفرده.»

وإذ لم يكن لديها ما ترد له عليه، تركت رجليها الثقيلتين تهبطان بها الدرجات، وما كادت تصل الباب حتى كان قد أمسى في الداخل وراح يضيء الأنوار فلم تجد بداً من الدخول في أثره إلى غرفة الجلوس.

أدار طرفه في الأثاث الرصين الفاخر واستحسنه، ثم أشار إلى الخزانة المحفورة من خشب الصنوبر وسأل: «هل هذه خزانة المشروب؟»

وبرغم أنها لم تكن قد نظرت في الخزانة من قبل، قالت له: «كلا، فأنا لا أعرف بوجود مشروب هنا أبداً.»

أدركت لدهشتها أن ما قالته كان صحيحاً، فهي لم تشرب وكيمب منذ أن جاءت إلى المنزل شيئاً سوى عصير البرتقال.

أطفأ نور السقف وأضاء عوضاً عنه المصابيح الجانبية في مظلاتها ذات الطبقات ثم قال: «هل الخمر ممنوع، فلم يكن في الحفلة أيضاً شيء يشربه المرء سوى القهوة وعصير الفاكهة؟»

«لم ألاحظ ذلك.»

أنزل يده عن مفاتيح المصابيح الكهربائية، واندفع إليها وهو يقول: «لست متحمسة؟ هنالك طرق تجعلك تتحمسين.»

اندفع نحوها وتراجعت أمامه إلى أن أصبحت مضطرة للتوقف عند الطاولة التي كانت تسد عليها طريق التراجع، وقالت: «طرق لماذا؟»

«لامتاع نفسك بالطبع.»

عندما أطبق يديه على خصرها، حاولت أن تتراجع ولكن حافة الطاولة انغرزت في فخذيها بينما أنشبت أصابعه في لحمها بغير رحمة كفراش آلة ما، ثم التحم بها حاجباً بقية الغرفة وقال: «أترين ما الذي تفعلينه بي أيتها الحبيبة؟»

غير أنها قالت له وهي تكاد تختنق من عطر الحلاقة الكريه الذي كان يستعمله: «لا تستعمل هذه الكلمة، كما لا تبدأ بـ...»

حاول عناقها، فلم تصدق أنها أحبت عناقه في وقت من الأوقات، بل أخجلها مجرد التفكير بذلك. لقد كان مارك في الحب كما في كل شيء آخر، ضيق الأفق، أنانياً، لا يهمه سوى شخصه. فها هو الآن لا يكترث بمقاومتها، بل ما يكاد أن يلاحظها. وحاولت أن تتحرر ولكنها فشلت، ثم حاولت أن تعترض، لكنها أدركت متأخرة أنه كان عليها ألا تفتح فمها أبداً لأن كل ما استطاعت أن تطلقه كان زعيقاً مكتوماً.

ابتعد مارك عنها قليلاً ولكنه أبقى على قبضته حولها، وإذ لم تكن مرتاحة في ذلك الطوق، أدارت رأسها بعيداً عنه وجهدت كي تتنفس وسمعته يقول: «هيا يا سالي. أنت تريدين مسؤولية العقد ثانية وقد قلت إنك تستطيعين تحمل أعباء ذلك هذه المرة.»

وتجمدت عن الحركة ثم قالت: «أنا لم... لم... لم أعلم...»

«لقد اعتقدت أن ذلك سيجعلك تفهمين ما كنت أقصد. أما الآن، فاسترخي وإلا فلن تسعديني.»

«لقد أسأت فهمي تماماً، فأنا لا أريد أن...» وترددت وهي تقول جملته الأنانية: «... أن أسعدك.»

وبدا الاندهاش في صوته عندما تكلم في المرة الثانية قائلاً: «لا! ألم تقولي إن ويتيكر قد علمك بعض الأشياء؟»

«ليس هذا النوع من الأشياء.»

وتحول اندهاشه إلى عدم تصديق وهو يقول: «برغم أنك أمضيت كل هذه الفترة؟ هل هناك ما يؤلمه؟»

نظرت سالي من فوق كتفه إلى الغرفة التي كانت حتى تلك اللحظة مريحة وبالغة الهدوء وقالت: «بل بخلاف ذلك، إنه...»

ولكنها توقفت، فكيف كان لها أن تشرح تلك الخصائص التي تجعل من كيمب انساناً مميزاً إلى حد بعيد؟ وكيف كان لمارك بأفقه الضيق وأنانيته المغرورة أن يدرك قيمة انسان يسعى إلى تفهم رأي الآخر، انسان كان يهتم ويحفظ ويحمي بدلاً من أن ينتزع ما يريد؟ فلماذا إذاً سمحت لهذا السافل بالدخول إلى بيت كيمب، لقد بدا ذلك لسالي عملاً خيانياً برغم أنه كان خارجاً عن إرادتها.

فكرت سالي بأن عليها أن تخرجه من البيت، وحاولت أن تبدو هادئة حاسمة وهي تقول: «من الأفضل أن تذهب الآن.»

أخفض مارك جفنيه مغروراً بالعالم الصغير الذي كان يعيش

www.liilas.com

فيه وقال: «مهلاً، أعتقد أنني بدأت أفهمك، فأنت لم ترتبطي مع أي رجل من قبل، أليس كذلك؟»

رفعت سالي ذقنها وحدقت بالعينين القاسيتين جداً وقالت: «إنني لا أرى مبرراً لذلك.»

«أولهذا تركك ويتيكر؟»

«اتركني واذهب من فضلك.»

ولكن مارك واصل وكأنها لم تكن قد تكلمت قائلاً: «ليست العذارى كوب شاي لجميع الرجال، ولو عرفت أنك عذراء لما جشمت نفسي العناء، ولكن ها أنذا.» وراح يحاول عناقها ثانية وأضاف: «كلّفني استعداد لأن أقوم لك بهذه الخدمة.»

ولكن سالي حاولت عبثاً أن توقف يديه وأن تتغلب على موجة من خوف جديد بشع وقالت: «توقف عن ذلك! لا أريد...»

استمر في عناده محاولاً أن يفك أزرار القميص بمهارة المتمرس وهو يقول: «بل تريدين. اعقلي، وتذكري أن ذلك لن يكون ممتعاً لي.»

هل تصرخ؟ كلا لن يفيدها ذلك في شيء حتى ولو سمعها أحد في ما وراء هذه الأشجار الكثيفة، فأقرب بيت يقع في أسفل التلة ومن المستبعد أن يمر أحد على الطريق الهادئة في هذا الوقت، وبالتأكيد لن يمر كيمب الذي على الأرجح اوشك أن يكون في هذا الوقت مع تارا في القلعة. وإذ تخيلت كليهما في عرين ذلك العملاق، في تلك المملكة التي لم تدع إليها أبداً، حصل تحول في قلبها.

تساءلت سالي في نفسها: لماذا لا تدع ذلك الشيء يحصل، فهو لا بد حاصل وعلى أي حال سيساعدها على الاحتفاظ بعملها؟

وإذ لاحظ مارك استجابتها قال: «هذا أفضل. الآن نستطيع لكتشاف أماكن جديدة يا عزيزتي.»

«فقط إن كان لديك...» لكنها تلعثمت.

ولكن لم يكن بامكانها أن تتابع، فقد كرهت صوتها، حتى الكلمات التي دفعت بالعملية خطوة إلى الأمام وجعلتها تبدو موافقة وكرهت ابتسامة مارك المغرورة، وهو يربت على جيب قميصه سأل: «أين غرفتك؟»

تركته يجرها إلى الصالة، لكنها توقفت قليلاً عند أسفل الدرج وقالت: «أعـ... أعتقد ذلك، ولكني لست متأكدة بعد.»

«كفي عن ذلك الآن، أو، تعالي، سأقوم بشيء ربما يساعد.»

تصلبت فجأة وقالت: «إنك تؤذيني.»

استقام مارك ضاحكاً، ثم خلع سترته والقاها على حاجز الدرج بثقة وتكاسل: «ستعتادين على ذلك، بل ستحبينه في وقت قصير.»

وإذ أسر عينيها بالتحديق فيهما، وراح يخلع حذاءه، ردت سالي عليه بنظرة مماثلة. وفكرت في نفسها أن الذئاب تفعل ذلك بالأرانب عندما تريد أكلها.

وهل كانت حقاً ستبقى مسمرة هكذا إلى أن تؤكل؟ لقد كان ضرباً من الجنون مجرد التفكير في ذلك، لقد كانت مجنونة عندما تركت هذا المغرور الصفيق، هذا الأرعن الأبله يبلغ ما وصل إليه، إنه ذئب لا يعرف سوى أكل الأرانب. واجتاحتها موجة عارمة من النفور جعلتها تشعر بالقرف.

«أحتاج إلى بعض الهواء.» وتعثرت حتى الباب من غير أن تدري ما كانت تفعل ثم فتحته على الحديقة المضاءة بالقمر الساطع. وعندما انضم إليها، تشكلت في أحاسيسها

www.rewity.com

بقدر ما تشكلت في فكرها بداية خطة للتخلص منه.

ونطقت أية كلمات صدف وجودها في فكرها فقالت: «لم يكتمل البدر بعد، فربما يفعل ذلك غداً أو بعده...»

دفعها مارك مبقياً ذراعه أمامها وتحرك ليغلق الباب قائلاً: «هيا، إن لدينا واجبات يجب أن نقوم...»

خطت سالي إلى الخلف متصنعة الطاعة مترقبة حلول لحظتها المنشودة وجاءت لحظتها. كان صعباً عليها أن تعرف ماذا تفعل، فقد دفعها الخوف والكره ولاحساس بالخطر، إلى أن تضع كلتا يديها بين لوحي كتفيه وتدفعه بكل طاقتها.

نعم، لقد نجحت، فهو وإذ كان قد أخذ على حين غرة اندفع في الممر مترنحاً إزاء حافة الحديقة المرتفعة، عاد ليصعد الدرج في لحظة، وكان بالتأكيد صحيحاً ما فعلته سالي، إلا أنها في غضون ذلك الوقت أحكمت سيطرتها على الباب الثقيل، وأوصدته بكل قوتها في وجهه المذهول.

اتكأت على الباب برهة، فسمعت مارك يقرع على الباب بعنف شديد، ويتلفظ كلمات بذيئة، كانت ترتد إليه من خشب الباب السميك. وإذ لم تكن تودّ سماع سبابه، رفعت سترته من أحد كميها، مفكرة كيف ستكون عودته إلى الفندق حافياً وبغير سترته. ولم يكن ذلك ليهمها في شيء، لكنها كانت تريد تطهير المكان من بقاياه، فأخذت حذاءه بإحدى يديها، وسحبت سترته باليد الأخرى خلفها صاعدة الدرج إلى الدور الثاني، ثم نزلت إلى الشرفة الصغيرة فوق مدخل البيت، ونادته حيث كان ما يزال واقفاً يقرع على الباب وقالت: «خذ، التقطا»

فوجيء لظهورها المفاجيء فوقه فقال: «ماذا! تلك؟ انتبهي!»

وقام بوثبة محاولاً التقاط السترة لكنها كانت قد رمتها بعيداً،

فسقطت على المنحدر المعشوشب بعد الممر وتدحرجت محتوياتها إلى الممر الاسمنتي. وانحنى مارك مباشرة ليجمع ولاعة السجاير وقلمه الذهبي وختم توقيعه فاستغلت سالي الفرصة ورمت حذاءه من غير أن تنظر لتعرف أين سقط، بل أسرعت إلى الداخل وأوصدت الشرفة خلفها، ثم هتفت غير مصدقة ما أنجزت: «إنني في أمان.»

في غرفتها، راحت إلى النافذة وأوصدتها أيضاً ثم انتظرت كمخلوق خائف متاهب للتراجع إلى الظلام حالما يظهر شبح الخطر على الدرج. ولم يبق أي مبرر لقلقها بعد أن رأت خياله المتوتر الشاحب يهبط الدرجات كل اثنتين معاً متجهاً إلى الطريق من غير أن يلقي نظرة واحدة إلى الوراء ثم يهبط التلة بسرعة غاضبة ليختفي في أحد شوارع القرية.

وتساءلت غير مصدقة هل حقاً ذهب؟ ثم أطلقت تنهيدة طويلة وهرولت إلى الحمام. وعندما عادت إلى سريرها، صلت صلاتها المسائية في هدوء الغرفة المضاءة بنور القمر الأبيض، فقط لأنها لم تشعر بحاجة إلى استعمال ضوء آخر.

وبينما كانت تهوى برأسها على الوسادة، فكرت بأن ما جرى يعني نهاية علاقتها بالكينغفيشر كما أن تارا ستكون نهاية علاقتها بكيمب، إن كان يصح الاعتقاد بوجود مثل علاقة كهذه.

ووثبت إلى ذهنها صور كيمب وتارا معاً، حادة كالأبر، كالأبر والدبابيس.

لا تبدأ متاعب المرء إلى أن يتزوج. وحاولت أن تقنع نفسها أنه لا يكون هناك متاعب وحاولت ما في وسعها أن تقنع نفسها بأن تارا كانت ستناسبه. وشدّت اللحاف حتى أذنيها، ثم غفت وظهرها إلى ضوء القمر.

الفصل السادس

«صباح... الخير... يا كيمب.» أبطأت من سرعتها إلى أن توقفت لاهثة وأضافت: «لقد قمت بهرولة... رائعة.»

نعم، لقد سار كل شيء على ما يرام، فقد شغلتها الهرولة على الأقل عن همومها إلى أن لاحت لها من بعيد سيارة المرسيدس البيضاء تنحدر على الطريق آتية من جهة القلعة مما جعلها تتجمد في مكانها في بداية الأمر، لكنها ما لبثت أن استجمعت قواها وانطلقت بأقصى سرعتها صعوداً إلى البيت لتبلغه في الوقت نفسه الذي كان كيمب فيه يوقف السيارة ويخرج منها.

أغلق الباب بعنف قائلاً: «ستوقعين الأذى بنفسك يا امرأة.»

«لم... لم انطلق مباشرة.» ثم وضعت يديها على ركبتيها المنصوبتين للراحة ومواصلة التنفس بصعوبة وتابعت تقول: «لقد مهدت... للهرولة... تدريجياً.»

«افعلي ما تشائين.»

لكن لماذا بدا صوته هكذا فاتراً بعيداً؟ لم تتمكن من أن ترى من مكانها سوى حذائه الطري، وسرواله القطني وحاشية قميصه الأزرق، ولم يكن هو أيضاً يستطيع أن يرى شيئاً منها سوى سترتها الرياضية الليمونية اللون، وخصلات شعرها الرطبة المتناثرة فوق وجهها. قالت لنفسها وهي تعبىء رئتيها برائحة الصنوبر والحقول التي ستفتقدها قريباً. ليست لي هذه الوضعية رغبة لاخفاء وجهي عنه.

أما هو، ففتح صندوق السيارة بيديه اللتين بدا عليهما تأثير الطقس واضحاً وسألها: «إذن، فقد حزمت أمتعتك؟»

إلى هذا الحد كان يريد أن يتخلص منها؟

أجابت مدافعة عن عدم حزمها لأمتعتها: «لن يستغرق ذلك أكثر من دقيقة، ولدي وقت حتى الخامسة.»

أخرج حزمة فاقعة اللون من الصندوق وقال: «هذا غير صحيح، فموعد الطائرة في الخامسة، لكن عليك الذهاب قبل ذلك بساعتين...»

«إن شئت، أذهب الآن.»

أغلق الصندوق وقال: «لا تكوني سخيفة، هل تستطيعين الدخول إلى البيت أم تصلبت عضلاتك؟»

«لم يحصل شيء من هذا بالطبع.»

ولتثبت ذلك، انتصبت واقفة بتردد، لأنها، وكما كانت تخشى، لم تتمكن من مواجهة نظراته، بل جعلت نظرها يستقر على الحزمة القطنية تحت ذراعه. لقد كانت حقاً حزمة تجتذب الانتباه، خليطاً من خطوط خضراء مائلة إلى الزرقة، مختلطة بلون قرمزي وقطعة بلون الزعفران كانت ملتصقة بقميصه الأزرق الرصين ذي القطب الضيقة.

وتذكرت سالي أنها كانت قد رأت هذه الخطوط الملونة قبلاً، فراحت تتساءل أين كان ذلك؟

أشار إليها وهو يهبط الدرجات قائلاً: «هيا إذاً، غداً لن تكوني قادرة على الحركة، ولكن ذلك سيكون مشكلتك أنت.»

نعم لقد كانت تلك مشكلتها هي، فعلى الرغم مما كانت تثير صراحته من نفور، فقد كان كلامه عين الصواب، فهي ستنام الليلة في شقتها المرتفعة وسط دخان السيارات، وغداً تشق

www.rewity.com

طريقها إلى العمل، إن ظل لديها أي عمل بين ملايين اللندنيين. وإن أحست بالألم غداً بسبب حماقتها وتحميلها نفسها فوق طاقتها فهو لن يعرف بذلك أبداً، وحتى ولو عرفه، لم يكن هناك ما يدفعه للاهتمام. نعم لن يهتم أبداً، فردت عليه مؤكدة: «سأكون على ما يرام، فقد كنت بحاجة إلى هذا التمرين، لأنني لم أتحرك منذ إصابتي.»

«هذا هو السبب بعينه الذي من أجله يجب ألا تكلفي نفسك فوق طاقتها عندما تمارسين الرياضة.»

لقد كان صوته خاوياً لا ينم عن مشاعره، وهو لم يكن مهتماً إن أوقعت ضرراً بنفسها أو إذا استمرت في الضغط على ركبتها، بل كان يشير إلى حقيقة علمية فقط.

www.rewity.com

حدقت إلى ما خلفه من جبال زرقاء مائلة إلى البياض، متذكرة كل لطفه واعتنائه بها خلال الأيام الماضية. أما الآن فإن اللطف والاهتمام سينصبان على تارا، ولم تطق سالي التفكير بذلك أكثر.

لوّح كيمب بذراعه في حركة نصفها أمر ونصفها اهتمام قائلاً: «هيا، لن أدخل إلا بعدك.»

اندفعت إلى الأمام كما كان يريدها أن تفعل، ولكنها أحست بركبتيها التعبتين تكادان تتلكأ، فربما كان مصيباً في ما قاله، وأنه كان عليها ألا تقوم بتلك المرحلة الأخيرة من الجري صعوداً، لكنها قالت محاولة أن تقنع نفسها بما كانت تقول: «أنا لا أحمل نفسي فوق طاقتها، فقد أفادني التمرين.» وإذ وصلت إلى الباب الأمامي، فتحت جيبها الصدري وأخرجت المفتاح متابعة: «إنني أفضل الآن.»

وفجأة سمعت وقع أقدامه الثقيلة وهو يهبط الدرجات، فهل

كان يهبط كل درجتين معاً؟ بالتأكيد. فقبل أن تتمكن من الاستدارة للنظر، انضم إليها قرب الباب قائلاً: «أفضل من ماذا؟»

وإذ فزعت من هذا الإلحاح المفاجىء، أعطته المفتاح قائلة: «هاك. خذ المفتاح بينما أفكر بالموضوع.»

انتزع من يدها المفتاح وقال: «لماذا كنت تريدين أن تحسني وضعك النفسي؟»

تلكأت قليلاً ثم أجابت: «لا يوجد سبب خاص، أو ربما...»

ولكنها توقفت وتراجعت مذعورة أمام ظله الذي وقف بينها وبين الشمس بينما انحنى هو إليها قائلاً: «ما الذي كان يزعجك؟»

«سأكون غداً في لندن.»

«أوهل ستشعرين بالانقباض هناك؟»

هل أقنعته؟ رفعت نظرها إليه للتأكد من ذلك ولكنها أدركت مدهشة بأنها لأول مرة تستطيع أن تنظر إليه مباشرة منذ أن وصل. فلم كان فكه متوتراً وفمه البشوش عابساً؟ لما كانت عيناه الرماديتان المائلتان إلى الزرقة صافيتين صفاء الماس في ضوء الصباح تسبران غور عينيها؟

«إذن تشعرين هنا بالانقباض، فقط لأنك ستغادرين؟ ألا يوجد سبب آخر؟»

«حسناً...» لكنها توقفت، لأن سبب انقباضها كان على الأرجح أنها كانت ستترك عملها في وقت ما، وهي لم تكن تريد قول ذلك له، على الأقل بينما كان يحدق إليها عن قرب كما كان يفعل. فإن أخبرته بذلك، ربما لن تستطيع أن تتوقف حيث تريد، بل تجد نفسها مدفوعة للتحدث عن شقائها الأكبر، عنه وعن تارا، ولذلك فضلت أن تسأله: «أليس هذا كافياً؟»

«لكنه ليس السبب الأسوأ.»

تمتمت هي بصوت غير مسموع: «بالتأكيد ليس هو السبب الأسوأ.» وربما كان عليها أن تعرف أنها لن تتمكن من اخفاء الأمر عنه، فقد رأت الحزمة القطنية تسقط من تحت ذراعه إلى الاسمنت والمفتاح يرن بجانبها وأحست بيده تقبض على كتفها ويده الأخرى ترفع ذقنها إلى وجهه وتجعلها تنظر إليه مباشرة، وزأر بحدة مرعبة: «إنه ذلك الحشرة أليس كذلك؟ هل ألحق به العار؟»

حركت رأسها محاولة عبثاً أن تتحرر وقالت: «لا أعرف عما تتكلم.»

«وأنا متأكد من أنك تعرفين.»

أخذت وجنتاه تشحبان وعيناه تضيقان وفمه يستقيم في غضب لا يرحم وتابع: «ولكن ما يحيرني هو لماذا لم تـ...» غير أنه قطع كلامه وهز رأسه مبعداً إياه عنها، كأن لا يطيق رؤيتها حاولت هي عبثاً أن تدفع ابهامه عن كتفها أو أن تحرر ذقنها من يده قائلة: «هل لك أن تتركني؟»

أدار إليها وجهه من جديد ونظر من إحدى يديه إلى الأخرى في دهشة مما كانتا تفعلان، ثم تركها تذهب وهو بأعصاب باردة وثابتة جعلها تشعر أنها كانت كقطعة نفاية لا قيمة لها.

وقفت مرتجفة وقالت: «لقد أوقعت مفتاحي.» وانحنت لالتقاطه غير واعية لما كانت تفعل، راغبة فقط في أن تتخلص من النظر الذي كان يبديه تجاهها. وبينما كانت ترفع القطعة المعدنية عن الأرض، سمعته يزمجر فوق رأسها قائلاً: «كان بامكانك على الأقل أن تبقيه خارج منزلي.»

إذاً، هل كان ذلك سبب نفوره؟ قبضت سالي على المفتاح

وانتصبت واقفة وهي تصطنع الكثير من الاهتمام بوضع المفتاح في جيبها، وبرغم أن شعرها كان قد تدلى إلى الأمام من جديد لم ترجعه إلى الوراء رغبة في إخفاء وجهها الحار. وعندما أصبح الصمت لا يطاق، وجدت نفسها مضطرة لأن تسأل: «كيف عرفت؟»

«كيف عرفت! كيف تعرفين عندما تمر القطط القذرة في أي مكان؟ إنها تترك رائحتها القذرة فيه.»

كانت ركبتاها المرتجفتان تنذران بالانهيار، استندت إلى الجدار وراحت تفكر وهي مغمضة عينيها. لا بد أنه كان يعني عطر الحلاقة الثمين الذي يستعمله مارك، نعم، لقد كان بامكانها أن تتفهم ما يعنيه، فقد كان أي انسان سيكره رائحته الحادة، لكنها قالت: «لم ألاحظ شيئاً.»

رد كيمب ناظراً بازدراء إلى الضباب المتجمع خلف جفنيها: «لو لاحظت ذلك، لمحوت أثره.»

فتحت عينيها، ثم حركت رأسها بحياء وأشارت إلى الباب سائلة: «متى؟ متى دخلت منه آخر مرة؟»

أخرج مفتاحه من جيبه وقال: «ليلة البارحة. لقد نزلت كي أتأكد من أنك بخير فوجدتك بخير.»

«هل كنت حقاً بخير؟»

«لقد كنت نائمة ومتدثرة باللحاف بعد أن...» توقف ودخل إلى الصالة بينما حاولت هي أن تتبعه، لكنها لم تكن ترى طريقها فتعثرت بشيء طري على الأرض، فناداته: «لقد نسيت، لا أعرف ما تدعوها.»

وصرخ من فوق كتفه: «غسيلي الوسخ.»

وتذكرت عندئذٍ أين كانت قد رأت ما كانت تحويه تلك الحزمة،

www.rewity.com

شرشف سريره وغطاء لحافه الموجود في القلعة والذي كان قد وضعه عليها بلطف في تلك الأمسية التي كانا التقيا فيها لأول مرة.

واختلطت الألوان في رأسها عندما انحنت لترفع الحزمة فراحت تسأل نفسها، من نام على هذه الأغراض ليلة البارحة؟ ثم رفعت الحزمة وأعطته إياها من غير أن تنطق بكلمة واحدة.

«شكراً.» ولكن نبرة صوته كانت تقول: على لا شيء وهو يرمي الحزمة في إحدى الزوايا.

تبعته سالي إلى غرفة الجلوس الهادئة الطاهرة التي لن تعود كما كانت أبداً، وجعلها التفكير في ذلك تشعر في رغبة في البكاء ولكنها لم تفعل لأنها لم تكن تريد أن تريه دموعها تسيل فوق خديها، وبدلاً من ذلك قالت: «آسفة يا كيمب، لم أكن أريد حصول ما حصل، صدقني.»

نظر إليها بعينين لاحت فيهما دوامة من الطاقة الهائلة وقال: «إذاً فقد أجبرك. يا إلهي. سوف أحـ...»

مسحت دمعة من عينها وهي تقاطعه قائلة: «كلا، كلا، لم يفعل أريد أن أعتذر لك عن...» وتوقفت لأنها كرهت أن تلفظ اسمه لكنها ما لبثت أن تابعت: «عن تركه يدخل إلى هنا. لقد دخل.. قبل أن أتمكن من إيقافه.»

وأخفض العملاق رأسه وهو يقول: «نعم، إنه لا يتورع عن فعل ذلك، كما أنه لا يهتم بما يتصرف به بعد أن يدخل.»

«حسن...» وترددت مفكرة إلى أي مدى تستطيع أن تصارحه لكنه قطع عليها تفكيرها عندما قال: «إن لم يجبرك، فلا بد أنه أوصلك إلى مرحلة من الإثارة أصبح فيها رفضك شبه مستحيل أليس كذلك؟»

بعد أن مسحت دمعة أخرى من عينيها تمكنت من أن ترى بوضوح ما لم ترتح لرؤيته. فقد كانت شفتاه مزمومتين، وكتفاه مستعدتين للقتال، كما كانت قبضاه تهتزان غاضبتين إلى مستوى خصره. وراحت عيناه تتبعان عينيها كما كان يفعل عندما وضع يديه عليها عند الباب ثم نقل نظره بين قبضتيه حتى انتهى إلى فتحهما وتركهما تسقطان إلى جنبيه إلاّ أنه ألح عليها طالباً: «يجب أن تخبريني يا سالي. أريد أن أعرف إن كان قد...»

لقد بدت كلماته وكأنها كانت تتخبط في حنجرته غير أن سالي مسحت آخر دموعها وتمكنت أخيراً من أن تنظر مباشرة في العينين الهادئتين الصارمتين. هل هي الغيرة؟ كلا لقد كانت لديه أسباب أخرى، كانت تستطيع أن تتفهم تلك الأسباب التي تدفعه إلى أن يأخذ الموضوع على محمل الجد.

أما هو فتكلم بلهجة متزنة وصوت مرتجف فقال: «إنك في ضيافتي، وأنا مسؤول عما يحصل لك.»

شعرت سالي بجسدها كله ينهار تحت وطأة شيء لم تكن تريد أن تعترف أنه الخيبة فقالت: «حسن، حسن، لن تكون مضطراً إلى أن تقلق بعد هذه الليلة.»

لكن يديه امتدتا إليها وقبضتا على جزء من كتفيها وهو يقول: «بحق السماء يا امرأة، كفاك مراوغة. هل تريدينني أن أهزك إلى أن تقولي الصدق؟»

نظرت سالي إلى إحدى يديه ثم إلى الأخرى كما كان هو قد فعل من قبل عند الباب، ولما لم يجد ذلك، انتصبت رافعة قامتها إلى أقصى حد مجلّسة كتفيها وقالت بحدة: «بل يجب عليك أن تتوقف، وفي هذه اللحظة.»

www.rewity.com

وفي فترة الصمت المتوتر التي تلت، لم يكن عليها إلا أن تبقي فمها مغلقاً وتتمالك صدمتها. هل كانت مؤثرة فيه حقاً إلى هذا الحد الذي يسمح لها بأن تكلمه بتلك الطريقة؟

سرت سالي بانجازها فراحت تقول في نفسها: نعم لقد فعلت، لقد فعلت. وأحست بالنشوة تجتاح داخلها، لأنه ربما كان سيؤذي نفسه بتوتره، لذا كان يجب عليه التعود على أخذ الأمور بهدوء.

وهكذا، ظلت ثابتة بلا خوف بين تينك اليدين المنحنيتين، وأحست بالشجاعة تندفع من جديد إلى كافة أنحاء جسدها، وسمعت صوتها يقول بهدوء وثبات: «امدأ الآن وخذ نفساً طويلاً.»

لكن كيمب زمّ شفتيه وحاول من جديد: «أريد أن أعرف كيف... إن هو استعمل قوته الجسدية ضدك؟»

«هل تعني كما تستعملها ضدي الآن؟»

ظلّ يحدق فيها لبعض الوقت، انصاع لنصيحتها وبدأ يتنفس بهدوء، وراح صدره يرتفع وينخفض، وأنفاسه تنطلق دفعات رافعة خصل الشعر الخفيفة عن جبينها للحظات وجيزة. وبينما كانت تلك الخصل ما تزال تعود لتتدلى على جبينها، سار هو إلى كرسيه المعتاد قرب النافذة ورمى بنفسه عليه متسائلاً: «هل هذا أفضل؟ أيقنعك ذلك أنك لست المقصودة بتهديدي؟»

فرحت سالي في نفسها قائلة: لقد فعلتها، لقد جعلته يتوقف ثم يهدأ ويفكر بما يصنع.

كان كل شيء في تلك الحال من النشوة الصافية، ممكن التحقيق، ليس ممكناً فقط، بل سهل أيضاً لأنه أصبح بامكانها أن

ترى بوضوح ما يجب قوله وعمله بالتحديد، فأجابته بثبات: «لم أفكر أبداً أنني كنت المقصودة بتهديدك. لا أعتقد أنك تستطيع أن تفعل ذلك أبداً.»

لم تتخط حركة كيمب حدود الأريكة وقال: «أعتقد أن ما قلته الآن تقدم عما قلته في ليلة التقائنا.»

أما سالي فابتسمت ابتسامة صادقة لاعجابها بالوضعية التي استرخى فيها وقد أحاطت الأريكة بأطرافه الطويلة فقالت: «لقد تعلمت منك الكثير، فأنت لست مؤذٍ يا كيمب. إنك حام ومساعد وطبيعي...»

غير أنه قاطعها ملوحاً بذراعيه وقال: «هل تستطيعين التوقف عن هذا الهراء واخباري ما فعله بك مارك والش؟»

«كل شيء في وقته، وذلك شريطة أن تعدني بالبقاء في مكانك إلى أن أنتهي من كلامي.»

وافق متذمراً: «نعم إلى أن تنتهي، ولكن لا تسالينني عما سأفعله بعد ذلك.»

«ما لن تفعله هو أن تجد مارك وتضربه إلى أن يتبدد.»

«لقد فكرت بدق عنقه.»

نظرت سالي بانتصار، ممتعة نظرها بالشعر المتدافع في قمة رأسه، والتي قلما أتاحت لها الفرص أن تراها وقالت: «أرأيت؟ يجب ألا تفعل شيئاً من هذا.»

تلمس ذراعي الأريكة بابهاميه وقال: «هل تعتقدين حقاً أنني لا أعني ذلك؟ جربيني فقط.»

«إنه هو الذي سيفعل ذلك، أو بالأحرى الشرطة...» وتوقفت قليلاً لتترك الكلمات تترسخ في ذهنه ثم أضافت: «أعتقد أنهم يعدون ما ستفعله اعتداءً اجرامياً.»

www.liewity.com

«اللعنة على الجنايات... إنني سأقوم بخدمة للجنس البشري.»

بدا الأمر واضحاً أنه استوعب فكرتها لكنه لم يكن قد اقتنع بها بعد فقال: «إن كان آذاك فسوف...»

لكن سالي أسرعت تؤكد له قبل أن يطلق المزيد من تهديداته الحامية: «لم يؤذني، ليس كثيراً على أي حال.» وتمكنت من أن تتبين قصده واضحاً من الكلمات المتدافعة المتداخلة.

«لم يؤذك كثيراً، يعني أنه آذاك كثيراً؟ انتظري فقط إلى أن...»

غير أنها ردت عليه رافعة صوتها لكي يسمعه: «إلى أن تؤدي له خدمة. ألا تستطيع أن ترى الفائدة التي سيجنيها من ذلك؟»

لقد كان من الواضح أنه أدرك ما كانت تعنيه، فقد حشر يديه في جيبيه بتردد ثم ارتمى على الأريكة مجدداً.

رددت سالي ما تصورته الخطوط العريضة في الصحف قائلة: «القبض على كيمب ويتيكر وهو يلكم شخصاً. بل ربما سيغطي تلك الصفحات الأولى ويصبح حديث الصحف، فمارك لن يألو جهداً لتحقيق ذلك.»

«الويل واللعنة!»

كررت سالي أحد أقوال مارك القاسية: «كل أنواع الدعاية هي دعاية جيدة.» لطالما سمعته يردد ذلك.

«ولكن ألا يفترض أنه يدير إحدى شركات الطبقة العليا من المجتمع؟»

«نعم، ولكن ذلك آتياً فقط، من يدري ما الذي يريد فعله في سنة أو اثنتين من الآن؟» ثم استشهدت بقول آخر لمارك: «كلما يكبر الاسم تكبر المغامرة.»

«وتكبر كومة...» ولكن لم يكمل تعليقه بل واصل قائلاً: «لست مهتماً بما يصنعه هذا الـ...» غير أنه توقف خجلاً ثم تابع: «لا أستطيع التفكير باسم واحد له يليق بسيدة محترمة أن تسمعه.»

أحست سالي بالضحك يندفع في حنجرتها وقالت: «إذاً فأنا سيدة محترمة؟ آه يا كيمب، ما...»

وجاء دورها في أن تبلع كلماتها التي كانت تريد قولها متعثمة والتي كانت «أحبك» وإذ لم يكن من السهل إيجاد البديل لها، استعملت عبارة: «ما أشدك رجعية.»

«إن كانت رغبتي في معرفة ما يدور تحت سقف منزلي رجعية، فأقبل أن أكون كذلك، فهيا أخبريني ماذا فعل بك.»

اتخذت كرسياً إلى الجانب الآخر من الطاولة المنخفضة، وراحت تسترجع حوادث الليلة الماضية في تفكيرها، محاولة أن توردها بالترتيب وقالت: «لم يفعل بي الشيء الكثير، ففي الواقع، لم يكن هناك الوقت الكافي ليفعل ما كان يريد.»

«إذن فهو لم... أعني أنك ما تزالين...»

«نعم، ما زلت...»

أطلق كيمب لدى سماعه ذلك تنهيدة مدوية أخرى مما أتاح لسالي أن ترى تلك التنهيدة تترافق مع تلاشي العدائية المحتقنة في وجهه واسترخاء عضلاته واستقامة ذراعيه الممدودتين فوق ذراعي الأريكة وأن ترى كيف استلقى شعره الملتف إلى ظهر الأريكة المزخرف.

واصلت سالي كلامها بحدة قائلة: «أرجو أن تنسى نقص خبرتي، فكما قلت هذا الصباح، إنها مشكلتي أنا.»

رمقها كيمب بنظرة حادة وقال: «لم أقل ذلك في شأن هذه

www.rewity.com

القضية. كل ما في الأمر أنني أكره أن أتصور هذا الضفدع مع أية فتاة مهذبة.»

كتارا على سبيل المثال؟ هل أيقظت تلك الرقة النسائية غريزة الحماية التي كانت وإلى حد بعيد تشكل جزءاً كبيراً من طبيعة كيمب ويتيكر؟ هل كانت تارا تخبره الليلة الماضية؟ لم يكن بامكان سالي أن تتخيل حتى مجرد احتمال أن يكون قد حصل شيء بينهما في الليلة الماضية، فقالت له في محاولة لتغطية ألمها: «حسن، لن تكون بحاجة إلى أن... أو على الأقل ليس معي على أي حال.»

«ولكن كيف بامكاني أن أصدق ذلك. ماذا فعلت...» توقف كيمب لحظة لعجزه في التعبير عما كان يجول في فكره ثم واصل قائلاً: «اللعنة على ذلك يا سالي، لا شك أنه طاردك في شتى أنحاء المنزل.»

أطلقت سالي قهقهة متوترة وقالت: «لم يتح له الوقت الكافي ليقوم بذلك، فلقد قمت...» ونظرت إلى يديها بشيء من الاستغراب لتحولهما ثم أضافت: «... لقد كان بسبب القمر وحاجتي لبعض الهواء.»

«أنت تنطقين بكلام غير مفهوم.» لكنه على الرغم من قوله هذا كان قد أخذ ينسجم بالقصة وكان مستعداً لربط أجزائها ببعضها وسأل: «ما أريد أن أعرفه هو، كيف تخلصت منه؟ إن مارك والش بالتأكيد لا يخرج ما لم يطرد.»

انحنت سالي إلى الأمام مسرورة بان تكون قد أعطيت نقطة تبدأ منها وقالت: «هذا ما فعلت بالتحديد، دفعته إلى الخارج.»

«ووقف هناك تاركاً إياك تفعلين ذلك؟»

أحست أنه لم يصدق، أسرعت تقول له: «صدقني، لقد فتحت

ذلك، وفتحت الباب أيضاً...» لكنها توقفت عند ذلك، إذ لم تكن تريد أن تخبره كيف كانت أن تجاريه، وكيف تحول ذلك إلى نفور في ما بعد، لكنها ما لبثت أن تابعت: «نعم، فتحته لأنظر إلى القمر.»

حدق فيها وسأل: «ولكن لماذا كنت تفعلين شيئاً رومنسياً كهذا؟»

«لقد تصنعت ذلك فقط.»

«كنت أفضل لو أنك لم تتظاهري بأي شيء أمام ذلك صرصار.»

«ماذا كنت لأفعل؟ أين...؟» لكنها توقفت من جديد تعض على لسانها هذه المرة، لأنها كانت تريد أن تسأل: «أين كنت؟» فلم تستطع ن تسأله ذلك لأنه لم يكن من اختصاصها، ولأنها كانت تعرف الجواب مسبقاً.

وعندما نظرت إلى الحزمة الكتانية، تلاشت نشوة انتصار الليلة الماضية، تاركة إياها محطمة في مواجهة الحقيقة القاسية الباردة. غير أنها تمكنت في النهاية من استجماع هذه الحقائق بكآبة، لتنتهي العمل الذى كان بين يديها وقالت: «لم يكن بامكاني أن أمسكه من عنقه وسرج سرواله وأرميه خارجاً، أليس ذلك صحيحاً؟»

وافقها وهو يتمنى لو كان حاضراً فقال: «نعم، أفهم ذلك. إذن فتحت الباب فخرج معك لينظر إلى القمر؟»

«هل تعتقد أنه يفعل شيئاً كهذا؟»

وفي ضوء نقاشها المتزن المتمهل، كان بامكانها حتى أن تنظر في عينيه وقد تلاشت قساوتهما الألماسية ورأتهما تلمعان بالحرارة والاهتمام، برغم بعض الغيوم التي كانت قد

صاحبت عملية بحثه عن جواب لسؤالها. وها هو يقول: «إن مارك والش لا يسمح لأحد بازعاجه، فكيف أوصلته إلى الباب؟»

«لقد كان يريد...» وتوقفت إذ شعرت بالخجل يندفع إلى وجنتيها ثم تابعت: «... لقد كان يعتقد أنني كنت أضيع الوقت فدفعني بكتفه إلى الداخل ليتمكن من اغلاق الباب.»

هز رأسه زاماً شفتيه وقال: «سم، هذا أوضح.»

«بعد ذلك كان كل ما علي فعله هو أن أقف خلفه وأدفعه فقط.»

وردد هو بعدها الكلمة الأخيرة: «فقط؟»

«وأوصد الباب قبل أن...»

لم يعد بامكانها أن تتابع بعد ذلك، فقد ذاب صوتها في صرخة الفرح التي أطلقها، وبرغم أنها انتظرت جامدة في مكانها، لم ينتبه إليها أبداً بل أرجع رأسه إلى الخلف، وراحت حنجرته القوية تموّج قهقهة لشدة الضحك، بينما تدلى شعره الداكن على إطار الأريكة المستدير، كما برزت أسنانه كلها. لقد بدا لها وهو على هذه الحال من الاطمئنان، أخطر من أي وقت مضى. بدا كذئب شبعان أرعن بعد اصطياد فريسته.

وأثناء كل هذا، أخرج من جيبه منديلاً أحمر مخططاً بالأبيض وخرج معه شيء آخر، قطعة من القماش كانت أشد احمراراً، رماها على الطاولة بينهما. ونظرت سالي إلى قطعة الحرير الحمراء وهي تنبسط من تلقاء نفسها وقالت: «إذن، هكذا عرفت بمجيء مارك إلى هنا. كنت اعتقدت أنك شممت عطر الحلاقة الذي يستعمله.»

«نعم، لقد فعلت.»

زم كيمب فمه من جديد فأدركت سالي أنه كان يعبر عن أكثر

من مجرد نفور، فما قرأته في عينيه لم يكن سوى مقت وكره لمارك والش وأمثاله وأعماله.

«لقد كان كرهه يشملني أنا عندما فكر أنني...» وشعرت سالي عند ذلك بفمها يتقلص اشمئزازاً لأنها تذكرت كيف أوشكت أن تقبل بمعاشرة مارك والش، وبرغم ذلك، أدركت أنها كانت تنتمي إلى عالم مارك والش لا إلى عالم كيمب. وفي محاولة لمحو احساسها بالتعاسة، أشارت إلى ربطة العنق الحمراء كالجمر، الملتوية كالأفعى بين صحن الفواكه والمزهرية وقالت: «لقد خلعها في الحفلة.»

«حقاً لم أنتبه لذلك.»

أضافت سالي محاولة أن تخفي المرارة من كلماتها برغم أنها كانت تشعرها بما يشبه الخل في فمها: «نعم، لقد كان ذلك عندما خلعت تارا حذاءها. أين عدت ووجدتها؟»

أشار كيمب عبر الصالة: «هناك في الخارج على الدرج.»

«الآن فهمت، ليس من العجب أنك فكرت...»

لكنه قاطعها كمن لم يكن يريد سماع المزيد: «أستغرب أنني لم أوقظك حالما وجدتها، فكان أول ما فعلته أن انتقلت من الدرجات إلى غرفتك.»

صححت له سالي في قلبها: غرفته، لقد كان ينام هنا قبل أن ينتقل إلى القلعة وكان المكان كله يعبق برائحته وكانت كلما وقفت على أصابع رجليها لتنظر في المرآة تتذكر طوله ونزاهته.

لقد كانت خزانة الملابس والخزانة الطويلة ذات الأدراج تعبقان برائحته، أما السرير الثنائي المصنوع من خشب الصنوبر، كيف كان لها أن تفكر بمجرد السماح لمارك

www.rewity.com

دخوله. وتنبه كيمب لاشمئزازها فقال: «نعم، إنني آسف، لكن على الأقل تركتك تنامين وادعة بعد أن تأكدت من أنه لم يكن معك.»

«كلا، لا تقل ذلك.» فهي كانت تكره أن تفكر به وتكره أن تفكر كم كان حصول ما لم تكن تحب وشيكاً. ولكن إذ كانت تريد معرفة المزيد، سألته: «ماذا كنت ستفعل لو وجدته معي؟»

«كنت سأذهب وأحرق المكان لاحقاً، أو أي شيء من هذا القبيل على ما أعتقد...» ولكنه تلكأ قليلاً ثم عاد وتابع: «هل بامكانك أن تفهمي الآن، فرغم أنني وجدتك بمفردك، لم أعرف إذا...»

وقاطعته مؤيدة: «كنت ما تزال غاضباً لمعرفتك بدخوله بيتك فقط.»

«ليس لذلك السبب فقط. حسناً لا تهتمي... لقد كنت أريد التحدث إليك وقتئذٍ.»

«ولماذا لم تفعل؟»

«لا أعرف، فقد كنت تغطين في نوم وديع.»

غير الموضوع بحركة من يده باتجاه ربطة العنق قائلاً: «ما الذي أتى بها إلى الدرج؟ لا بد أنها سقطت من جيبه.»

أما سالي فتذكرت بسرور كيف جرت سترته إلى الطابق العلوي من أحد كميها فقالت: «لم أكن مهتمة بما سيحصل لأغراضه عندما صعدت بها إلى الدور الثاني لأرميها من الشرفة.»

«هل حقاً فعلت؟»

التمع الضحك في عينيه ثم قرقع في صدره فردت هي عليه بفتور: «يسرني أن تكون قد تسليت بذلك، لكنه لم يكن مضحكاً أبداً عندما كنت أنا أمر فيه.»

رد كيمب محاولاً أن يتحول إلى الجدية قائلاً: «وكنت أنا سأصل إلى البيت في وقت أبكر لولا أنه...» لكنه توقف إذ انفجر صدره مقرقعاً بالضحك مرة أخرى ثم أضاف: «بعض الناس ترمى لهم الورود من الشرفات، أما مارك والش فترمى له ثيابه.»

صححت له سالي: «سترته وحذاءه فقط.»

دفعته كلماتها هذه إلى الضحك مرة أخرى، لكنه سرعان ما تنبه لنظراتها فاعمل منديله بمسح شفتيه، وعندما انتهى من ذلك، وضع المنديل في جيبه وانحنى ليلتقط ربطة العنق من دون أي تردد، فلاحظت سالي بارتياح، كيف أن الربطة لم تعد بالنسبة له، سامة بعد قصتها المضحكة واستمتاعه المفيد له بها. فسألت: «هل كان حقاً يقصد العمل؟»

«نعم.» وعلق كيمب وهو يلف الربطة بشكل سوط: «وبدل ذلك علمته درساً لن ينساه.»

وافقته بفتور: «بامكانك أن تقول ذلك، وغداً صباحاً سينتقم.»

توقف عن اللعب بربطة العنق وراح يتأمل سالي بنظرة، وهو يميل برأسه الأشعث جانباً مركزاً انتباهه وقال لها: «أخبريني عن ذلك.»

نظرت سالي عبر النافذة المفتوحة إلى السماء البيضاء النظيفة التي كانت ستفقد التمتع بها بعد وقت قصير وقالت: «لا يوجد الكثير لأخبرك به خاصة حساب الكينغفيشر، فمن يرضى أن تبقى دعايته في يد امرأة رمته خارجاً ثم أتبعته بثيابه.» وأضافت في نفسها: وكأنه لن يجد امرأة غيري، أو أن أحداً سيرفض استلام وظيفتي!

«من المؤكد أنك لن تعودي إلى العمل معه بعد الذي جرى.»

رمشت بعينيها عندما لاحظت أنها كانت تحدق في عينيه

www.rewity.com

الصافيتين بجوع يكاد يكون حسياً فقط، فهزت رأسها بارتباك وقالت: «بالطبع لا، لكنني بحاجة لأن أجد عملاً.»

قذف كيمب ربطة العنق بقوة هائلة فاصطدمت بالطاولة وانزلقت عليها لتسقط عند قدمي سالي ثم قال: «لا شك أن لديك بعض الزبائن الآخرين الأقل تنفيراً.»

«هؤلاء لا يكفون، وما كان لدي من زبائن قد...» لكنها لم تكن تريد الدخول في ذلك كله. كيف أن تارا وبحجة تخفيف الضغط عن مديرتها، راحت تتدخل أكثر وأكثر في الحسابات الأخرى، حتى طلبها جماعة شركة سيلك، ودعاها منتجو لوازم المصابيح إلى حفلهم الأخير.

سألت سالي نفسها، لماذا جعلت ذلك يحصل؟ لأنني كنت أسيرة، هذا هو السبب. ثم أزاحت ربطة العنق الحمراء جانباً بحذائها المنقط المصنوع على شكل ورقة شجر وقالت: «لا شك أنني كنت حمقاء.» ثم صرخت بصوت عال بالحقيقة القاسية: «سيطردونني في وضح النهار حالما اخسر حساب الكينعفيشر.»

«وهل ذلك سيىء؟»

رفعت سالي نظرها إلى كيمب متأهبة للرد على أي هجوم جديد يستهدف عملها لكنها لم تجد في عينيه سوى الرقة، ولم تستشف من تقطيبه سوى الاهتمام بمشكلتها، فبغض النظر عن طبيعة عملها، كان يحاول أن يتفهم وضعها بجدية، لذا قالت له متنهدة: «لقد كان عملي يساعدني في دفع إيجار الشقة وكان أكثر امتاعاً من أعمال كثيرة كنت سأضطر لمزاولتها.»

«الآن فهمت، إنك تقولين إنك تستطيعين العثور على عمل آخر

بسهولة، ولكن بأجر أقل.» وتوقف يجهد كي لا يبتعد عن هذه النقطة، وتابع: «أقل مسؤولية وأقل أجراً.»

هزت سالي رأسها ونظرت إلى شمس الصباح التي كانت تحتجب خلف ذكريات تلك الأيام الأولى التي قضتها تحت اشعتها وقالت: «بامكاني أن أعود إلى ممارسة الطباعة، أو إلى برمجة الكومبيوتر، أو إلى تصريف المعاملات، لقد كلفني صعودي من تلك المراتب وبلوغ عملي الحالي خمس سنوات كاملة من العمل المضني.»

«إذن، هل عليك أن تبدئي من جديد؟» وتحرك في كرسيه باحثاً عن حل ثم أضاف: «ألا تستطيعين إقناع أية شركة أخرى باستخدامك بالدرجة نفسها؟»

ردت عليه محاولة أن تبقي صوتها متزناً لكي لا يشعر أنها كانت تلومه وقالت: «بعد ما سببته هنا من إعاقات، فان كنت سأفقد عملي، لن يهتم أحد بتوظيفي.»

لدقيقة تلت، جلس كيمب هادئاً مقطباً حاجبيه مستغرقاً في التفكير، ثم استقام في جلسته وكأنه اتخذ قراراً مفاجئاً، كما اختفى العبوس عن وجهه والتمعت عيناه بحماس ذئب شرس أثارت رائحة الفريسة شهيته وقال: «حسن، من الأفضل أن نضمن بقاءك في هذا العمل.»

حملقت فيه سالي ساخرة رافضة أن تشاركه حماسه وقالت: «آه، نذهب إلى الأسد ونقتحم عليه عرينه؟»

«هل نسيت أننا مدعوون إلى الغداء؟ من الأفضل أن تغيري ملابسك.»

نظرت إليه غير مصدقة وقالت متنهدة: «لا يعقل أن تعني الذهاب إلى تناول الغداء مع مارك!»

www.rewity.com

رمقها بنظرة لئيمة من اليمين إلى اليسار وقال: «أعتقد أنني أستطيع ذلك في الظروف الراهنة.»

«ولكن، بعد ما فعلته به في الليلة الماضية؟»

«هذه هي الظروف التي أستطيع أن أراه فيها.»

«لكن يا كيمب هو لن يرغب في رؤيتي فكيف بالأحرى إطعامي؟»

رفع كيمب يديه فوق رأسه إلى أقصى حد، فبدا عملاقاً في مرح غير بريء وقال: «نعم يا سالي، هذا صحيح، فما سنراه هو كيف سيكون مارك والش مضيافاً لامرأة مرغت وجهه بالتراب.»

نظرت سالي إليه غاضبة، وزاد في غضبها اضطرارها النظر إليه وهو واقف كما كان كالعملاق وقالت: «آه، تريد أن تجرحه بتنكيرك إياه كيف استهزأت به، وهكذا أكون أنا الأداة التي تجرح بها.»

عضت سالي على شفتها بسبب الأسلوب التافه الذي كانت قد استعملته للتعبير عن أحاسيسها، ولكن كيمب كان قد انتقل إلى غرفة الجلوس ورفع الهاتف من المكان المخصص له في الزاوية ثم وافق معها قائلاً: «بالطبع ستلتذ برؤية مارك والش يعاملك بتهذيب، ولكن تعلقك بعملك سيكون الموضوع الأساسي.»

مالت سالي في كرسيها لتتمكن من مراقبته وهو في الطرف الآخر من الغرفة وقالت: «أهذه هي الطريقة التي ستحتفظ بواسطتها بإدارة حسابات مارك؟ هل يتم ذلك بفرض نفسي عليه على الغداء؟»

ما كادت تفرغ من كلامها حتى كان يتكلم في الهاتف طالباً

السيد والش وتاركاً رقم هاتفه، ثم استدار وابتسم في وجهها منتظراً سماع مارك والش على الطرف الآخر من الخط وقال: «على ما تراهنين أن عاشقك هذا لن يكون موجوداً؟»

سألته سالي مندهشة: «بالنسبة لك؟ بالطبع سيكون.»

«نعم، فقط إذا كان يعتقد انني لم أعرف بما حصل هنا ليلة البارحة. ولكن، آه تارا.»

شعرت سالي بأحشائها تتمزق وسألت نفسها، إذن هذا هو السبب الذي قبل لأجله الدعوة... لكي تتاح له الفرصة لرؤية تارا مرة أخرى؟

نعم، ها هي ابتسامة النصر تتحول إلى ابتسامة مداعبة، وها هو يرمق سالي بنظرة تقول: «ألم أقل لك؟» وقال بشرود لم تعهده فيه من قبل: «إذن، ماذا سنفعل بشأن وضع اسمي في المنشور السياحي؟»

انتصبت سالي في جلستها وقالت: «هل ستفعل ذلك؟»

تكلم كيمب على الهاتف قائلاً: «بالطبع، بالطبع.» وراح ينتظر الرد بينما عادت إلى وجهه ابتسامة النصر غير البريئة بكل قوتها وهو ينظر إلى سالي من الطرف الآخر وأضاف: «لقد أحضرته مسألة الاعلان.»

وثبت واقفة وذهبت إلى الطاولة وسألت: «هل حقاً ستوافق على ذلك؟»

بدل من أن يجيبها، سمعته يقول في الهاتف بلهجة مقتضبة: «مرحباً يا والش. متى بامكاننا القدوم للغداء؟ بالطبع ستكون سالي معي، لقد دعوتها، أليس ذلك صحيحاً؟»

بدا كأن الصوت في الطرف الآخر تذرع بحزم الأمتعة لأن كيمب قال: «حزم أمتعتها لن يأخذ وقتاً طويلاً، ونحن لا نستطيع

www.rewity.com

تعطيل الاتفاق لمجرد ذلك.» ثم أحنى رأسه ليسمع اقتراحاً من الطرف الآخر وسأل: «هل تعني مع تارا؟»

اندفعت سالي نحو المقعد الآخر في الزاوية الأخرى من الغرفة وقالت: «هل رأيت؟ لقد بدأ منذ الآن بـ...»

لكنها كانت مضطرة لتتوقف عن الكلام مندهشة، لأن كيمب لم يكن يدرس الفكرة فقط، بل كان يظهر اعجاباً شديداً بها، كان بامكان سالي أن تعرف ذلك من تألق الشوق في عينيه، تلك الرقة المعهودة لدى سالي التي كانت رقة تارا ولباقتها قادرتين على إثارة أي رجل.

وافق كيمب مع مارك قائلاً: «بالتأكيد، سيكون حضورها رائعاً، ولكن...» وتوقف مفكراً في اهتمام ثم تابع: «... ولكن، أليس ثلاثة عدد كاف؟ فأنت لا تريد أن تقوم بدور الرابوق، أليس كذلك؟ لتستر عليهما.»

همست سالي من الطرف الآخر للطاولة قائلة: «ولا أنا أيضاً.»

لكن كيمب أسكتها بإيماءة من يده مضيفاً: «أضف إلى ذلك أنها ما زالت رسمياً وظيفة سالي.»

علقت سالي ساخرة: «حتى الآن، إلى أن...»

تابعت في قلبها: إلى أن تتمكن مساعدتي الجميلة من جعل هذا الغول البشري خاتماً حول اصبعها، ثم قامت عن المقعد وقالت وهي تسرع في مغادرة الغرفة: «لن أذهب.»

الفصل السابع

علّقت سالي ساخرة من حيث كانت تقف على الكرسي الثقيل المرتفع: «لا تزعج نفسك بقرع الباب؟»

لكن كيمب أسرع بالالتفاف حول السرير وقال: «وما الفائدة من قرع الباب عندما يكون مفتوحاً على مصراعيه، وهل لك أن تتركي ما تفعلينه لي؟»

«كلا.. شكراً.»

أستأنفت عملها بعناد، والذي كان يبدو أكثر تعقيداً مما تصورت، تمد نفسها من فوق ظهر الكرسي المحفور على شكل قلب لتنزل حقيبة سفرها عن ظهر خزانة الملابس.

كان عليها أن تحاول بشتى الطرق ألا تحطم الافريز المحفور على طرفه العلوي، نقوش الحمام بمهارة، لذا، كان عليها أن توازن الحقيبة عالياً، وبعيداً عن النقوش قبل أن تتمكن من انزالها. وما أن أدركت أن ذلك العمل كان يحتاج إلى قوة أشد من قوتها، حتى تدخل كيمب في المشكلة وكانه يملك المكان.

تذمرت سالي متذكرة كيف كان قد رفعها إلى مكانها قبل خمسة أيام بسهولة وقالت: «لا أعرف ما الذي دفعك لوضعها هنا. هنالك متسع لها في الخزانة.»

«لو فقط تنزلين عن هذا الكرسي...؟»

«توقف عن حشري، كيف لي أن أجد الطريقة الفضلى لانزالها وأنت تحوم حولي هكذا؟»

رد كيمب بثبات: «هذه هي أفضل طريقة لانزالها.»

www.rewity.com

مد نراعه من فوقها ورفع الحقيبة بكل خفة، فراقبتها سالي تحلق فوق الأفريز المنقوش وتحط على الأرض قرب قدميها وقالت: «لقد كنت ستتمكن من انزالها لو تركتني، فأنا لست عاجزة تماماً.»

نظر إليها من تحت حاجبيه المقوسين وقال: «ربما يكون ذلك صحيحاً، ولكن من المؤكد ان بامكانك أن تكوني نمراً ناكراً للجميل.»

«هل تستطيع أن تتوقف عن مضايقتي، يجب أن أواصل حزم أمتعتي.»

«وتحتاجين للاحتفاظ بعملك... أو شيء من هذا القبيل كما فهمت.»

عضت سالي على شفتها لأنها لم تجد طريقة تشرح له بواسطتها أن الثمن كان باهظاً جداً، وأنه لم يكن بامكانها تحمل الجلوس إلى الطاولة نفسها معه ومع تارا وهي تعرف عنهما ما كانت تعرف.

ولكنه ألح عليها قائلاً: «هل تستطيعين أن تقولي لي لماذا هربت منذ وقت قصير من الغرفة؟»

«لم أهرب.»

«بل هربت تاركة إياي متورطاً في اتفاقية، عقدتها خصيصاً لأجلك.»

«شكراً جزيلاً، لا أريد صفقاتك.»

«حقاً؟»

برغم أن هذه الكلمة الوحيدة خرجت من حلقه كالرعد، لم يتح لها الوقت للشعور بالرعب فقد طوق خصرها بيدين دافئتين، دارت الغرفة بها ثم أحست بقدميها تحطان على الأرضية

الخشبية. أما هي، فقد راحت تترنح وتتارجح إلى أن تمكنت من التعلق بقميصه الأزرق وتوازنت باتكائها على كتفه العريضة.

في حين أبقى يديه على خصرها تثبتانها وقال: «لا تريدين صفقاتي؟ أوتعتقدين أنني عقدت هذه الاتفاقية لأنني أحب صحبة المضيف؟»

حاولت عبثاً أن تتحرك وقالت: «أنا أعرف لماذا عقدتها.»

لكن احدى يديه ظلت تسمرها في مكانها بينما قامت اليد الأخرى برفع وجهها إليه ليقول لها: «حسن، إذن فأنت لست في حاجة إلى شرح مني.»

لم تشعر إلا ومقاومتها تزول وتستسلم لعناقه. ولكنها، بعد لحظات انزلت يديها عن عنقه وقالت: «هذا لا يعني شيئاً، أليس كذلك؟»

«ما الذي لا يعني شيئاً؟»

افلتها من بين يديه، ولكن سيطرته الفولاذية على نفسه كانت تشير إلى ما كان يحاول السيطرة عليه من رغبات جسدية.

أشارت سالي بايماءة سريعة إلى ما كانت تعنيه واستدارت مخبئة وجنتيها الملتهبتين حياء عن وجهه وقالت: «ذلك... أعني... إن الرجال يعانون من ذلك كما تعاني النساء لحبالى...» توقفت قليلاً، ثم أضافت مسرعة مصممة على توضيح قصدها: «إنه أمر يطلبه جسد الانسان، بغض النظر عما يكون جوهره...»

لكنه قاطعها بكلمات قاسية كالبرد: «أوافقك القول، وأنت بالطبع خبيرة بالموضوع.»

نظرت إليه موسعة عينيها وقالت: «ذلك ليس عدلاً. فقط لأنني... فقط لأنني لم...»

www.newity.com

أمطرها بكلماته القاسية من جديد: «إنني أتكلم عن نفسي يبدو أن جلّ اهتمامك يتمحور حولي، وأنك تستطيعين قراءة أفكاري.»

برغم أنها تلعثمت، صممت على مصارحته فقالت: «لا أقرأ أفكارك بل جسدك، وهما أمران مختلفان، أليس كذلك؟»

«يختلفان أحياناً، ويتفقان أحياناً أخرى.»

أغمض عينيه حاجباً كل شيء لكنها تمكنت قبل ذلك من أن تقرأ إجابة السؤال الذي لم تجرؤ على طرحه، وأخبرتها عيناه بأنه لم يكن لها أي مكان في عقله، أو بيته، أو قلبه. لقد كانت غريزته الجزء الوحيد منه الذي يشتاق إليها. وكأنما ليثبت كل ما كانت تفكر به، حمل حقيبتها إلى السرير وفتحها ثم عاد إلى الخلف تاركاً إياها تحزم أمتعتها وتخرج من حياته.

اجتاحتها إذ ذاك رغبة جامحة لإيذائه، ففتحت الموضوع مجدداً وقالت: «كما اعتقدت وقلت، لم يكن ذلك يعني شيئاً. لم يكن يعني أكثر مما يعنيه مارك.»

حول كيمب وجهه إليها ليحدق فيها بهدوء وغضب ويقول: «مهلاً، أأفهم أنك تقارنينني بوالش؟»

اتجهت نحو خزانة البياضات وهي تحرص على ألا تنظر في وجهه وقالت: «كلاكما رجلان، أليس كذلك؟»

لكنه اندفع إلى الجهة الأخرى ليواجهها ويقول: «إذاً، هل هذا كل ما عرفته عني طوال خمسة أيام؟»

راحت سالي ترتجف متذكرة كم من الممكن أن يكون مرعباً بعينيه الناريتين، بشفتيه الجليديتين، وشعره المتطاير من العاصفة المتولدة بفعل سرعة اندفاعه. كان يبدو كروح احدى

الأشجار وقد نهضت لتثأر من اهانة. وأدركت بخجل داخلي أن ذلك كان اهانة، بل أسوأ من اهانة، فهو ومارك يختلفان تماماً، كاختلاف شجرة السنديان عن شجرة الدبق، جذراً وجذعاً وأغصاناً. وإذ ذاك، اعترفت وهي كارهة نفسها لأنها كانت قد ذكرت ذلك الاسم الكريه وقالت: «لست... لست أعني أنك مثله في النواحي الأخرى.»

ربما أدرك هو أنه أفزعها فتركته ناره وجليده وهدأت عاصفته، وعاد من جديد الانسان الهادىء الذي تستطيع مقاربته والذي بدأت الاعتماد عليه. وتذكرت: عليها ألا تسمح لنفسها بذلك لأن ذلك لم يكن من حقوقها. وكان ما تلاه جاء ليثبت ما كانت تفكر به، فقد صرفها كيمب وكل آرائها بتلك التلويحة المعتادة من ذراعه وقال: «لقد قبلت التزاماً يجب أن تنفذيه.» وتحولت نغمته إلى لهجة قاسية وهو يضيف: «أبدلي ثيابك.»

عادت لسالي جرأتها، فتوقدت غاضبة من فظاظته، وفكرت أنه مهما كان حزمه، ومهما كان تسلطه، يبقى رجلاً، ولم يكن لأي رجل الحق في املاء أوامره عليها، فردت عليه: «سأفعل ذلك، ولكن في الوقت الذي يناسبني.»

«بل ستفعلينه الآن.»

«هل ستجبرني على ذلك؟»

اقترب منها كثيراً وقبض بكلتا يديه على طرف بدلتها الرياضية وقال: «نعم، إن كان ذلك ضرورياً. هل نبدأ بأخذ دوش؟»

نظرت سالي إلى القماش الليموني الذي كان يقبض عليه، والذي كان قلبها ينبض تحته وصدرها يعلو ويهبط، وخصرها

www.rewity.com
عيون الهوى

يحترق ويتجلد، يتجلد ويحترق من الاحتكاك بعظام قبضته وسمعته يهمس بنعومة: «برغم أننا قد نتأخر قليلاً اذا ما قمت بنزع ثيابك.»

«لن تفعل ذلك.»

«لن أفعل؟ كل الرجال متشابهين، أليسوا كذلك؟»

رجته مدركة أنها تحت رحمته، وكم ستكون مقاومتها ضعيفة لو أصر على معاشرتها رغماً عنها، يتجاهل معارضتها فقالت: «ولكن، ليس هكذا... ليس هكذا يا كيمب.»

«إذن هذا هو مقدار ما تفهمينه.»

أطلقها ثم فتح الدرج الوحيد الذي كان كل ما استعمله لتوضيب ثيابها وأخرج بلوزة سوداء بلا كمين وقال: «ستكون هذه مناسبة بما يكفي للغداء.»

تقبلت منه القطعة المحتشمة وقالت: «على كل الأحوال، لقد كنت أفكر في ارتدائها أثناء رحلة العودة.»

«حسن، هكذا لن تضطري لتغيير ثيابك قبل المغادرة.»

«نعم، هذا صحيح، أليس كذلك.»

تلاشت رغبتها في القتال لأنه كان يتكلم ببساطة عن مغادرتها. ولما لا؟ فحياته هنا ستستمر، ويستمر عمله في القلعة وأوقات لهوه في الغابة والقرية. وان تغير شيء في حياته، فلن يكون من فعلها.

نعم، لن يكون من عملها لأنها ستكون في مكان آخر تبحث عن عمل جديد، أو تواصل عملها الحالي الذي كان يحاول انقاذه لأجلها. نعم لقد كان محقاً، فقد وافق على الغداء مع مارك لأجلها وليس لأجل رغبته في رؤية تارا. أخفضت رأسها إذ أدركت ذلك وقالت: «إنني آسفة يا كيمب.»

لامست أصابعه المعضّلة خدها برقة وخفة، حطت لحظة وطارت وسأل: «صديقان؟»

هزت رأسها موافقة لأنها لم تكن قادرة على الكلام، فان كانت الصداقة هي كل ما يعرضه عليها، يجب أن تتقبل ذلك وتعتبر نفسها محظوظة.

حاولت أن تركز تفكيرها على هذه الفكرة بينما كانا يهبطان مشياً إلى الفندق. لقد أنعشها الاستحمام لوقت قصير، أما الآن، فقد راحت شمس أيار تصفع ذراعيها بحدة تكاد تجففهما، وأدركت أن كيمب كان مصيباً في ما قاله عن آخر مرحلة في هرولتها هذا الصباح. لقد كان عليها ألا تقوم بها.

نعم، ستدفع ثمن هرولتها الصباحية، غداً، وهكذا لن يعرف كيمب. أما الآن، فكل ما كان عليها فعله هو أن تحتفظ بالسيطرة على نفسها، وأن تخرج من هذه المناسبة التي لا تطاق بقدر ما تستطيع من الشرف.

وضعت عزيمتها على المحك حالما دخلا صالة الفندق الواسعة الهادئة. كان هنالك بعض الزبائن الجالسين على الكراسي والمقاعد المنتشرة هنا وهناك يتبادلون اطراف الحديث، ولكن لم يكن مارك بينهم. هل غير فكره؟ هل قرر أخيراً ألا يلتقيها برغم اغراء كيمب له؟

أو ربما كان قلقها وتساؤلها سابقين لأوانهما؟

في كل الأحوال، ها هي تارا تخرج من الممر المقنطر لتدخل المطعم. والتقوا بجانب طاولة الزهور المصنوعة من خشب الماغوني الموضوع عليها محارة مصنوعة من الخزف مملوءة بأزهار التفاح والسوسن.

قالت تارا: «عزيزي كيمب.» ثم رفعت نفسها على رؤوس

www.rewity.com

أصابعها واضعة يديها على كتفيه وطبعت قبلة ناعمة على خده. راقبت سالي ذلك كله، وكان عليها أن تخضع لتحية رقيقة معطرة مشابهة.

أشارت تارا برأسها إلى المقعد، ثم نظرت في عيني سالي وقالت لكيمب: «ان مارك في الداخل. لماذا لا تنضم إليه بينما أذهب أنا وسالي إلى غرفة الحمام لنتحدث عن شيء يختص بالنساء؟»

حثهما كيمب على فعل ذلك قائلاً: «افعلا، وسأكون...» ثم تلكأ قليلاً، وواصل مصححاً: «وسنكون كلانا في شوق لرؤيتكما.»

أدركت سالي ما كان يقصده بالتحديد، فقد كانت تارا كعادتها عيداً تعشقه الأعين وهي ترتدي فستاناً حريرياً ينساب ويتطاير حولها بزهوره الزرقاء. غير أن ذلك لم يكن ما ينتظره كيمب، بل كان ينتظر ردة فعل مارك لدى وصولها هي. وأدركت أنه سيتلذذ بذلك أكثر إن كان جالساً عندما تدخل.

يا له من غول! شعرت سالي بأحشائها تحترق، ألا يستطيع أن يدرك كم سيكون قاسياً هذا اللقاء عليها؟

لكنها على الأقل تستطيع أن تؤجل ذلك، فقررت عن قصد أن تبطيء في اجتياز أرضية الخشب الصهباء، ولم تتنكر حتى بلغت غرفة حمام السيدات المفروش بالسجاد الأزرق الفاتح. نظرة تارا ذات المغزى والتي كانت قد قد أتت بها إلى المكان فرددت عبارة تارا ببعض التدوير: «لغط نساء؟ هل لديك أي شيء تريدين قوله لي؟»

نظرت تارا إلى انعكاسها في المرآة نظرة تقييمية ثم أخرجت

من محفظة زينتها علبة مسحوق التجميل أخرجت منها فرشاة لرموشها وردت: «ليس تماماً، فمارك معكر المزاج، وأنا أعتقد أنك تعرفين ذلك.»

سألتها سالي وهي تشعر باللون الوردي يندفع إلى خديها: «وأنت تريدين أن تعرفي لماذا؟»

أعملت تارا الفرشاة على أحد حاجبيها الداكنين، ثم على الآخر وهي تقول: «كلا، أستطيع أن أخمن، لقد كان تصرفك غير حكيم.» وردت الفرشاة إلى العلبة ثم أضافت: «ثم انني لم أر في حياتي رجلاً أقدر منه على تحطيم مهن الآخرين.»

«لا تعبثي بأهدابك.» نظرت سالي إلى أهداب ورموش تارا المثالة بالكحل، المنتصبة إلى أعلى كمراوح «وإلا سيفلتان من الصفة؟»

«لست أنت التي أعرفها يا سالي.»

وافقتها سالي متأملة بنفسها في المرآة وقالت: «حقاً؟ ربما أكون قد مللت جميع أنواع التزييف.»

قالت تارا: «لا تفلت اهدابي عن عيني أبداً كما لا يفلت مني أي شيء مطلقاً.» وسرعان ما راح صوتها المداعب يحتد وتبرز نبرته القاسية وهي تقول: «لقد حان الوقت لتتعلمي شيئاً عن كيلية تزييف نفسك.»

حدقت سالي في المرآة فرأت نقنها العنيد يتخذ زوايا قائمة وقالت: «لقد تعلمت أن أستغني عن ذلك حتى الآن.»

ضحكت تارا ضحكة خبيثة وهي تقول: «هل حقاً فعلت؟ أتتقنين أن شعاراتك الدعائية كانت دائماً كلها، صادقة؟»

«لم أختلق أي شيء لم يكن في المنتجات التي روجتها.»

أزالت تارا أحمر الشفاه عن فمها وقالت: «يا عزيزتي، كل

www.rewity.com

القضية هي إلى أي مدى تستطيعين الذهاب، وذلك يعود بنا إلى مارك والش.»

فتحت سالي صنبور المياه الباردة وسألت: «ألهذا حقاً علاقة به؟»

«صدقيني، أعرف كيف تشعرين.»

رفعت سالي نظرها متأثرة بتغير نبرة تارا، ولكنها لم تكن متأكدة من أن ذلك كان تعاطفاً في الصوت الرقيق الحذر. كانت مساعدتها تصغرها بثلاث سنوات، لكنها كانت تبدو أصغر سناً من ذلك، وكانت حدقتاها الزرقاوان تحملان دهاء الزمن وتعكسان حكمة سوقية كانت النساء عليهما منذ بدء الحياة. لقد أكدت تارا ذلك بقولها: «نعم، لقد ذهبت معه كل الطريق متظاهرة باللذة.»

لم تتمكن سالي من مقاومة السؤال: «ومع ذلك لم تتمتعي بصحبته؟»

تلاعبت تارا بقلم أحمر الشفاه، الذهبي وأخذت الاصبع القرمزية ترتفع من داخله ببطء. وقالت: «إنني غالباً ما أتساءل عن نوع هذا الرجل، فأنا لا أعتقد أن إقامة العلاقات هو ما يسعى وأمثاله إليه، إن ما يدفعهم هو حب الشعور بالقوة.»

أخفى صوت المياه النظيفة المنسابة تمتمة سالي وهي تقول: «قوة تأثير الذئب على الأرنب.»

وتذكرت الشيء الذي دفعها إلى التصرف بيأس ضد مارك. انها لم تكن تأمل بأن يمتعها ذلك... لقد كان ما نفرها منه هو ما أوقعه بها من ألم بعشوائية، وتأكيده لها أنها ستتعود على ذلك قريباً.

وضعت يديها تحت المياه المتدفقة وقالت: «هل تعنين أنك... مع الكثيرين من أمثاله؟»

جددت تارا تلوين فمها وأجابت: «إن الغابة تعج بهم، وإن كانت المرأة تريد بلوغ مركز ما فعليها أن تصطحبهم.»

غسلت سالي يديها مرات عديدة وقالت: «يجب عليك ألا تفعلي ذلك، إنه خطأ.»

أعادت تارا أحمر الشفاه إلى محفظة زينتها، وراحت عيناها الزرقاوان تدرسان ظل سالي الأسمر الحنطي وظلها الأزرق الذهبي بفتور شديد وقالت: «هذا هو الواقع، ومن نحن لنغيره؟ إنه ما يزال يسعى وراءك ولا يعلم سبب ذلك سوى الله.»

غسلت سالي الصابون عن يديها وقالت: «هل ربما لأنه لم يستطع النيل مني بعد؟»

ردت تارا بانتصار: «نعم، لقد اعتقدت ذلك. فبحق السماء دعيه يفعل.»

عندما نظرت سالي إلى المرآة رأت القلق في العينين المنعكستين فيها، ولاحظت، بتمتع فظ، أن هذه المرأة الواقفة جانبها، تقدم لها النصح الجاد من صميم ما واجهته في تجربتها البشعة.

فسألتها: «أهذا هو الشيء الذي أتيت بي من أجله إلى هنا؟»

«كوني منطقية، يا عزيزتي! فكل ما يحتاج الأمر إليه هو القليل من الغزل والمداهنة.»

«أشكرك أيتها الجدة، أفضل مناطحة الصخر على ذلك!»

هزت كتفيها مستسلمة وقالت: «إذاً، من الأفضل لك أن تجدي حلاً آخر.»

«سنرى، فما زلت هنا، ألست كذلك؟»

أنفلت سالي صنبور المياه ثم ضغطت على مفتاح النشافة

www.rewity.com

ورفعت صوتها ليغطي على صوت الآلة مضيفة: «وما زلت أدير العقد كما أعلم.»

التمعت العينان الزرقاوان بوميض عابس قاس وقالت: «لن يستمر ذلك طويلاً، فانت هنا بسبب كيمب، هذا الكهل المستنير الذي أصر على عدم قدومه من دونك، ولكنه لن يفعل ذلك مرة أخرى.»

ركزت سالي على تجفيف الرطوبة عن يديها وقالت: «تبدين واثقة جداً.»

شق هديل تارا الواثق طريقه برغم ريح النشافة الساخن كوابل من السهام الحديدية إلى أذن سالي وهو يقول: «نعم، انني واثقة، فكيمب ويتيكر هو لي يا عزيزتي.»

«بعد لقاء واحد فقط؟»

«لقاء واحد يكفي عندما تعرفين طبيعة المادة الموجودة بين يديك. ما كان أكثر ما كنت تستطيعين فعله في خمسة أيام، ولكن لحسن حظي أنك بريئة مثله.»

بلعت سالي ريقها الجاف وقالت: «بريئان؟ أهكذا تنظرين إلينا؟»

هزت تارا رأسها وقالت: «ولكن ما يميزه عنك أنه ممتع، ثري، وشهير، وعلى هذا يكون أكلتي المفضلة.»

رفعت سالي احدى يديها الرطبتين وقالت مستغربة: «ماذا؟ يبدو انك طبعة نسائية عن مارك والش.»

التمعت ابتسامة مشبعة بأحمر الشفاه الوردي على ثغر تارا وهي تقول: «هل هذه الغيرة يا عزيزتي؟ أستطيع أن أتفهم ذلك ولكن صدقيني، لن أكون في حاجة إلى تزييف شعوري عندما يكون كيمب على علاقة حب معي.»

«الحب؟ انني واثقة من أنك لا تعرفين ما يعني.»

لكن تارا أسبلت احدى خصلات شعرها الملتفة بأصابع راضية وقالت: «آه، بالطبع أعرف، الحب يعني أن تضعي تلك الحلقة الذهبية الصغيرة في أنفه وتقوديه إلى حيث يجب أن يذهب.»

«آه، إلى أين تعتقدين يجب أن يذهب كيمب ويتيكر؟»

نظرت تارا إلى ظلها العابس في المرآة وقالت: «يجب أن يعود إلى حياة الواقع بالطبع. يجب أن يعود للاقامة في بيت مناسب في لندن، وآخر في باريس أو نيويورك، أو ربما الاثنين معاً. يجب أن يقيم الاستقبالات ويقابل الناس اللائقين، وساكون أنا سيدة ويتيكر قبل أن أموت.»

«أنا كنت أعتقد كل هذا الوقت أ...» وتجمدت الكلمات في حلق سالي لأن الكلمات التي كانت ستقولها: «... إنك تناسبين كيمب.» كانت ستبدو سخيفة لهذه المخلوقة الضئيلة المفترسة. وفكرت بأن تقول بدلاً من ذلك: «لا يهمني حتى لو كنت دوقة فاند انغو.» ولكنها استعملت أحد تعابير أمها قائلة: «لن ينقاد إلى الحياة الحقيقية.»

إذ ذاك، استدارت تارا إلى الباب وقالت: «هل تعنين أنه لا يعرف ما يناسبه؟ حسبك أن تراقبيني أعلمه.»

بينما كان الباب يغلق خلفهما، تنهدت سالي قائلة: «لماذا تكرمت ونصحتني بأن أهتم بإسعاد، مارك، لم يكن ذلك إلا لأنك كنت تسعين وراء كسب أكبر.»

تشكلت تموّجات ملائكية على ثغر تارا الوردي كالفجر تحت ضوء الشمس المتهادي في الممر وقالت: «لا تكوني قاسية يا عزيزتي، فانا لم أفكر أبداً بالاستمرار في وكالة لايملايت.»

«لكن، كنت دائماً تنتظرين الرجل المناسب.»

www.rewity.com

«ألسنا كلنا نفعل هذا على الرغم من أن البعض منا لديهن فكرة أفضل عن كيفية الوصول إلى رجالهن؟» إذ كانتا قد بلغتا صالة الفندق في هذا الوقت، رسمت تارا ابتسامتها المعهودة وأضافت: «إن الحكمة لمن يعتبر.»

«إن هذه ليست حكمة، بل سمسرة.»

تلكأت تارا في دخول الباب وقالت: «لا تبالغي يا عزيزتي، فمارك قد لا يكون كاملاً، ولكنك كنتِ تحبينه في وقت مضى، ولا عجب في ذلك، أنظري إليه فقط.»

فعلت سالي بالضبط كما قالت لها تارا، ومن أين كان لها ألا تفعل، فقد كانت كل امرأة في المطعم المزدحم تشعر بوجود الرجلين البالغي الأناقة كل بمميزاته الخاصة وهما يجلسان إلى المائدة قرب النافذة. كان شعر مارك يتألق ذهبياً تحت أشعة الشمس وكانت ربطة عنقه الخضراء تتلاءم تماماً مع عينيه، كما كانت بدلته الفاتحة تتموج بمرونة عاكسة جودة خياطتها. أما كيمب، فقد كان بشعره الأشعث، وأطرافه الطويلة وبلوزته الزرقاء يبدو أكثر من أي وقت مضى وكأنه مخلوق خصيصاً لحياة الطبيعة، غير متمازج مع الكريستال والفضة والكتان المحيطة به.

برغم ذلك، كان وجوده يطغى على الحديث، فها هو مارك يحاول أن يفسر له بحماس مشروعه آملاً اقناعه، في حين كان كيمب مستلق باسترخاء وأحد مرفقيه على إطار النافذة ونظره مشدود إلى منحدرات الغابة البعيدة.

فكرت سالي وهي تشعر بفيض عارم من الشوق إليه: إنه يفضل أي مكان على رفقتهم، إنه أكثر واقعية منهم جميعاً، إنه رجل بحق، ولكن هديل تارا الحاد قطع التفكير على سالي

فسمعتها تقول: «عندما أراهما على هذه الحال، أدرك كم علي أن أبذل من جهد لاعادة تأهيل كيمب.»

ردت سالي: «أما أنا...» لكنها توقفت وراحت تعدل وضعية حقيبة يدها التي كانت قد جلبتها معها منذ خمسة أيام، منذ خمسة دهور، فعندما اختارت هذه الحقيبة للاستعمال في سفرها، كان مارك ما يزال فارس أحلامها، أما الآن، فقد كان طماً سخيفاً، ريشة في مهب الريح، أو وهماً يتبخر في الفضاء. ولكنها لم تتمكن من كتم رأيها، فأضافت: «إنني لا أحب الرجال المسيرين.»

برغم أن تارا لم تدرك ما كانت تقصده سالي فقد ردت عليها: «إنني أعرف تماماً ما تعنين بذلك، فأنا أحب أن أتحدى نفسي.»

«ولكن، لن يكون بامكانك أبداً أن تحولي رجلاً مثل كيمب ويتيكر إلى رجل مثل مارك والش.»

إذ ذاك، ابتسمت تارا ابتسامة كاشراقة الفجر، وتحركت إلى الداخل ترفل في حريرها المزخرف بالزهور الزرقاء والبيضاء وهي تقول: «حاشا لله، فأنا أسعى إلى شيء أفضل من ذلك بكثير.»

تبعتها سالي بتردد وتوتر خوفاً من محنتها المرتقبة: هل سيكون مارك عدائياً جهاراً، أم سينتظر حصوله على ما يطلب؟ ولكن، ماذا كان يطلب؟ وشعرت سالي بالرعشة تجتاحها إذ أدركت أنه لو كان كلام تارا صحيحاً، فإن رفضها البقاء معه ليلة لبارحة لم يساعد إلا على شحذ شهيته، وذكرت نفسها بأن قرار رفض الانقياد له يجب أن يظل من صنعها فقط، لأنها كانت تفضل أن تفقد وظيفتها، أو تعمل منظفة في البيوت للحصول على معيشتها على أن تصبح محتقرة مثله.

غير أن ما كان يدهشها أنه لم يكن يبدو محتقراً، بل بعيد جداً

www.rewity.com

عن ذلك، فقد كانت التفاتته لدى اقترابهما أنيقة، منضبطة وممتازة، باستثناء تلك النظرة التي ألقاها عليها في أول وهلة، لم يكن في تصرفه لاحقاً ما يتنافى وآداب الضيافة.

لقد كان كيمب متغيراً أثناء وصولها، فقد جلس مستقيماً ولم يبد أي دهشة من تحية مارك الواثقة لهما. لقد التمعت عيناه وهب واقفاً ليصافحهما من فوق المائدة المزينة بعقد من شقائق النعمان قائلاً: «كدت أتيقن من أنكما لن تأتيا أبداً بعد كل ما أخذتما من وقت.»

وقف مارك ببطء لمجرد تقليد عادات ضيفه القديمة وغمز تارا مستحسناً وقال: «هل كان كل شيء على ما يرام؟ إنني أرى أن انتظارنا لم يكن عبثاً.»

نقل كيمب نظره بين الاثنتين ثم قال: «يبدو لي أن أياً منكما لم تتغير، غير أنني مسرور برؤيتكما برغم ذلك.»

رمقه مارك بنظرة خفيفة، ثم راح يشغل نفسه بتنظيم أماكن جلوسهم، وسأل بعد أن زودوا بقوائم الطعام المجلدة: «ما رأيكم بلحم الغنم، فكما يقول كيمب إنهم يعدونه من المزرعة الواقعة في أسفل الطريق.»

وهنا تدخل كيمب بحماس ووجه الكلام لسالي لأنها كانت تعرف المزرعة واسم صاحبها: «تماماً كما يعدون كل المواد الغذائية الأخرى تقريباً من هناك، من مزرعة عائلة هيرد. إن أبقارهم تفوز بجوائز عديدة.»

أبدت سالي مستحسنة وقالت: «فليكن لحم الغنم إذن.»

سألها مارك: «وماذا عن المقبلات؟»

أجابته محاولة تقليد تهذيبه الفاتر: «لا أريد شيئاً من هذه فأنا لا أستطيع أن آكل أشياء كثيرة دفعة واحدة.»

ردّ مارك: «حسن، سأتذكر ذلك.»

رفعت سالي نظرها خائفة من أن يكون كلامها قد حمل أي تلميح خفي لم تكن تقصده، لكنها لم تستطع التأكيد من ذلك، لأن عينيه الخضراوين تحولتا إلى مكان آخر ممتلئتين برضى لم يكن يروق لها.

سأل مارك من جديد: «ما رأيكم ببيض السمك أو لحم الأرانب البرية ذات النكهة؟»

أجابت تارا بنبرة سرية: «رائع يا عزيزي، إنه جميل منك أن تتذكر طعامي المفضل...»

لكن صوت كيمب قطع عليهما هذه اللحظة الحميمة وهو يقول: «نعم، ولكنك هذه المرة ستأكلينه معلباً.»

هل كان يغار على تارا؟ أما تارا فقد رفت برموشها المستعارة وطمأنته سائلة: «إذن، بماذا تنصح؟»

أشار كيمب إلى سمك الترويت المذكور في القائمة وقال: «إن الترويت ممتاز، فهم يعدونه يومياً من الوادي.»

وافقت تارا بسرعة: «إذن، سأتناول ذلك.»

تحول مارك إلى قائمة الشراب وقال: «أتريدين شراباً منعشاً معه؟» وسألها إن كانت تريد مشروباً أكثر تركيزاً، مما دفع كيمب ليقول بجفاء: «إنهم يصنعون هنا أفضل أنواع المشروبات المنعشة.»

تقلصت ابتسامة مارك قليلاً وسأل كيمب: «أو تشرب أنت هذا أيضاً؟»

«شكراً، أنا لا أشرب أبداً عند الظهيرة.»

هل كانت الفظاظة متعمدة، أم كانت رداً غريزياً على فضول ضيفهم، فقد رفضت سالي الشراب أيضاً بدورها، وفكرت

www.rewity.com

غاضبة بما أن كيمب كان قد أحضرها إلى المكان، فقد كان عليه أن يحاول بجهد أكثر أن يحتفظ لها بعملها.

قررت تارا أن تحذو حذو كيمب وتشرب الماء أيضاً، مذكرة مارك بانه كان عليهم أن يلحقوا بالطائرة. ثم نظرت إلى كيمب بعينيها الزرقاوين المكحلتين وسألت: «هل ستخبرني عن أفراخ البوم؟ هل ستعد برنامجاً عنها؟»

أجاب بحماس لأول مرة منذ أن دخل الفندق: «ربما أفعل ذلك في العام القادم في حال كبرا وتكاثرا، انهما ينموان بشكل جيد الآن.»

وضع مارك يداً مطلية الأظافر بمهارة على ذراع سالي وقال: «أريد أن أقول لك شيئاً على انفراد عندما ننتهي من تناول الغداء.»

حاولت أن تزيح يده لتقول: «ماذا تريد؟» ولكنها فشلت.

«الكثير، فلدي الكثير من الخطط بشأنك يا سالي العزيزة.»

إذ كانت تدرك أنانيته الكامنة تحت سحره السطحي، بدأت سالي تفهم سبب عداء كيمب له وقالت: «خططاً حسن، أما أنا فليست لي أي خطط تتعلق بك.»

«ولكن، آمل أن تكون لديك خطة متعلقة بوظيفتك.»

ترددت سالي غير مصدقة إياه وقالت: «هل ما زلت لاحتفظ بها بعد كل ما حصل...؟»

قاطعها قائلاً وهو يهز رأسه باتجاه رفيقيهما الآخرين: «أصدقك القول، لقد كنت أود تحويل هذا العقد إلى تارا، ولكن... هل تحتاجين إلى مزيد من الشرح؟»

غير أنه لم يكن بحاجة لفعل ذلك لأن كيمب شغله بالموضوع الذي كان يؤثره بينما راح يبحث في جيبه عن أمر آخر وهو

يقول لتارا: «أستطيع أن أريك المكان بشكل أفضل إن رسمته لك.»

فجأة، سمع صوت فتح محفظة صغيرة، وأخرجت تارا منها دفتراً صغيراً وقلماً مذهباً وقالت: «هاك. سأحتفظ بالرسم على سبيل الذكرى.»

ضحك كيمب وتقبل الدفتر والقلم منها، وراح يرسم المخبأ الذي كان يراقب منه فراخ البوم بينما كانت أظافر تارا تداعب معصمه.

أما سالي، فإذ لم تعد قادرة على تحمل النظر إليهما، لم تجد مفراً من الاستدارة إلى مارك الذي هو بمثابة المفتاح للاحتفاظ بعملها، خاصة وانها أدركت عجزه عن ايقاع الأذى بها ان هما بقيا في المطعم. لقد كان عليها أن تجد شيئاً للمستقبل، شيئاً تملأ به هذا الفراغ الممل في قلبها.

«ليتهم يقبلون الاحتفاظ بي في وكالة اللايملايت. إن أنا خسرت مسؤولية حسابات شركة الكينغفيشر فسأعمل بكل طاقتي لأجل الحسابات الأخرى، وأحصل على حسابات غيرها، سوف لن أضع البيض بعد الآن، في سلة واحدة، خاصة في هذه السلة.»

وافقت أخيراً مع مارك وجلست هادئة ثم قالت: «حسن، سنتحدث ونحن نشرب القهوة هنا.»

سارت الأمور بعد ذلك سيراً هادئاً. فقد أحضر النادل طلباتهم ووضعها أمامهم على المائدة، ثم وزع المزيد من الأطباق الحارة واستخرج الحسك من سمكة تارا بمهارة. أما لحم الغنم، فقد انصاع لسكاكينهم كانصياع الزبدة، وأحست سالي بطعم البرية وطعم حقول الألب في اللحم. ولم تكن قطع البطاطا الصغيرة الطازجة والسلطة البسيطة إلا لتجعل من الطعام ذروة

www.rewity.com

اللذة في جو من الهدوء الذي لم يكن يقطعه سوى قرقعة الأواني الفضية.

استمر الهدوء المتوتر، وراح كيمب يلتهم كمية كبيرة من مربى الكرز وتسلى الباقون بجبنة الغروير.

بينما كان آخر الأطباق يرفع عن المائدة، قال مارك: «والآن يا كيمب، ماذا بشأن التوصية؟»

استدار كيمب إلى سالي في سؤال صامت وتنهد إذ ردت عليه بنظرة توسلية ثم قال: «لقد تحدثت إلى المدير هنا...» ثم أجال الطرف في المطعم وأضاف: «انهم بالطبع يرحبون بعمل كهذا، وبذا سأسدي إليهم خدمة كبيرة.»

أضاف مارك: «ستسدي إلى نفسك خدمة كبيرة أيضاً.» وذكر مبلغاً ضخماً حبست له سالي أنفاسها.

ولكن أنفاس كيمب لم تتأثر إذ أنه قال: «ذلك طبعاً لا يشمل الصورة.»

اتقدت عينا مارك وهو يتحول إلى حقل المساومة الذي يجيده فعرض مبلغاً آخر مشترطاً: «على أن تكون الصورة لنا، مقصورة علينا فقط.»

«متى يتم الدفع؟»

«فور التوقيع.»

لكن كيمب رد بثبات: «أنا لا أوقع شيئاً.»

لم يتراجع مارك برغم ذلك بل قال: «إذاً في وقت يحدد لاحقاً.»

«كتابياً.»

نظر مارك إلى ساعته وأجاب: «سأهتم بذلك. والآن، لدينا قليل من الوقت يسمح لتارا بالذهاب معك إلى القلعة...»

رد كل من كيمب وسالي معاً: «كلا.»

بينما لم تنظر سالي إلى تارا، شدد كيمب قائلاً: «ليس في القلعة، سنستعمل بيتي في المزرعة، وسأهتم أنا بالتصوير.»

وافق مارك موافقة الرجل المستغرق في التنظيم وقال: «في الحقيقة، نعم. تستطيع تارا القيام ببعض الأعمال التمهيدية بينما نقوم أنا وأنت بالتحدث حول ما وعدنا أنفسنا به.»

نظر كيمب مرة أخرى في عيني سالي فردت عليه بايماءة خفيفة أخبرته فيها أنها ستستطيع معالجة مارك بمفردها.

«اذاً، لم يعد هناك سوى شيء واحد أريد قوله قبل أن أذهب: إنها صفقة سالي. مفهوم؟»

هز الرجل الآخر رأسه قائلاً: «مفهوم.»

بعد أن تفحصه كيمب بنظره قليلاً، وثب واقفاً على قدميه وكأنه أنهى واجباً كريهاً وقال: «وبهذا نستطيع أن نذهب الآن. تارا، هل لك أن تتكرمي وتحتسي القهوة معي في البيت؟»

نهضت تارا عند ذلك ونظرت إلى سالي وقد تألقت في وجهها ابتسامة ذات مغزى وقالت: «إلى اللقاء في سيارة الأجرة إلى المطار.»

راح مارك يراقب الشخصين اللذين غادراهما: «أحدهما رزانة وقوة، والآخر جمال صارخ وقال عندما توقفا في المدخل وعرض كيمب ذراعه على تارا: «ها هما قد أصبحا زوجاً منذ الآن. أنظري، إنه لا يستطيع رفع ذراعه عنها.»

أن يقول مارك ذلك، فهذه من عاداته. سرت سالي باحضار القهوة فسكبت في فنجانها على الفور، وبرغم أنه كان حاراً لا تستطيع احتساءه، كان بامكانها على الأقل أن تبقيه تحت أنفها

www.rewity.com

لكي تطرد برائحته الزكية رائحة عطر الحلاقة الحاد الذي بدأ فجأة يطبق على أنفاسها.

أخذ مارك سيجاراً صغيراً من العلبة التي أحضرت مع القهوة وشحذ قداحته الذهبية لاشعاله وقال: «ها نحن الآن، شريكان من جديد برغم إرادتنا.»

بينما راح يشعل السيجار، تساءلت سالي في نفسها إلى متى سيطول ذلك، وقالت له بجفاء: «دخن بحرية.»

التمعت الشعلة الداكنة الصغيرة قرب شفتيه ثم تراجعت لتنطفىء بين أصابعه وهو يقول: «نعم سأفعل، سأفعل، وستبقى الصفقة صفقتك.»

«هذا ما قاله كيمب.»

انقد غضباً وهو يقول: «ليس لويتيكر أن يسير حياتي الخاصة.»

«أشك في أنه يريد فعل ذلك.»

رد مارك موحياً بالظرف: «نعم، فان لم تخمني بعد، أقول لك إنه تقبل جزءاً منها كهدية مجانية مني.»

«لم أكن في حاجة للتخمين.»

ظهر الرضى على وجه مارك وهو يقول: «إذن، فقد أخبرتك، أليس كذلك؟ لقد أصبح ذلك في عداد الماضي، فلننسى القديم ولنتفاعل مع الجديد.»

كانت سالي قد رفعت فنجانها لكنها أنزلته من غير أن تحتسي شيئاً وسألت: «أي جديد؟»

نفض مارك اولى ذرات الرماد الأسطوانية وأجاب: «الأكثر جدية، أو، ما لم يجرب أبداً من قبل.»

ولم يكد ينتهي من كلامه حتى صوّبت إليها عيناه الخضراوان

نظرة تنويمية حادة لكن سالي ردت عليها بنظرة مماثلة مصلّبة إرادتها، فتمكنت من اجباره على تحويل نظره عنها والإلتهاء برفع السيجار من جديد إلى فمه.

ألم يكن بامكانه أن يفهم شعورها تجاهه؟ ألم يكن يعني له ذلك شيئاً؟ نظرت سالي إلى قهوتها الآخذة بالفتور، وتمنت لو تستجيب معدتها، فهي، حالما تشرب الفنجان ستصبح قادرة على مغادرة المكان. وبينما كانت على هذه الحال، سمعت مارك يتحدث إليها وكأنما من مسافة بعيدة، فعادت إلى وعيها من جديد متنهدة وسألت: «ما هو الشيء الأكثر جدية؟»

«نادي الهاي مايل.» وشرع يشرح لها: «ألم تسمعي به؟»

«لقد سمعت فقط نكاتاً سخيفة عن لهو بذيء في الطائرات.»

انحنى إلى الأمام بحماس نافثاً الدخان في وجهها وقال: «إن ذلك ليس نكاتاً سخيفة، فان لم تلهين على متن طائرة من قبل، فانت لم تعرفي معنى الحياة بعد. انني الآن أخطط لولوج باب جديد تماماً.»

هزت سالي رأسها من غير أن تتكلم، فربما لن يقترح ما كانت تظنه سيقترح.

غير أنه فعل. فقال: «فأنا وأنت سنضع الحجر الأساسي لنادي الهاي مايل في أثناء رحلة عودتنا إلى الوطن.»

جلست سالي مشدوهة، عاجزة عن تصديق ما سمعته إنناها، غير قادرة على اقناع نفسها بأن ما كان يجري لها كان واقعاً. أما مارك، فقد سارع قائلاً: «هذا ما سنفعله.»

نعم، كان قد خطط تخطيطاً رخيصاً لكل التفاصيل، بحيث يمكنا من القيام بالعملية من غير أن يجتذبا انتباه الكثيرين، ثم مج سيجار منتشياً بخطته وقال: «... وبذا لا تضايقنا المضيفة.»

www.rewity.com

سألته سالي إذ ذاك: «أوهـ... هذا هو ما يجب عليّ أن أفعله لأحتفظ بوظيفتي؟»

أجابها بلهجة صادقة: «بالطبع لا، فأنت ستفعلين ذلك لأجل المتعة فقط، إنها فرصة قد لا تتكرر في حياتك كلها.»

جلست سالي هادئة جداً تحاول أن تفكر وسط الدوار والضجة اللذين كانا يحيطان بها، فقد بدا لها وكأنها انفصلت عن عالم الأشياء وراح رأسها يحلّق بعيداً عن جسدها. وفوق ذلك كله، تابع مارك قائلاً: «إن تارا بالطبع ستكون معنا على الرحلة نفسها. انني مسرور لوجود العجوز بارنس على متن الطائرة فالشهود الرجال معتبرون أكثر من الشهود النساء.»

«الشهود؟»

استطاعت شفتاها بمشقة أن تنطقا الكلمة، لكن هولها بعد أن لفظتها، زود سالي بالقوة، فوثبت واقفة على قدميها وحركة الكرسي ما تزال تتردد في اذنيها، ثم نظرت بحدة إلى الرأس الضيق المصقول. يا له كم كان نظيفاً، لكن مظهره كان أنظف بكثير من محتواه.

نظر مارك إلى فنجانها المليء وسأل: «ولكن ألا تريدين احتساء قهوتك؟ فلو عرفت ذلك لما طلبتها لك...»

«اوافقك الرأي، إنه شيء يدعو للأسف اضاعة هذه القهوة.»

صرح موال الغضب في اذنيها، وسلحها بالجرأة، فاندفعت تحمل الفنجان ذا الحوافي الذهبية بثبات جلمود، إلى جانبه من المائدة وافرغت محتوياته على رأسه بكل اعتناء.

الفصل الثامن

الغريب في الموضوع أنه كيف انتهى بتلك السرعة وانحسر إلى عالم الذكرى، لقد تحولت القهوة البنية إلى وحل قاتم على رأس مارك وراح ينساب إلى جفنيه، ويبدو أن قدمي سالي قادتاها إلى المخرج، فرأت نادلاً يسرع إلى مارك وبيده فوطة. وكان آخر ما رأته قبل أن تخرج، مارك يحاول أن يجفف وجهه بينما راح النادل يحاول مسح البقع الطينية اللون عن بدلته الفاتحة.

استدارت سالي، عندما وصلت إلى الردهة نحو مكتب الاستقبال وقالت: «معي هذا الفنجان.»

وضعته على الطاولة بابتسامة شفافة وأسرعت خارجة قبل أن يتمكن المسؤول من طرح أية أسئلة ووقفت تحت أشجار الكستناء في الخارج تتنفس الهواء بشراهة.

بعد وقت قصير، أخذت تتسلق التلة اتجاهاً نحو المزرعة وهي تقول: «وهذا يعني أنه لم يعد لي بعد اليوم وظيفة ولن أجد عملاً حتى كسكرتيرة إن كان لمارك أي تأثير في تلك الأوساط.»

لم يهمها ذلك في شيء، فقد أراحتها مناظر الحقول المشمسة ومداعبة النسيم العليل لوجنتيها فتوقفت عضلاتها عن التذمر وشرعت تصعد بها التل وكأن رجليها تسموان بها من ذلك العالم الذي قبلته بجهلها منذ خمسة أعوام.

قررت أن تعود إلى مسقط رأسها، فربما ما يزال الطبيب أيتكن ما يزال بحاجة إلى سكرتيرة، وان كان قد وجد واحدة، فلا بد من وجود شخص آخر يقبل بها.

www.rewity.com

برغم أن ذلك لم يكن أكثر البدائل إثارة، لكنه كان أفضلها، فلقد ضاقت ذرعاً بالإثارة، خاصة من ذلك النوع الذي تواجهه الفتاة في وكالة اللايملايت.

تعجبت سالي كيف تمكنت من تحمل ذلك كل تلك الفترة، لأن كل من كان في هذه الوكالة إما أرانب أو ذئاب، إما أن تأكل، وإما أن تؤكل.

بعد وقت قصير أصبح بامكانها أن ترى، في الحقل، عائلة هيرد حيث كان الزوج والزوجة يقصان العشب اليابس عن أرض شديدة الانحدار، لا يستطيع الجرار الزراعي سلوكها. لقد كانا يعملان بكل تان وانتباه، وكان العبير الناتج عن عملها ينتشر فوق المنحدر كرائحة الحبق والبيلسان...

شعرت سالي بتلك الراحة تتسرب إلى داخلها تنفحها قوة وتدعوها إلى الابطاء، ثم تصفي ذهنها للقوم بآخر عمل لها في تلك المقاطعة الجميلة التي كانت قد غيرت نظرتها إلى الحياة إلى حد كبير.

ألم يكن ذلك صحيحاً؟ لقد غير حياتها شيء، ولم يكن مارك الكريه، فقد كانت تدرك الآن انها التقت الكثيرين من أمثاله أثناء عملها في اللايملايت. أما مارك، فقد كان مجرد نسخة متطرفة عن أوّلئك، وتعجبت لأنها لم تتمكن من اكتشافه قبلاً، ولقد كان أبعد شهرة من الباقين لأنه كان من ذلك النوع من البشر الذي لم يستطع كيمب أن يجد له اسماً يليق بسماع سيدة محترمة.

توقفت عند الشريط الأسفلتي الصقيل الضيق، وقد جرفتها موجة عارمة من الضحك كادت تسيل لها دموعها، فقد تراءت لها اللايملايت كمزرعة دجاج يصيح فيها مارك ويرفرف جناحيه،

بينما كانت دجاجات حمقاء مثل تارا، ومثلها سابقاً تتبختر مخربشة بأصابعها ومنشدة إعجابها به.

نعم، لقد أدركت سبب تغيرها، ولم يكن ذلك الذئب أو الديك مارك، ولا حتى هذه البلاد المرتفعة ذات القمم المغطاة بالثلوج، أو تلك الطبقة الثمينة من التربة السطحية المشغولة، سوى الجو الذي هيأ لتغيرها.

واستأنفت سيرها من جديد، معترفة بأن كيمب هو الذي أراها كيف يجب أن يكون الرجل نزيهاً، وتذكرت كيف دعته: «تقليدياً.» عندما دعا النساء سيدات محترمات، فاذ بكلمة تقليدي تستمد منه معنى المهتم بالآخرين وبواجباته، الحامي بدلاً من المستغل. وإذ كانت قد بلغت درجات بيت المزرعة، سألت نفسها: «أوتحبين أنت أن تكوني احدى سيدات كيمب، أو احدى دجاجات مارك؟»

لم يكن من الصعب تحديد خيارها، كان التعب قد فتت قواها بعدما بلغت الباب وفتشت عن المفتاح فلم تجده. تذكرت أنه ما يزال في جيب بدلتها الرياضية، وأدركت أنه كان عليها أن تدخل البيت واحضار المفتاح من غير أن يشعر بها الشخصان اللذان كانا في الداخل.

كان شباك الممر الداخلي مفتوحاً تنساب منه أشعة الشمس إلى الداخل، فوضعت سالي ذراعيها عليه ووثبت لتجلس على الإطار، ثم سحبت رجليها إلى الداخل وأنزلتهما إلى الأرض. وحالما أصبحت في الداخل أمسى بامكانها أن تسمع صوتيهما في الطرف البعيد من غرفة الجلوس من غير أن يكون بامكانها أن تراهما، وسرت لذلك لأنه لم يكن بامكانهما أيضاً أن يرياها، فقررت أن تصعد الدرج الداخلي إلى الدور الثاني قبل أن يكتشفاها أو يتحركا

www.rewity.com

من مكانهما. ولكنها عندما بلغت أسفل الدرج، سمعت صوتيهما من جديد، الصوت النسائي مختلط بالصوت الذكري الأجش الدافىء وهما في صخب لا تفهم منه الكلمات.

قبضت سالي على حاجز الدرج، فلم تصدق ما كان يحصل، لم تصدق أنها كانت تقف مصغية إلى تنهدات تارا، وأناتها الضعيفة المنتظمة، وإلى زفرات كيمب تحاول أن تحفر في عارضة الحاجز الخشبية، ثم انسلت صاعدة الدرج إلى الدور الثاني، وجلست مرتجفة على الكرسي المصنوع من أخشاب جبال الألب الذي كان كيمب قد أعاده إلى مكانه قرب النافذة.

لم تصدق سالي أنه ابتلع طعم تارا، إضافة عن مواقعتها في تلك الغرفة الجميلة، وأدركت كيف كان هذا البيت، وخاصة غرفة الجلوس قد ترسخ في عقلها بصفته مكاناً هادئاً نظيفاً، بصفته خيمة من الضياء بين الجبال والوادي، واعتقدت أنه كان ذكرى لن تنزع منها أبداً. أما الآن، فقد انتهى كل شيء.

أخرجت بدلتها الرياضية من حقيبتها، ثم أخرجت المفتاح من الحقيبة بإبهامها وسبابتها المرتجفين ورمته على الطاولة أمام المرآة الصغيرة غاضبة، فحتى مارك، لم يستطع أن يدنس تلك الغرفة كما كان كيمب وتارا يفعلان الآن.

لن يكون في مقدورها في ما بعد، حتى في أفكارها أن تعود إلى هنا. حاولت أن تقنع نفسها بتلك الفكرة، فأشاحت ببصرها عن انعكاسها المتقد العينين في المرآة لتتمكن من إعادة توضيب ثيابها في الحقيبة، ولكن حقيبتها اللعينة كانت قد أصبحت في وضع فوضوي، فكان عليها أن تعيد توضيب كل الثياب من جديد.

لفت الفستان الأحمر الكريه في شكل كرة وقذفت به إلى داخل

www.rewity.com

السرير وهي تقول: «سوف لن أحتاج إليه في كل الأحوال، ليتخلص هو منه وليتذكر سبب تمزقه.»

نعم، أحست سالي بأن فستانها الأحمر لن يعني له أي شيء بعد الذي كان يحصل فعملت على إعادة توضيب الحقيبة، ثم أغلقتها. وبينما كانت تلقي نظرة أخيرة على الغرفة، سمعت صوتيهما يتنبهان إليها من الأسفل فميزت صوت كيمب وهو يقول: «لسنا في عجلة، فالطريق إلى المطار لن تستغرق أكثر من ساعة.»

سمعت تارا تهدل قائلة: «حسناً، إنني مسرورة لأنه سيكون لدي الوقت الكافي لاسترجاع حيويتي.»

قالت سالي في نفسها: أراهن على أنك حيوية الآن، غير أنني لا أفضل كلمة حيوية.

لم تصدق سالي أنها كانت تتنشق عطر الورد والأرز الذي كانت تستعمله تارا حتى وهي في الدور الثاني ومن تلك المسافة، وخلف الباب المغلق. وإذ سمعت الباب الخارجي يفتح ويغلق، أدركت أن تارا ذهبت وأخذت عطرها معها، لم يكن يهمها أن تنشقت نفساً أخيراً منه.

وما هي إلا دقيقة حتى يصبح باستطاعتها أن تطلق العنان لغضب كانت تتجنبه، سوف تصرخ وتزعق تلعن تارا وجمالها وزيفها الرخيص، وكانت تقسم على الكره لكيمب، وما أكثر من ذلك، سوف تصب عليه جام غضبها وعلى نفسها لأنها خدعت به.

وإذ سمعت صوتيهما من النافذة، قالت غاضبة: «رجل نزيه بحق، إنك سيىء مثلها، وإن لم تكن كذلك، فستصبح قريباً، هي ستهتم بذلك.»

سمعته يقول كأنما يرد عليها: «لا تعبأي، سأتخذ الإجراءات

المناسبة لمنع ذلك، إنها تعلم موعد اقلاع الطائرة، ويجب أن تكون الآن في طريقها إلى هنا لاحضار أغراضها.»

إذا ذاك، أسرعت سالي إلى الشباك قائلة: «إنه يتكلم عني.» غير أنها لم تتمكن من رؤية وجهيهما، لكنها لم تكن في حاجة لذلك، فقد كانا يعبران الطريق في صمت ملتحمين، فكان الرأس الأشعث الداكن منحنياً على الشعر الناعم والذراع المكسوة بالصوف تطوق الكتفين المكسوتين بالحرير. ولما بلغا السيارة، حملها كيمب ووضعها فيها كمن كان يضع جوهرة في علبة.

هزت سالي قبضتها في اتجاه السيارة المغلقة وقالت في نفسها: «أعتقد أنها أكثر رفعة من أن تهبط التلة مشياً على الأقدام كما نفعل نحن.»

بدا لها صوتها خافتاً في الهواء الصاخب بضجيج السيارة، أسرعت إلى خزانة البياضات لتلتقط حقيبتها وتهبط الدرج قبل أن يتلاشى تماماً زعيق السيارة، وسترتها الخفيفة على احد ذراعيها، بينما تدلّت حقيبة يدها من الكتف ذاتها، وكانت حقيبة ثيابها تكرج خلفها مشدودة باليد الأخرى.

لم يكن بامكانها المغامرة بتوديع البيت، فقد كان عليها ألا تستنشق رائحة الحبق من المطبخ، أو رائحة شهد النحل وعبير البطم من الأثاث المحفور، أو أريج الليلك الأبيض في احدى الكؤوس الفضية، كان كيمب قد ربحها كجائزة رياضية أيام المدرسة.

هل ستتمكن أبداً من نسيان ابتسامته الخفرة وهو يناولها تلك الكأس؟ نعم، قد يحصل ذلك، لكن ربما بعد مئة عام من الآن. ولكن كل ذلك سيتغير إن هي استنشقت رائحة الليلك التي كانت تعبق بها غرفة الاستقبال كما كانت تعبق برائحة الورد والأرز.

حتى بعد أن أصبحت خارج البيت، كان من الصعب عليها أن

تنسى، فقد هاجمتها رائحة البرسيم المقطوع حديثاً، فان كان عليها أن تعيش في مسقط رأسها كما هي تنوي الآن، سيكون عليها أن تستنشق تلك الرائحة طوال الصيف وتستعيد ذكرياتها كلما حصد والدها حقوله.

صعدت الدرج راكضة بجهد تجر خلفها حقيبتها وهي تقول لنفسها: لن أفعل، إنه لا يستحق ذلك. ولا يستحق البكاء لأجله.

تنفست الصعداء، وأغمضت عينيها بقوة ثم انطلقت تهبط التلة من غير أن تلقي نظرة واحدة إلى الوراء. الويل لعينيها، إن تجرأتا ودمعتا. حسبها دمعة واحدة فقط. ليست كبيرة كفاية لتمسح أو تمنع، خاصة وأنه كان عليها اللحاق بالطائرة، واللحاق قبل ذلك بسيارة الأجرة التي ستصل قريباً...

سيارة الأجرة!

أسقطت حقيبتها في وسط الطريق، وجلست عليها غير عابئة بجوانبها المنتفخة، فهي حتى ذلك الحين، لم تكن قد فكرت برحلة العودة إلى بريطانيا سوى أنها رحلة بالطائرة، وقد كان بامكانها أن تبقى بعيدة عن مارك وقت الاقلاع أو الهبوط، وكانت تدرك أنه كان دائماً يسافر على مقاعد الدرجة الأولى، وبذا لن تكون مضطرة لتتحمله على متن الطائرة، ولكن لماذا، لماذا؟ لماذا نسيت حتى الآن أنه لم يكن في القرية سوى سيارة أجرة واحدة؟

صرخت غاضبة: كان علي أن ألحق بالحافلة، ثم آخذ القطار من الوادي.

غير أن تنفيذ هذا البديل كان قد أدركها، وكانت الطريقة الوحيدة للحاق بالرحلة التي كانت قد حجزت على متنها وتوجب عليها الذهاب إلى المطار في مساحة صغيرة مغلقة مع أو من

www.rewity.com

دون تارا، ولكن حتماً برفقة مارك والش الكريه الذي كانت قد اهانته في العلن.

رفعت وجهها متحدثة إلى السماء الزرقاء الصافية وقالت: «سأضيع الحجز من جديد. سأذهب إلى هناك عندما أستطيع وآخذ أية رحلة مغادرة.»

وهكذا كان لديها الوقت الكافي لتجلس في الطريق وتتخيل كيف ستقضي الليلة كلها تنتظر طائرة، كيف ستتسكع في زحمة المطار. التي كانت تناقض كلياً هذه الشمس الدافئة الهادئة، تماماً، كما يتناقض مارك والش وكيمب ويتيكر. وأدركت بتعاسة ان ذلك سيحصل، وأنها كانت تأمل في أعماقها أن تبقى هنا إلى الأبد.

لماذا كان أول شيء يخطر ببالها عندما كانت تفرغ فنجانها على رأس مارك كيف أن كيمب سيسر بذلك؟ يا لي من حمقاء!

حاولت أن تضحك من نفسها، ولكن الضحك انتهى إلى دموع، والدموع إلى بكاء حار... وفاضت الدموع أخيراً، فجلست سالي بنيدكت الشهيرة بنجاحها ونشاطها على حقيبتها وسط الطريق تبكي كسيل ماء يتدفق بغزارة.

«كلا! امرأة باكية أخرى!»

نعم، لقد كان ذلك كيمب وهو يخرج من سيارته التي أوقفها على مسافة قصيرة نزولاً، لا شك أنه صعد المنحدر فيما كانت منشغلة بأفكارها عما حولها. يكون قد صعد إلى البيت بينما كانت هي مشغولة بأشياء.

مخطت أنفها بقوة في منديل الورق وقالت: «ألا يستطيع المرء أن يبكي من غير أن يراه أحد؟»

غير أن كيمب كان قد بلغها في هذه الأثناء وجلس القرفصاء

قربها ورد عليها: «على الطريق العام، وخاصة بعد أن أثارت أخبارها القرية كلها؟»

انتصبت سالي في جلستها ووضعت المناديل المستعملة في جيبها كي لا ترميها على الأرض وقالت: «ماذا! وكيف فعلت هذا؟»

«تعنين انك لا تتذكرين كيف اعتديت على أحد زبائن الفندق الأكثر أهمية.»

«لم أفعل سوى...»

قاطعها كيمب متحسراً: «لقد سمعت، وأتمنى لو كنت حاضراً.»

عند ذلك أخذ الألم منحى آخر فأسرعت تقول له: «بالطبع، ليس بامكانك أن تكون في كل مكان. هل الجميع غاضبون مني؟»

أجاب كيمب: «تبدين وكأنك أسديت خدمة لكادر الموظفين في الفندق، وبالنسبة للمدير، فلا أعرف حقيقة موقفه.»

«لا شك أنني تسببت له بخسارة زبائن الكينغفيشر.»

«من المؤكد، أنك لم تفعلي شيئاً من ذلك طالما ظل مارك والش يعتقد بوجود فائدة له من وراء الصفقة، ولكنك بالتأكيد ضمنت عدم قيامه بأي زيارة شخصية أخرى إلى هذا المكان.»

توقف كيمب عن الكلام قليلاً ثم أضاف بامتنان: «إن ذلك لعمل عظيم.»

«هكذا تعيش أنت هنا بسلام.»

لم يكن بامكانها أن تخفي الشوق من صوتها، ستكون تارا من سيتمتع، وليس هي، بذلك السلام والهدوء.

أكد كيمب ذلك إذ قال: «ولكن تارا لا تحب ذلك.»

www.rewity.com

لقد كانت هذه المرة الثانية التي يجيب فيها عن تساؤلاتها، فهل يا ترى كان يستطيع قراءة أفكارها؟ ولكي تكتشف ذلك، أشاحت بنظرها جانباً لتنظر في عينيه الصافيتين صفاء الألماس.

«لقد استقل والش سيارة الأجرة إلى المطار في وقت مبكر معتقداً، ربما أنهم سينظفونه بطريقة أفضل هناك.» ونظر إلى ساعته ثم أضاف: «لا تعبأي، ما زال لدينا بقية من وقت.»

«هل تعني أنك ستأخذني إلى المطار؟»

«إن هذا هو السبب الذي خرجت لأجله.» ولكنه سرعان ما راح يغطي لطفه مضيفاً: «فربما أستطيع رؤية البقع على ثيابه قبل أن يتم تنظيفها، مما سيزيد في سعادتي.» وشجعته ابتسامتها على أن يضيف: «يقولون إن ربطة عنقه تحولت من اللون الأخضر الداكن إلى اللون الكاكي.»

علقت سالي على ذلك: «يبدو أنه غير موفق بربطات عنقه.»

ولكن سالي سرعان ما التزمت بالصمت، ها هما هنا الآن يضحكان ويمزحان حول الموضوع من جديد كما كانت قد تصورت في حالة لا واعية، برغم أن كيمب كان الآن مرتبطاً بامرأة أخرى، امرأة ستهتم باحكام قبضتها عليه.

إذ قررت سالي أن تصارحه بأسوأ الأمور، مهدت لذلك سائلة: «ماذا قلت لي عن تارا؟ هل هي في وضع مماثل؟»

أجابها كيمب باقتضاب: «أعتقد أن من الأفضل لها أن ترحل، وهي تنتظرنا في بهو الفندق.» ثم مد إليها يديه لتستعين بهما في الوقوف، لكنها رفضتهما، فأخذ يديها وأوقفها سائلاً: «لماذا كنت تبكين؟»

أشاحت بنظرها عنه محاولة تحرير يديها من قبضته الضخمة الحارة وقالت: «ليس ذلك من شأنك.»

«هل كان ذلك بسبب شيء قاله لك والش؟ ما زال لدي الوقت الكافي لأطيح بأسنانه.»

غير أن سالي مشت متجاوزة إياه في اتجاه السيارة وأجابت: «لا أدري كيف تسمح لنفسك بذلك، فمن الأفضل أن تستعمل قوتك في المكان المناسب.»

فتح لها الباب وهو يسألها: «عن أية قوة تتحدثين؟»

«أعتقد أنك تعرف ذلك.» ثم وثبت إلى المقعد وأغلقت الباب في وجهه الحائر، لكنها حالما رأته يجر حقيبتها، تذكرت أنها كانت قد تركتها في الطريق، وإذ أحست بحماقتها، ظلت صامتة طوال الدقيقتين اللتين استغرقتهما الطريق إلى القرية، ونزلت من السيارة حالما أوقفها تحت أشجار الكستناء، ثم أسرعت تدخل الفندق معه.

كانت تارا تحمل حقيبة سفر بنية اللون مذهبة، وترتدي بدلة رمادية تجعلها آية من الجمال. وتساءلت سالي مندهشة: كم بدلة أحضرت هذه المرة معها لليلة واحدة في حقيبتها المذهبة؟

همس كيمب مستغرباً وسط أفكارها: «ثلاث بدلات لليلة واحدة. ارغب أن ارى كيف تبدو وهي مرتدية سروال الجينز!»

ردت عليه سالي محتدة: «فاتنة لا شك.»

ما الذي كانت تستطيع قوله غير ذلك؟ هل تقول له إنها لم تر ساعدتها أبداً ترتدي سروالاً، حتى لنزهة في الهواء الطلق؟ أم تقول له إنها كانت تشك في أن تنانير تارا المطبقة الواسعة المضمومة برخاوة، كانت تخفي ركبتين بالغتين السمنة ورجلين قصيرتين. كلا، لن يبدو ذلك سوى كلام بذيء.

فبالتأكيد كانت تارا تبدو فاتنة برغم أنها لم تكن مشرقة بعاداتها. لقد كان بإمكان المرء أن يدرك أن رموشها كانت مثقلة.

www.rewity.com

وكانت شفتاها متورمتين واعتقدت سالي حاقدة عليهما كليهما أن سبب ذلك كان كثرة العناق.

حيا كيمب تارا بلمسة ناعمة على خدها وسأل: «هل استعدتِ حيوتك؟ نعم، يبدو أنك فعلتِ. هل أضع الحقيبة في السيارة؟»

«شكراً يا عزيزي.»

أخذت الرموش المستعارة تفلت، فقد كانت مثقلة بالكحل، أكثر من المعتاد، وكانت متدلية إلى الأسفل إلى درجة كادت أن تسقط. نعم، لقد أخذت بالتساقط إذ كانت الزاوية الخارجية لأحدهما قد أفلتت.

حجبت تارا عينها المهددة بمنديل مخطط ثم أدارت وجهها باتجاه معاكس وقالت: «آه يا عزيزي لا نفع من وضع الحقيبة في السيارة، فيجب أن أعود إلى غرفتي من جديد.»

رد كيمب يقول: «هناك كثير من الوقت.»

برغم أن صوته كان هادئاً منخفضاً، أطبقت يده على معصم سالي التي أحست بالغضب والحيرة عندما دفعها كيمب وراء تارا التي كان وجهها ما يزال شبه محجوب ليبلغوا جميعهم المصعد في وقت واحد.

لقد كانت سالي تشعر بغضب شديد لاعتقادها بأن تارا كانت تتظاهر بالبكاء، لكنها سرعان ما أدركت خطأها عندما رأت دمعة مكحلة تنساب حافرة في الطلاء الذي كانت تارا قد دهنت وجهها به.

لقد كان من غير المعقول أن تفعل تارا ذلك عن قصد، فهل كانت حقاً تبكي؟

أمر كيمب سالي قائلاً: «هيا اذهبي معها وافعلي ما تستطيعين فعله لها.»

فتحت سالي فمها لشدة الدهشة وسألت: «أنا؟»

لكنه دفعها إلى داخل المصعد وهو يقول: «لقد اعتقدت أنني سأستطيع اخراجها من محنتها، لكنني كما يبدو لم أفعل، فربما تستطيع امرأة مثلها أن تساعدها أكثر مني.»

ولشدة الدهشة، تركت سالي أبواب المصعد تغلق خلفها، وحالما تم ذلك راحت تارا تبحث في محفظتها، دموع سوداء كانت تنهمر رغماً عنها، وبدأت رموشها تتدلى مقلصة فتحتي عينيها. كيف كان بامكان سالي ألا تشفق عليها، اخرجت سالي منديلاً من محفظتها وانتزعت بواسطته الرموش بمهارة واحداً بعد الآخر ووضعتها في ورقة ناعمة، ثم أعادتها إلى تارا.

غير أن تارا التي أمست كطير صغير بعينيها الصغيرتين المستديرتين اللتين فقدتا رموشهما المستعارة، رفضت تقدمة سالي شاكرة وقالت: «لـ... لدي المزيد منها...» ثم أضافت في عاصفة جديدة من البكاء: «لما يبدو كل شيء بشعاً هكذا؟»

كانت لهجة التلامذة التي استعملتها تارا مؤثرة. فأبعدت سالي محفظة سفر تارا المفتوحة وطوقت مساعدتها بذراعها، وعندما بلغتا الدور الثاني، أسندتها حتى أوصلتها إلى غرفتها كمن كانت تساعد فتاة صغيرة.

وجدتا في الغرفة امرأة تنظف، كانت المرأة تنشر اغطية السرير على الشرفة، فنظرت إليهما عبر النافذة مرتعبة في أول الأمر، لكنها سرعان ما أبدت تعاطفاً عندما رأت تارا تنهار على احد الأسرة وتفجر تعاستها في عاصفة من الدموع.

أشارت سالي إلى ساعتها ثم رفعت أصابعها العشرة وقالت: «تكون على ما يرام. عشر دقائق فقط.»

www.rewity.com

عرضت المرأة عليهما الشاي، ولكنها غادرت الغرفة عندما رفضتا وهي تشعر بعدم جدوى بقائها.

قالت تارا والوسادة تكتم كلماتها: «الـ... الليلة الماضية الما... ماضية بعد الحـ... حفلة، فدعاني عاهرة، ثم واقعني.»

«ماذا!» وزمت سالي فمها مبدية كرهها المعتاد لأن مارك والش صب غضبه هذه المرة على امرأة أخرى. ولكن، لماذا كانت هذه المرأة موجودة في الفندق؟ ألم تكن موجودة في القلعة؟

قالت تارا: «لقد آن لك أن تنضجي يا سالي.»

وتقلب الوجه الصغيرة الملطخ بالأزرق والأسود والزهر على الوسادة الملطخة بالزينة، وكان صوت تارا سيبدو مضحكاً لو لم يكن حزيناً جداً.

«لقد كان ذلك ثمن الرحلة، ولكنني لم أتوقع أن يواقعني عن كره...»

ودفنت تارا وجهها في الوسادة منفجرة بالبكاء من جديد، بينما راحت سالي تربت على جسدها بانتظام كأم تهدىء من روع ولدها وهي تنظر إلى السرير الآخر.

نعم، لقد كان الاثنان يتداخلان ليشكلا سريراً مزدوجاً على الطريقة المحلية، غير أنهما كانا الآن منفصلين، وكان الشرشف والوسادة على السرير الآخر يشيران إلى أنه كان قد استعمل، وها هي تارا الآن تدفع ثمن ذلك اشمئزازاً واحتقاراً لنفسها.

لقد كان من الصعب على سالي اختيار ما تقوله، فإن قالت لتارا أنها لم تتصرف تصرفاً ناضجاً، أو إنها كانت سخيفة، كان ذلك سيزيد من تعاستها. وبرغم أن سالي أدركت أن تارا يجب أن تعرف ذلك، لم تقل لها ما كانت تفكر به أو تتمكن من فعل شيء سوى أن تهمس متعاطفة وسط تنهدات تارا وتأوهاتها.

تذكرت سالي قول كيمب: «امرأة باكية أخرى.» فسألت تارا: «هل قلت لكيمب عن ذلك؟»

رفعت تارا رأسها وتوقفت عن البكاء أخيراً تحت تأثير سؤال سالي الذي ربما كانت تعتبره سخيفاً وقالت: «بالطبع لا، على المرأة ألا تقول أبداً أي شيء عن رجلها الماضي لرجلها الحاضر.»

لكن سالي ردت عليها وهي تدرك أن كلامها الذي قالته كان غير صحيح: «لكنه ليس رجلك، فكل ما قدمه إليك كتفه لتبكي عليها.»

«لقد قا... قال...» وتابعت تارا وسط عاصفة جديدة من الدموع: «لقد قا... قال لي إنني محبوبة جداً.»

«أيزعجك ذلك.» واحتارت سالي في الموضوع برهة إلى أن تذكرت احترام كيمب الغريزي للنساء، فقد كانت كلمة محبوبة أفضل كلمة يستعملها من دون أن يجرح تارا، فاستدركت تقول لها: «إذاً، فقد رفضك وبكيت عندئذٍ.»

أكدت تارا وقد عادت كبرياؤها إليها: «لم يرفضني تماماً، أعني أنه لم يكن وقحاً كمارك.» وتوقفت قليلاً ثم أضافت كاشفة عن سبب ضعفها وعذابها فقالت: «لقد كان ذلك هو السبب الحقيقي لعذابي، إن تواقع الناس معك، تستطيعين أن تحاربيهم، ولكنهم إن كانوا لطفاء...» وتوقفت من جديد تمسح الدموع من عينيها، ثم جلست ونظرت إلى سالي بعينين مستفسرتين وقالت: «ما الذي فعلته لمارك الليلة الماضية حتى عكرت مزاجه إلى ذلك الحد؟»

«أوصدت الباب في وجهه كما كان يجب أن تفعلي.»

عادت الدموع لتتجمع خلف جفني تارا وقالت: «نعم، ذلك

www.rewity.com

صحيح، ولكنني لم أتوقع أن أعود إلى هنا، فقد رحت أسأل كيمب عما كان في داخل القلعة، واساله، وأساله...»

«برغم ذلك أعادك إلى الفندق.»

«بل لم يفعل حتى ذلك، فقد أرسلني بسيارة مدير الفندق، إنه لطيف أليس كذلك؟» عاد التوتر إلى عيني تارا الزرقاوين وأضافت: «أستطيع العمل معه.»

ولكن سالي قالت بجفاء: «لكنه سيتزوج الأسبوع القادم من فتاة من كلوسترز وأعتقد أنه ذهب إلى الحفلة لمدة ساعة فقط لكي...»

لكن تارا قاطعتها بكبرياء قائلة: «أتكلم عن العمل معه... فهو لا يحب مارك أيضاً، وقد استشففت ذلك من اعتذاره لسائق سيارة الأجرة.» أشرق وجه تارا منتعشاً بابتسامة وتابعت: «أتمنى لو كنت أنا التي أفرغت فنجان القهوة على رأس مارك.»

«لكن، ليست هذه هي الطريقة التي تؤدي بك إلى النجاح في مجال الإدارة.»

وافقت تارا على ذلك مستعيدة تمالكها لنفسها ثم قالت: «نعم، وأنا أستطيع أن أبذه في مجال الإدارة والاعلان.» وقفت والتقطت حقيبتها وأضافت وهي تتجه إلى غرفة الحمام: «إنني أعرف كل زبائن الكينغفيشر، أقزام، أنظري إليّ.» عاد وجهها الملطخ بالبقع إلى الظهور في الباب مرة أخرى وسألت سالي: «هل كنت أبدو هكذا أمام الناس في البهو؟»

طمأنتها سالي: «كلا، لم تكوني أبداً كذلك، ولكن، ماذا كنت تقولين عن زبائن الكينغفيشر؟»

ردت تارا هادئة وسط قرقعة أدوات الزينة التي كانت تعدها

أمام المرآة وقالت: «لا أعتقد أنهم يحبون مارك أكثر مما نفعل، فهم سيحبون السفر أكثر مع شركة أخرى تدعى...» وتوقفت قليلاً مفكرة، ثم أضافت: «... تدعى، كوين فيشر.»

أسرعت سالي إلى الحمام منذهلة وهي تقول: «كلا، لن تفعلي ذلك.»

كانت تارا قد حبست شعرها تحت قبعة بلاستيكية، وأغمضت عينيها، ثم راحت تقول وهي تطلي وجهها فرحة: «أتعتقدين أنني لن أستطيع أن أقدم عرضاً أفضل؟ إن كوين فيشر ستتعامل مع الفنادق مباشرة، وستنشر دعايتها بنفسها.»

«ولكن، لن تستطيعي أن تنظمي العمل بهذه السهولة.»

مسحت تارا المسحوق عن وجهها بمجموعة من المناديل، فظهر صافياً لماعاً جذاباً بذلك الضوء الجديد الذي التمع في عينيها وهي تقول: «راقبيني فقط فبامكاني الحصول على دعم ثلاثة اشخاص لمجرد طلب ذلك. لقد كنت أتساءل منذ أن أنهيت الجامعة عما كنت أريد أن أفعل، والآن فقط عرفت.»

«ماذا عن ايجاد الرجل المناسب؟»

فتحت تارا صنبور المياه وأجابت: «الرجل المناسب هو الذي يساعدني في القضاء على مارك والش.»

«تارا، أرجوك احذري، فانت تستعدين رجلاً خطيراً.»

اجابتها تارا وهي تغسل وجهها: «أنا أعرف ماذا أفعل، انتظري وسترين كيف سأحطم شركة الكينغفيشر إلى...» لكنها توقفت إذ سمعت نقرة على الباب الخارجي وقالت لسالي: «إن ذلك كيمب، فلا تدعيه يدخل، لا أريد أن يراني أحد قبل أن أعيد ترتيب نفسي.»

وعندما نقر على الباب، نظرت سالي إلى ساعتها من جديد

وسألت: «هل ستقومين بعملية تزين كاملة؟ إن ذلك قد يأخذ ساعات.»

أجابت تارا وهي تغسل الصابون عن وجهها وتربت عليه باعجاب قائلة: «نعم، إن ذلك صحيح، لكن لدي الوقت الكافي لأنني لن أذهب على تلك الطائرة في كل الأحوال.»

اندفعت سالي لتحمل أغراضها وهي تقول: «لن تذهبي؟»

افترت شفتا تارا عن ابتسامة مغرورة وقالت: «ذلك صحيح، أتمنى لك الاستمتاع برحلتك يا عزيزتي.»

«وماذا عن فكرة تحطيم الكينغفيشر؟»

«إنها تبدأ من هنا، مع مدير الفندق.»

إذ لم يرد أحد على نقرات كيمب، شرع يفتح الباب بحذر وهو يسأل: «أما من أحد يريد العودة إلى الوطن؟»

انتقلت الابتسامة إلى العينين الزرقاوين ذواتي الرموش الضئيلة وقالت تارا: «ليس بعد يا عزيزي، لكنني ساكون جاهزة.»

«طبعاً، لا تقصدين أن تقولي... بـ...» لم تستطع سالي أن تقول ما كانت تريد وكيمب واقف على مقربة منها كما كان بامكانه أن يسمعها.

وهمست تارا لوجهها في المرآة ولأنعكاس يديها اللتين كانتا تغطيانه بأسس جديدة قائلة: «بعد... ربما كل ما أحتاج إليه هو الوقت، وطبعاً وجهي يستحق المحاولة. إنه رجل نزيه. هيا اذهبي يا عزيزتي، فانا أريد أن أوصد الباب.»

لكن كيمب كان قد أوصد الباب في هذه الأثناء وقال: «ولكن، ماذا تعنين؟ هل أنتِ لستِ مستعدة، وتستعدين الآن؟ فان كان ذلك، إما أن تأتي الآن، وإما أن لا تأتي أبداً.»

خرجت سالي إلى الغرفة وقالت: «لقد قررت البقاء هنا.»

وسمع قفل الحمام يدار، وأنشدت تارا من الداخل تقول لهما: «لا تقلقا علي يا عزيزيّ، واذهبا من دوني.»

اجتاز كيمب الغرفة، والتقى بسالي عند أسفل السرير وقال: «على كل حال، لقد استعادت حيويتها على الأقل، ولكن، ماذا عن هذا البرغوث الجديد؟»

حدقت فيه سالي منذهلة وقالت: «برغوث!»

هز برأسه وأشار نحو باب الحمام مجيباً: «هذا السخف، هذه القشور، إنه هراء.»

وهز برأسه الأشعث مرة أخرى لعدم تمكنه من إيضاح ما يريد قوله، ثم أضاف: «ما الذي هي بصدده الآن؟»

حاولت سالي أن ترفع نظرها عنه، لكنها لم تستطع، فقد كانت تشعر أن عليها أن تستغل كل دقيقة متبقية لها لتحفظ كل خط من جسده، كل لحظة، وكل تقلب من ملامحه الشغوفة. فالشوق الذي تتلوى به شفتاه هو الآن لتارا وكذلك التلون الخفيف خلف جفنيه. وبرغم ذلك، لقد كان ذلك التجعد وذلك التلون شيئاً عزيزاً ستحبهما لذكريات السنين القادمة.

أخيراً تمكنت من الكلام فقالت: «سأشرح لك ذلك في ما بعد.»

لكنه اندفع مقترباً منها وقال: «هيا اخبريني بذلك الآن، فهناك أشياء أفضل يجب أن نتحدث في شأنها أنا وأنت لاحقاً.»

«ولكن... ليس لدينا الوقت الكافي.»

«سوف نجد الوقت لذلك.» ثم شدّها إلى عالم يعبق بعبير المنوبر والسرخس والمسك واستحوذ فمه على ثغرها.

وشعرت سالي أنها أصبحت بين النجوم.

تمكنت أخيراً من أن تلمس خده الخشن: «لا... لا بد أن هناك محراً غامضاً كامن في غرف هذا الفندق.»

www.rewity.com

لكن كيمب نفخ احدى خصال الشعر المتدلية على جبينها وقال: «بل كامن فيك يا حبيبتي السمراء الوحشية الجميلة.»

أحست بيده تغطي عينيها، وتذري رمشيها وهو يقول: «إن هذه رموش حقيقية، أليس كذلك؟»

«بلى.»

«إنها رموش رائعة كصاحبتها.»

غير أن سالي حاولت أن تبقى بعيدة وهي تقول: «يجب علينا ألا نفعل ذلك.»

فجأة سمعا نقرة ناهية على الباب وكانما لتثبت رأيها في إيقاف ما كانا يفعلان، ولتعطيهما وقتاً كافياً ليثب كل منهما مبتعداً عن الآخر.

لقد كانت القارعة على الباب امرأة التنظيفات، وقد جاءت في نهاية العشر دقائق التي كانت طلبتها منها سالي، وراحت تخاطب كيمب بلغتها فرد عليها هو باقتضاب وراح يقرع على باب الحمام.

ويسأل بلهجة كأن يتكلم إلى طفلته: «تارا، هل أفهم من ذلك انك ستبقين هنا؟»

ردت تارا بصوت حاد اخترق الباب كالمثقب: «هل ما زلتما هنا يا عزيزيّ. لن تلحقا بالطائرة ما لم تسرعا.»

قال كيمب: «إن ذلك شأننا، أما شأنك فهو أن تخرجي إلى هنا وتعطي العاملة تفسيراً عما تفعلين وعما تريدين أن تفعلي.»

«سافعل ذلك ولكن في الوقت المناسب.»

غير أن كيمب قطب حاجبيه وقال: «يجب أن تقرري ذلك الآن، فامرأة التنظيفات تسأل عما يجب أن تفعل بالغرفة.»

«آه، لقد كنت فكرت الاحتفاظ بها، ولكن...» وتقطع الهديل

لحظة، ثم ما لبثت تارا أن أضافت: «ساطلب غرفة أخرى، فانا لا أحب هذه.»

«إذن، اطلبيها ودعي المرأة تنهي ترتيب هذه الغرفة.»

«لماذا؟ هل يريدها شخص آخر؟»

نظر كيمب إلى المرأة التي كانت تنتظر بلباسها الأبيض السماح لها بالدخول لانهاء عملها، وأجاب تارا: «لا أعرف. فإن مستخدمي التنظيفات لديهم برنامج عليهم اتباعه.»

«هل هذه هي كل المشكلة؟ قل لها إنني ساكون جاهزة في غضون نصف ساعة من الزمن.»

انفجر كيمب إذ ذلك صارخاً: «نصف ساعة! اللعنة، اللعنة، هل تدهنين جسر مرفأ سيدني يا امرأة؟ كم من الوقت يستلزم لصق زوج من...»

ولكنه توقف عند ذلك لأن سالي كانت قد أسرعت لتطبق يدها على فمه، غير أنه دفعها بعيداً وعبا رئتيه من جديد استعداداً للصراخ، وبدلاً من ذلك، أطلق زفرة طويلة، وإذ رأى أن يد سالي كانت ما تزال قريبة من وجهه مستعدة لأن تطبق على فمه، انشغل عن تارا بتقبيل تلك اليد العزيزة.

لقد جعلت قبلته التملص منه لمواجهة موظفة التنظيف صعباً، ولكنه عندما تمكنت سالي من الاستدارة إليها وكانت على وشك أن تفسر لها باللغة الانكليزية، هتف كيمب بشيء غير مفهوم من فوق كتفي سالي انعكس امتعاضاً وغضباً في كل خط من ملامح جسدها القوي، فتركت الغرفة بامتعاض وكبرياء.

وتمتمت سالي بينما كان كيمب ينضم إليها: «إنه من السخافة أن تعادي كادر المستخدمين هنا، خاصة وأن المرء يريد أن يسوق برنامجاً سياحياً.»

www.rewity.com

وضع كيمب إحدى ذراعيه حولها حاثاً إياها نحو الباب وسأل: «ومن يريد أن يسوق برنامجاً سياحياً هنا؟»

«تارا، إنها...»

لكن كيمب حملها عبر الممر وصولاً إلى المصعد وهو يقاطعها قائلاً: «إنسي تارا، فان هناك طائرة عليك اللحاق بها، ثم لم تسمعي عرضي.»

«اي! عـ... عرض؟»

رفع ذراعيه كرجل صوبت إليه فوهة بندقية، والتصق بجدار المصعد الهابط المقابل للجدار الذي كانت تتكىء عليه وقال: «أعدك وعد شرف بأن لا المسك بعد الآن.»

سألته سالي مستغربة: «لن تفعل! لـ... لماذا لا؟»

«سوف نتحدث عن ذلك في الطريق إلى المطار.»

إذن، لقد كان يريد التخلص منها!

عندما وصل المصعد إلى الدور الأسفل، أسرعت تخرج معه إلى السيارة منقبضة المزاج صامتة. ما الذي جعله يظن أنها لا تريده أن يلمسها! ثم، عرض! أياً يكن ذلك العرض، فلن يكون للزواج.

وأدركت سالي بينما كانت السيارة تنزلق على الطريق عبر القرية أن عرض الزواج هو ما كانت تتمناه دائماً، وقالت في نفسها، أحس وكأنني قضيت كل حياتي متمنية أن أتزوج كيمب ويتيكر.

كانت الطريق المؤدية إلى الوادي مصممة بدقة فائقة، غير أنها كانت كثيرة المنعطفات استحوذت على كل تركيز كيمب وأدركت سالي أن صعوبة القيادة وما كانت تتطلب من تركيز كانا سبب تأخير عرضه، وكان الانتظار قاسياً عليها جداً.

كان كل منعطف نزولاً يزيد المسافة بينها وبين القلعة وبين المزرعة، ويبعدها أكثر عن عالم كيمب ويتيكر، ذلك العالم الساحر المسحور من غابات وجبل، الذي كاد يصبح عالمها، فقط لو أن... ولكنه، ها هو قد عزم على عدم لمسها أبداً.

«حسناً.» انتظر كيمب لينعطف إلى الطريق المستقيم في اسفل الوادي ثم أبطأ من سرعته ليسير خلف حافلة صغيرة مليئة بالطلاب: «أعرف أنه ليس لدي الكثير لأعرضه، فنحن نعيش في منطقة هادئة، وهي المنطقة التي أحب أن أعيش فيها. إنني لا أعرف المرتب الذي تتقاضينه من وكالة اللايملايت، لكنني أشك في أنني سأستطيع أن أدفع لك مرتباً مساوياً...»

قاطعته سالي غير مصدقة: «هل تعرض علي عملاً؟ هنا! وإن كان ذلك فعلاً ما تعرضه، فلم نسرع للحاق بالطائرة؟»

غير أنه رمقها بنظرة وسأل: «أولا تريدين أن تعرفي الشروط؟»

«كيمب إنني أحب انكلدورف وعرضك هذا ليس إلا عرضاً لي للعيش في الجنة، سوف...» وراحت تفتش عن طريقة تعبّر عن جنّية رغباتها فأضافت: «إنني مستعدة لأن أغسل صحوناً أو أكنس بيوتاً لكي...»

«وتفرزين نماذج، أو تدونين ملاحظات، أو تنظمين كل تلك المواد التي أكدسها في القلعة؟»

«لقد كنت أعتقد أنك لا تسمح للغرباء بدخولها.»

إذ رأت نظرته المستفسرة أسرعت تشرح له قائلة: «فانت لم تدع تارا...»

«تلك الطفيلية! نعم، أعتقد أن جاكي لين كان لها فائدة في النهاية، فقد جعلتني أدرك سخف مثيلاتها.»

www.rewity.com

ابتسمت سالي في وجه الصبي الملائكي الذي كان يجلس في مؤخرة الحافلة، ولاحظت فجأة طريقاً فرعية فقالت: «إن كان عرضك أن أعمل معك في القلعة جدياً، فدعنا ننعطف الآن.»

غير أن جوابه جاء بتجاوز الحافلة وتوجيه السيارة شطر زيوريخ ومطارها قائلاً: «ولكن، عليك تقديم استقالتك وتوضيب أغراضك، وترتيب أمورك، والأهم من ذلك كله، عليكِ أن تفكري بالأمر جيداً وأن تكوّني عنه وجهه نظر واضحة، وأن تدركي حجم التحديات التي ستواجهينها.»

وسألته سالي بتوتر مفاجىء: «أي تحديات؟»

«إنني لست في صدد عرض الزواج عليك.»

كبتت سالي وهي تشعر بالدوار في رأسها: «لا أقول لك إنني سأوافق لو فعلت، فأنا لم أعرفك إلا منذ ستة أيام.»

رمقها كيمب بنظرة جانبية وقال: «بالضبط. ومن جهة أخرى، وكما لاحظت فأني أرغب بك، وتعرفين كم أن الجسد ضعيف. أستطيع أن أحاول عدم فعل ذلك، لكنني لا أستطيع أن أضمن ذلك.»

«ربما لن أهتم كثيراً لو فعلت.»

انطلق بالسيارة بأقصى سرعة مسموح بها ورد عليها قائلاً: «أياً كان ما تفكرين به الآن، فسيهمك ذلك جداً لأنه بالنسبة لك، فإما الالتزام وإما لا.»

هزت سالي برأسها وهي تواجه واقع شخصيتها. «وأنت؟» ابتلعت الاهانة واردفت: «لا تشعر أن باستطاعتك ذلك؟»

«بعد ستة أيام فقط؟ أعتقد أنه لا يستطيع أحد منا أن يفعل ذلك.»

«إنه ليس من عادتك أن تكون حذراً إلى هذا الحد.»

«هل تفضلين لو تظاهرت بخلاف ما أستطيع؟»

ردت عليه قبل أن تستطيع التفكير بما تقول: «كلا، لا تستطيع ذلك.»

سألها كيمب: «ما الذي يجعلك متأكدة إلى هذا الحد؟ ماذا تعلمت عني خلال ستة أيام؟»

«لقد تعلمت أنك لا تستطيع التظاهر بشيء، بأي شيء لأن التظاهر يتعارض مع جوهر شخصيتك...»

توقفت سالي عن الكلام لأنه لم يكن بإمكانها انهاء كلامها بالطريقة التي كانت تحب، فلو لم يكن كيمب يثمن الصدق أكثر من الوعود السهلة، وأكثر من اللذة ومن معاملات الربح والخسارة، التي لم تكن قد فهمت وتعلمت سواها قبل أن تلتقيه، لما كان هو الرجل الذي تحبه، ولكن كان عليها ألا تقول ذلك لأنه لم يكن يعرض عليها الحب في مقابل الحب الذي كانت تشعر به تجاهه، كل ما كان عليها هو أن تقبل ما كان يعرضه عليها بصدق من بداية جديدة، وصداقة، ووظيفة ومغامرة بتحطيم قلبها.

حدقت سالي في صمت إلى المناظر المتبدلة من منحدرات إلى أخرى صخرية أشد انحداراً منها تقود هذه أيضاً إلى منحدرات أكثر انبساطاً مرشوشة بقطعان الماشية، والمزارع والقرى الصغيرة المتألقة تحت أشعة الشمس الآخذة بالاحمرار، وينطق ازدهارها باهتمام الأجيال المتلاحقة الكادحة التي أهلتها.

وإذ بلغا بحيرة زرقاء إلى يسارهما وتقع خلفها جبال أخرى، قال لها كيمب: «هذه بحيرة والنسي.»

تنفست سالي مسحورة وقالت: «وهي واحدة من عشرات! ليس ما يماثلها بحق.»

وإذ كانا قادمين على نفق، أضاء كيمب الأضواء الأمامية في السيارة وسأل: «وما الذي لا يماثلها في هذه البلاد؟»

www.rewity.com

تنهدت سالي وهما يخرجان إلى ضوء الشمس من جديد ويبدآن بسفح جبل آخر وقالت: «سواء عدت إلى هنا أم لم أعد، أعتقد أنه علي أن ألحق بالطائرة.»

تمعن كيمب بلباسها وقال: «إلا إذا كنت تنوين الاستقرار هنا... وليس معك سوى سروالين قطنيين وثلاثة قمصان فقط.»

تحركت سالي في مقعدها تمط أطرافها وقالت: «إن ذلك يذكرني، ألم تقل إنك كنت ستضع حقيبة تارا في صندوق السيارة؟»

صفع جبينه إذ ذاك، ورمق سالي بنظرة متأسفة وقال: «اللعنة، سوف يكون علي أن أسلم الحقيبة للفندق. أو، هل تعتقدين أنني سأستطيع التخلص منها.»

قهقهت سالي إذ ذاك وقالت: «أشك في ذلك، من الأفضل أن تبقى في القلعة موصداً الباب إلى أن أعود.»

اشترك كيمب في القهقهة وقال: «إن حمايتي من نساء كتارا ستكون من أولى واجباتك.»

حيته سالي مضيفة: «يا سيد، هل أقول لك عن واجب آخر؟»

«سهلاً، سهلاً. من هو الموظف، ومن هو رب العمل هنا؟»

ردت عليه سالي بقسوة قائلة: «أنت رب العمل، لكن يجب عليك أن تنفذ ما يختص بواجبي الذي سأقوله لك، فما من شيء يمكنه أن يجعلك أنيقاً...»

«معاذ الله.»

«على الأقل، سأحرص على أن تقص شعرك دورياً.»

«اللعنة على قص الشعر، يا سالي.»

«لكن لا اتفاق من دون الموافقة على قص شعرك.»

وافق كيمب بتردد ساخر وهو يقول: «حسن يا سالي بنيدكت، يا لك من امرأة صعبة!»

الفصل التاسع

كانت سالي تشعر أحياناً أنها دليلة وتعيش مع شمشون الجبار وشعره مقصوص، ولكنها كانت دائماً تقول لنفسها إن كيمب لم يفقد قوته، وشعره لم يتغير كثيراً.

كان مصفف الشعر قد قص قليلاً من شعر كيمب وهندم الباقي بمهارة فائقة. فأصبح شعر كيمب معلقاً خلف إذنيه يتارجح بالقرب من قاعدة رأسه، غير أنه كان دائماً يبعثره أثناء عمله. أضف إلى ذلك، فهو لم يكن يتذكر، أو حتى يفكر بترتيب شعره. وما عليها إلا النظر إليه وهو يعبر بوابة القلعة الضخمة ليسلك طريق الغابة متجهاً إلى القرية.

فتحت سالي نافذة المنور وسألته: «ألديك مشط؟»

حدق كيمب إليها من الساحة وأجاب: «أيبدو سيئاً إلى هذا الحد؟»

«ما من شيء أعجز عن ترتيبه إن أنت أتيت إلى هنا.»

تردد قليلاً، لكنه سرعان ما اجتاز الرصيف ووقف هادئاً تحت النافذة. ومن مكانها المرتفع في الداخل، انحنت سالي فوق إطار النافذة الحجري، وأعادت شعره الذي كان ما يزال رطباً إلى وضعيته الصحيحة. وبرغم خصلاته المتجعدة كانت تثور وتندفع كيفما حصل من بين أصابعها، وقف كيمب في الأسفل بوجه متصلب مثل حجارة الغرانيت طوال الفترة التي استغرقتها سالي بتصفيف شعره.

سألها أخيراً: «هل ارتحت الآن؟»

www.rewity.com

وكيف كان لها أن تقول إنها لم ترتح؟ كيف كان لها أن تنكره بوقت لم يكن في امكانه أن يترك يديها من غير أن يقبلهما؟ كل ما كان بامكانها أن تفعله هو أن تهز رأسها بوجهٍ وشفاه حازمة مثله، وتؤكد له من جديد أنها لم تكن تريد الذهاب معه إلى مكتب البريد.

«سأبقى هنا، وأحضر طبق الجبنة السويسرية.»

غير أنه رد عليها باحدى ابتساماته الخفيفة التي أصبح يواجهها بها هذه الأيام وقال: «لست في حاجة إلى ذلك.»

لوّحت سالي بيدها وقالت: «لكنني سأفعل ذلك، وسأستحم بعده.»

«لا أدري لماذا غطيتي نفسك إلى هذا الحد، لقد قلت لك أن الزنابير لن تلسعك.»

«حبذا لو تفعل، فبذلك أستطيع أن أشعر باللسعة بدلاً من أن أبقى كل حياتي أتصور ما يشعر به الملسوع.»

هزّ رأسه هزّة خفيفة، ثم رفع يده مودعاً، وانطلق خارجاً من تحت البوابة المقنطرة.

وعندما أصبحت سالي بمفردها في عرين هذا العملاق، تأملت كيف كان سيدعوها بالجبانة كما كان يفعل في الماضي، وكيف كانت تطلب منه التوقف عن المفاخرة عليها بقوته، ثم كيف كانا يتمتعان بعد ذلك بتلك... الأمسية.

تنهدت سالي، وصبت اهتمامها على غرفة تجمع بين النوم والدراسة والتي طورها لتكون مشغلهما، وبعد أن وضعت آلات التصوير وآلات التسجيل والنماذج كلها في الخزائن المخصصة لها. وبعد أن غسلت بقايا القهوة في الأبريق، أصبح بامكانها أخيراً أن تلتقط منشفتها وثيابها النظيفة التي كانت قد أحضرتها من بيت المزرعة وتتجه للاستحمام في القلعة.

بعد أن جففت شعرها ومشطته على شكل غيمة حريرية، زررت فستانها الجديد ذا النقوش الصنوبرية وقالت: «يا ليته لم يكن مهذباً إلى هذا الحد، فهو يعتذر كلما يقترب مني سهواً، وفي غالب الأحيان، لا يقترب مني أبداً.»

حدقت عبر الممر إلى غرفة الاستقبال التي انتهى العمل فيها حديثاً وقالت: «وبرغم ذلك، يا لها من حياة رائعة!»

راحت تتمشى هنا وهناك في الغرفة ذات النوافذ المتعددة مسحورة بحجمها، وبتناسق حجم نوافذها. أية ثريات لهذا السقف الحديث الترميم، وأية سجادات لهذه الأرضية الحديثة؟ أية مقاعد، وأي اريكتان ستحيطان بهذه المدفأة الفخمة؟ لقد كان هذا الجزء من القلعة قد أضيف في القرن الثامن عشر المعروف بأناقته، فكان عليهما أن يختارا أثاثاً مناسباً له.

وكانت سالي قد سرت كثيراً عندما طلب إليها كيمب أن ترافقه في عملية انتقاء الأثاث لهذا الجزء من القلعة، وراحت تتخيل الآن كم ستكون ممتعة عملية البحث عن أغراض كهذه!

كان كيمب قد ذكرها قائلاً: «لقد قلت لك مسبقاً إنك ستقومين بعدة أعمال هنا وهناك، ألم أفعل ذلك؟»

نعم كان قد قال لها ذلك، وفعلت هي كما قال. ففي فترة الشهر الذي قضته هنا، قامت بتصنيف رسائله والرد عليها، كما قامت بإجراء اتصالاته الهاتفية، وترقيم خزائن العرض التي كان قد أقامها في الغرفة الطويلة ذات الرفوف، والتي كان يدعوها المكتبة. وكانت أيضاً قد نظمت باعتناء في هذه الرفوف كل المجسمات والصور والفراشات والعظام التي كانت ملقاة في كل زاوية من القلعة ولم تكن قد أهلت بعد.

في الأسبوع الماضي، أخذت السيارة وتجولت على المزارع

www.rewity.com

المجاورة للحصول على قرص عسل وقطع أوراق، وكان كيمب قد قال لها إنه جزء من عش زنابير قديم. أما اليوم فقد قضاه في البحث عن عش هذا العام، وغداً، ستذهب معه إلى زيورخ لتساعده في انتقاء الأثاث.

جهزت سالي نفسها للعمل في المطبخ الذي كان كيمب يستعمله حتى الآن، وهي تقول لنفسها: «يا له من عمل رائع إنني أحب هذا المطبخ بالقدر نفسه الذي اعتقدت أنني سأحبه، لكن، ما بي؟»

وأياً كان ذلك الشيء الذي كان يزعجها، لا شك أنه بدأ عندما رأت كيمب في لندن. لقد قضى كيمب هناك أسبوعين في شقته التي تقع في شارع بايكر ليضع اللمسات الأخيرة على آخر مسلسلة علمية له بينما كانت تحضر استقالتها من وكالة اللايملايت. بتركها العمل.

وعندما زارها لأول مرة في مكتبها ليدعوها إلى الخروج معه للغداء، لم تفاجأ فقط بتسريحة شعره بل ببدلته الداكنة، والقميص الأبيض، والحذاء الملمع باعتناء شديد. وبرغم هذا التشذيب، كان كيمب ما يزال يبدو كبيراً، لا يتناسب وحياة المدينة، ولم تدر وقتها أين ذهبت وحشيته.

لماذا كان يتكلم بلهجة منخفضة، ويعارض بهدوء، ويتقبل بطول صبر الطلبات اللا متناهية لكتابة التذكارات؟ الأهم من ذلك، لماذا ظل بعيداً عنها جداً؟

لقد سألته سالي عندما ساعدها لأول مرة في خلع سترتها وهو يحتفظ بمسافة ذراع بينهما: «إنني أعلم أنك وعدت ألا تلمسني، ولكن، ليس من الضروري أن تعاملني كمصابة بمرض الطاعون.»

«احب أن أقوم بذلك على طريقتي، إن كنت لا تمانعين.»

لقد استمر أيضاً يجلس بعيداً عنها عندما يأخذان سيارة أجرة، ويرفض الذهاب إلى شقتها حتى ليأخذها إلى السهرات. ولم يعد إليه لطفه ودفئه القديم إلا بعد دعوة عائلتها له لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم.

كانت سالي قد نقلتها إليه من والديها بحياء وخوف من أن يعرف كيمب قصد والديها تفحص هذه الشخصية المعروفة التي كان صاحبها سيصبح رب عمل ابنتهما، فلو لم يذهب هو إلى نيوتن كانا سيأتيان حتماً إلى انكلدورف.

نعم، لقد لاحظت سالي ذلك بخوف، فقد كانا مستعدين لفعل ذلك تحت أي ظروف، غير أن كيمب، وإن كان قد فهم قصد والديها، لم يهتم بذلك بل قال لها: «ولماذا أنزعج؟ إنني أحب أن أذهب إلى بيتكم.»

«ولكن، لا تنتظر شيئاً، فهي منطقة هادئة جداً.»

«أوتعتقدين أن ذلك سيقلقني؟ ألا تعرفينني حتى الآن يا سالي؟»

ربما كانت لم تعرفه تماماً بعد، فقد تخلص من الرسميات في نيوتن فساعد والديها في المزرعة، وأكل بشهية مما كانت تطبخه والدتها، وخرج مع أخيها إلى كومة الروث الحيواني حيث كان سايمون قد وجد ما ظنه بيوض دودة بطيئة. وفي المساء، عاد الاثنان فرحين يرويان كيف فقست البيوض امام أعينهما تماماً.

قال سايمون: «تمنيت لو كانت آلة تصويري معي، لكنها برغم ذلك، فقد كانت فرصة رائعة أن نرى مشهداً كهذا.»

«اتمنى لو لم تكن سفرتك بعيدة إلى هذا الحد، ولكنها كانت

www.rewity.com

فرصة رائعة لأن نتعرف عليه.» قال والد سالي عندما دخل غرفتها ليساعدها بنقل الحقائب.

قالت سالي: «إذن، فقد أحببته؟»

وفي المطبخ، كانت والدة سالي قد اعدت لهما الفروج المشوي، الذي كانت دائماً تزود به ابنتها عندما تكون على سفر، والبيض البلدي الطازج، بالإضافة إلى الخس والبندورة المنتجة في المزرعة، وكعك الزنجبيل المفضل لدى سالي. وعندما نزلت سالي إلى المطبخ، كانت والدتها تضيف إلى المؤونة ما تبقى من الكعكة التي كان كيمب أحبها كثيراً، فقالت لابنتها: «لا تجد المرأة مثل هذا الشاب إلا بنسبة واحد على مليون.»

اعترضت سالي: «ولكنه ليس شاباً جداً، إنه في الثانية والثلاثين.»

ردت والدتها بخبث: «إنه عمر رائع.»

وفي كل الأحوال، لقد كان حسناً أنهم لم يسألوه عن دخله أو ماضيه وخططه المستقبلية برغم أنه قال لهم شيئاً عن ذلك من دون أن يسأل.

«إنني سأقضي عاماً على الأقل في دراسة الحيوانات والطيور والنباتات حول انكلدورف.»

هذا ما كان بصدده الآن، فهو أنهى تقسيم الكتاب إلى فصول. وبمساعدتها، كانت المواد تتجمع بسرعة، وكان قد قال لها إنها وفرت عليه ساعات كثيرة من الجهد والعمل.

وافقت سالي معه في نفسها، نعم، لقد وفرت عليه ساعات كثيرة.

راحت تثني على أفضل أعمالها الذي كان موضوعاً على

إطار نافذة المطبخ ينتظر نقله إلى المكتبة. كانت قد شرّحت حويصلة بوم نظفتها وعقمتها بمفردها من كل أجزاءها الدقيقة التي تمكنت من استخراجها، ثم ألصقتها على بطاقات سوداء وثيقة ثمينة عما يأكله البوم في شهر حزيران في غابة سويسرية.»

إن كنت حقاً مفيدة له إلى هذا الحد، فلماذا لا...؟

وتوقفت أفكارها عند هذه النقطة كما كانت تفعل دائماً، وراحت تتنشق رائحة الجبنة اللذيذة التي تقطعها. ربما كان الجوع سبب أفكارها هذه.

فراحت تقول لنفسها، لقد كان عليك أن تقطعي هذه القطعة الطويلة وتشويها على الموقد في المزرعة وتاكليها هناك. لقد كانت سالي قد تعلمت باعجاب أن السويسريين العصريين، كانوا يضعون قطع الجبنة في مشاو فولاذية ويشوونها كهربائياً.

وهكذا، أخذت سالي شواية الجبنة إلى الغرفة الجديدة ووضعتها على طاولة المطبخ التي كانت قد اصرت على ابقائها هناك. وسنفعل نحن هذا المساء كما يفعل السويسريون، طعام سويسري في قلعة سويسرية.

غير أنها لم تجد مفراً من الاعتراف أن كيمب كان على صواب بشأن هذه الطاولة، فهي كانت تبدو في مكان غير مناسب تحت كوة نافذة فخمة تطل على أودية وجبال تسلب الألباب. وكانت خطوط الأفق الزرقاء، وقمم الجبال المتلبدة بالغيوم تظهر دائماً عبر زواياها القائمة وقواعدها القصيرة، والكراسي الصغيرة الموضوعة حولها.

www.rewity.com

لقد ضحك كيمب ساخراً عندما أحضر الطاولة والكراسي من المطبخ كما كانت قد طلبت منه هذا الصباح وهو يقول: «كجراء وأمها في قصر ملكي.»

كانت هي قد ردت بكبرياء: «ستخدمنا إلى أن نجد طاولة أفضل، فعلى الأقل، نستطيع التمتع بالمنظر ونحن نتناول العشاء، والاحتفال بانهاء هذه الغرفة.»

لم يعد كيمب بعد مع البريد، فذهبت تنتظره في غرفة المشغل، غير أنه لم يكن بامكانها الشعور بالراحة حتى وهي تجلس متقوقعة كما كانت تفعل الآن في كرسيه الضخم. لقد كان نظرها يتجه تلقائياً إلى النافذة، وكانت عندما تصحو من شرودها، تجد بصرها وقد اتجه إلى الساحة تحت الغرفة الحجرية، ثم ينطلق إلى الطريق المنقطة باشعة الشمس، والتي كانت تتعرج مبتعدة لتختفي عن النظر في الغابة الذهبية الخضراء.

قالت سالي لنفسها، أريده أن يعود، أريده أن يضج ويصخب من جديد، ثم أريده أن... ولكنها لم تستطع التعبير عما كانت تريد قوله. لقد كان يكفيها ما عانته وهي تحلم بذلك الشيء في نومها ويقظتها.

وها هو أخيراً، ها هو من بعيد يسير بجزمته الطويلة جداً، ويبدو تماماً كالشبح الناري الذي عرفته لأول مرة عندما آذت ركبتها، نعم، ومغرمة به أيضاً. وفقط عندما دخل إلى المشغل راحت تسأل نفسها، هل ذهب كيمب الذي عرفته إلى غير رجعة؟

رفع كيمب مغلفاً بنياً كبيراً من غير أن ينظر إليه وقال: «واحد لك.»

شكرته سالي ثم فتحت المغلف من غير أن تهتم بمحتوياته، لكن انشغالها الضئيل بهذا المغلف ساعدها في رفع نظرها عن

كيمب وهو يجلس على السرير وهو المقعد الوحيد المتاح، بطريقة رصينة متوترة.

كانت سالي قد عملت جهدها لتمويه استعمالات السرير الأساسية، فغطته بحرام ملون مخرم كانت قد جلبته من بيت المزرعة، ثم طوت اللحاف والوسائد ووضعتها إلى الحائط كمساند للظهر تستعمل عند الجلوس على السرير نهاراً، لكن كيمب لم يسترخ أبداً أو يرجع إلى الخلف ليتكيء عليها، بل ظل يعامل السرير كقنبلة قد تنفجر تحته في أي لحظة.

سألته سالي كما اعتادت غالباً أن تفعل: «ألا تريد الجلوس على هذا الكرسي، فانت ترتاح فيه أكثر.»

«كلا، لا أريد، لأنك عندما جلست البارحة هنا على السرير انتهى بك المطاف إلى التمدد بكامل طولك.»

«لقد خلعت حذائي أولاً.»

نظر كيمب إلى قدميها المنتعلتي صندالاً ذا كعبين عاليين، وتجمد قائلاً: «نعم، لكن، لقد... لقد... لقد طليت كما يبدو أظافر قدميك.»

مدت سالي رجليها الحافيتين أمامها لتثني على رؤوس أصابعها الناصعة البياض وقالت: «وهل هذه جريمة؟ لقد فعلت هذا الليلة الماضية عندما قررت أن ألبس وأتهندم ولو لمرة واحدة.»

«جميلة جداً.»

غير أنه لم يعد يكتفي بالنظر إلى قدميها، بل راح نظره ينتقل من إحدى ذراعيها السمراوين إلى الأخرى ثم إلى عنقها وبعد ذلك إلى خصرها، ثم يستقر في النهاية على تنورتها وينهي بصوت أجش: «لائق. ألا تريدين أن تقرئي رسالتك؟»

www.rewity.com

هزت رأسها، وفتحت المغلف لتجد معظم محتوياته صفحات من مجلة ملونة، كان غلافها يزدحم بالعناوين التي اجتنب أحدها انتباه سالي. «الحرب بين شركات السياحة.»

وانتقلت بعد ذلك إلى الصفحات الأخرى تاركة صورة الغلاف تسقط في حضنها.

سألها كيمب: «أليس ذلك والش ومساعدته السخيفة تارا؟»

«لم تعد مساعدته.» جذبت القصة انتباه سالي، فركزت على قراءة الصفحة الأولى من المقالة وتركت الأخرى تتدلى من بين أصابعها.

انحنى كيمب ليلتقطها وقال: «لنرى.»

ولكن سالي تصلبت وتوقفت عن القراءة، لأن احتكاك اصابعه بها كان يكفي لتخديرها.

وعلى الرغم من ذلك، لم يستطع أن يلاحظ! فها هو واقف على قدميه، مستغرق في قراءة الصفحة التي لم تبلغها بعد.

«ما هذا، بحق الجحيم.»

أخذت سالي نفساً طويلاً وقالت: «لا أعرف، غير أنني ربما أستطيع أن أخمن...»

ولكن كان عليها أن تتوقف لتستعيد السيطرة على نفسها، فهي لم تكن قد تمالكت نفسها تماماً، بل كانت تشعر كأنها كانت شمعاً يذوب تحت أشعة الشمس.

وعندما شعرت أنها في حالة أفضل، قالت وهي تحاول أخذ الصفحة من يده: «أعطني إياها، فأنا لم أبلغ هذه المرحلة بعد.»

هز كيمب الصفحة في وجهها وقال: «كأنك لا تعرفين ما بداخلها.» وراح يقرأ بصوت مرتفع: «ستمر دعاية الكينغفيشر بإدارة سالي بنيدكت من وكالة اللايملايت، التي أفرغت بلؤم

فنجاناً من القهوة على رأس مارك والش، مدير الشركة الذي يبدو أنه غفر لها ذلك.»

«دعني أرى!»

هبت واقفة، ثم قبضت على الأوراق، غير أنها كانت قد اقتربت منه كثيراً. غشيت عيناها وانقطعت أنفاسها، وتوقف تفكيرها في عالم من الطنين والذوبان والدوران الذي جرفها من جراء اقترابها منه.

وما لبث كيمب أن أضاف: «هذه فقرة عنك أيضاً.» ثم أشار إلى صورة لها مع مارك وقرأ التعليق عليها: «إنها تتمتع بعشاء فاخر، برغم الشائعات التي تقول إنها...» وتوقف كيمب مصدوماً، ثم تابع بنبرة استفهامية: «... عشيقة كيمب ويتيكر الجديدة...»

وكم كانت سالي تود لو يكون ذلك صحيحاً، لكن تصرفه كان يظهر واضحاً شعوره حول الموضوع، فهو لم يكن يريد أن يعرف، لم يكن بامكانه أن يشعر بشوقها، بل انتقل بسرعة إلى الصفحة التالية.

«أستطيع أن أفهم من هذه الصورة أنكما قد التقيتما في المطار عند مغادرتكما سويسرا.»

«كلا، لم نلتق عن قصد، لقد كانت مجرد دعابة من صديقه الأبله الذي دعا كلاً منا على حدة، وبشكل طارىء إلى مكتب الاستعلامات في المطار...» واضطرت سالي إلى التوقف إذ تذكرت نظرة مارك الجافة، وبقع القهوة على بدلته الفاتحة، كما تذكرت قهقهة بارنس وآلة التصوير التي كانت بيده، ثم أضافت: «لم يكن أي منا يعرف أنه كان سيأخذ صورة لنا.»

«وبرغم ذلك، استغليتماها استغلالاً حسناً.»

www.rewity.com

لم تصدق سالي ما سمعته، بل تلعثمت وتراجعت وهي تقول: «فعل ذلك؟»

ونكرها كيمب من بين اسنانه المنطبقة بقول مارك: «كل أنواع الدعاية هي دعاية جيدة.» وواصل القراءة: «... ومباشرة بعد حادثة سكب القهوة... الحادثة التي تظهر الحقد الذي هو في الحقيقة حب...» ثم تحركت عينا كيمب إلى أسفل الصفحة، فانفجر صارخاً: «الويل واللعنة.»

عندما رفعت سالي عنقها لترى سبب هذا الانفجار الجديد، رأت الصورة الماخوذة له موضوعة أمام صورة أخرى للقلعة وكأنه كان يقف أمامها. وأدركت سالي إذ ذاك، أن تارا قد زورت حملة دعائية لنفسها وباعتها لإثارة فضيحة. وكانت الصورة الأخيرة صورة مركبة تماماً لسالي ومارك خداً إلى خد، وذراعاهما العاريتان يلتفان حول عنقه، بينما جيدها يلتصق بسترته.

لقد كان النص يلمح إلى مثلث عاطفي، ويعد القراء بمعرفة تطوراته في فصل الصيد الخريفي عندما سيقوم زبائن شركة كوين فيشر... الخ...

مزق كيمب المقالة إلى اثنين ورمى بها إلى الأرضية بعنف قائلاً: «إذن، لقد كان هذا ما تقصدين أيتها المزدوجة العواطف اللعينة.»

راحت سالي ترتجف أمام غضبه وقالت: «لا يمكنك حقاً أن تعتقد أنني...»

دعاها كيمب باسم الفتح الذي كان يدعوها به مارك وهو يكاد يبصقه بصقاً: «لا تبرئي نفسك، فأنت لست ذكية بما فيه الكفاية لفعل ذلك يا سالي العزيزة. لقد رأيت الآن ما أنت عليه في الحقيقة.»

«هل فعلت؟»

أشار كيمب إلى الصفحات الممزقة على الأرض وقال: «هل نشر هذا المقال قبل الوقت الذي خططت له أن ينشر فيه؟ هل توقعت أن تتمكني من الهرب من هنا قبل أن يفشى سرك؟ ألهذا لم تستطيعي النظر إلى وجهي؟»

«إذن، فقد لاحظت...»

وتوقفت مبتلعة ريقها، كيف تستطيع أن تقول له السبب الحقيقي لخجلها؟ كيف تستطيع أن تقول له إنها كانت تريده أن يواقعها؟ ربما تستطيع بعض النساء أن يفعلن ذلك، لكنها لم تكن واحدة منهن، وبما أنها لم تكن قادرة على أن تقوله له الحقيقة، كان يفسر ارتباكها على أنه شعور بالذنب.

قبض كيمب على كتفيها وهو يقول: «هل تقاضيت من عملك هذا ترقية أيتها المحتالة الصغيرة؟ هل ستعودين لتصبحي محتالة كبرى مثل حبيبك؟»

«إنك تؤلمني.»

تلوت سالي من جهة إلى أخرى في قبضته القاسية، فتحررت منها، ولكنها لم تستطع تحمل انضباطه، فهزت رأسها محاولة أن تشيح بنظرها عن نظراته الصاعقة ومنع دموعها التي تجمعت خلف جفنيها المغمضين من السيلان. وفشلت في حبس دموعها فاحستها أخيراً تنسكب فياضة فوق خديها.

راحت اصبعه تمسح دموعها وهو كان ما يزال يحافظ على انضباطه وقال: «أنت ودموعك من جديد!»

شهقت بغضب مجيبة: «إنها لا تفيد ابداً.»

لكن إحدى يديه انسلت إلى مؤخرة عنقها بينما راحت اليد الأخرى تداعب خدها إلى أن استقرت تحت ذقنها فرفعته إليه يقول لها: «أنا لم أقل ذلك. افتحي عينيك.»

www.rewity.com

أطاعته فوراً، محاولة بكل جهدها أن تلاقي نظرته القاسية التي تحولت إلى نظرة عميقة مظلمة آسرة.

«لقد كنت أعتقد ذلك، إن البكاء يجعل عينيك بلون الغابة بعد المطر.»

عانقها وشعرت بنفسها ترتفع بين النجوم.

«أتمنى فقط لو لم تكوني جميلة إلى هذا الحد.»

ثم اخذها بين ذراعيه وحملها إلى السرير.

ظلت في مكانها تصغي إلى انسياب الماء في الحمام، وفي نفسها حقد عليه، غير أنه عاد، ومشى إلى السرير، ثم رفعها بين ذراعيه، فتساءلت: إن كان كل شيء سيسير كما كانت تشتهي. وخاب أملها عندما أنزل قدميها إلى الأرض وظل يسمرها إلى جانبه بذراع واحدة، ثم شد الحرام الصوفي من على السرير ولفها به.

هكذا انتهى كل شيء، فبعد أن لفها حتى ذقنها، حمل اللحاف المطوي واستعمله كغطاء له، ثم تراجع ليجلس على الكرسي في الطرف الآخر من الغرفة تاركاً إياها تغرق في السرير. مغطاة بالصوف، ولكن تعيسة ووحيدة.

سمعت سالي صوتها يخرج من حلقها مكتوماً بعيداً وكانما من خلف جدران من رصاص ليقول: «أكان هذا كل شيء؟ ماذا لو حملت منك!»

اجابها: «ماذا! أفهم أنك لم تكوني تتناولين حبوب منع الحمل عندما التقينا لأول مرة، ولكن، إنك تتناولينها الآن حتماً.»

«بالطبع لا، ولماذا أفعل؟»

كشر في وجهها، فحجبت وضعيته الهرمية المغطاة باللحاف وسمعته يقول: «لا أصدق أنك تريدين طفلاً صغيراً يحمل اسم

والش. فان كنت تخططين لادعاء الحمل منه لكي يتزوجك، فكري ثانية، إن ذلك الطفل ليس له.»

استقامت جالسة بغضب، غير عابئة إن كان الغطاء قد سقط عنها أم لا، وقالت: «لا أصدق أنني أسمع ذلك! هل حقاً ما زلت تفكر بأنني...»

لكن قدمه خرجت من تحت اللحاف ليحرك بها المقالة الممزقة ويقول: «لست في حاجة لاستنتاج أي شيء، فكل شيء موجود على هذه الصفحات.»

وإذ لم تكن تستطيع أن تهدأ من شدة الغضب، نفضت عنها الدثار وخرّت على الأرض باحثة بين الأوراق الممزقة حتى حصلت على صورتها مع مارك، ثم رفعتها إليه قائلة: «ما تفكر به ليس صحيحاً، أترى هذه؟»

لكنه أدار رأسه وقال: «لقد رأيت ما فيه الكفاية.»

«انظر إليها وإلاّ سوف...»

ولكن، ماذا كان بامكانها أن تفعل، لقد اعتراها شعور عارم باليأس وهي وحيدة مع رجل احبته وأحبها، لكنه ها هو الآن اضطرها لأن تركع على ركبتيها وهي ترى حلمها يتحول إلى كابوس.

«بحق السماء، لا تحاولي يا امرأة.»

وضعت سالي ذراعها أمام عينيها وكانها تحمي نفسها وهي ما تزال ممسكة بأوراق المجلة وقالت: «إنني لا أحاول، وإن كنت أفعل، فذلك من شأني.»

وشق صوته المهتاج الظلام السابح خلف جفنيها وهو يقول: «على هذه الحالة، هذا من شأنك على التأكيد! وأصبحت تعرفين كيف تجعلني حالتك هذه...» وتوقف قليلاً، فشعرت بأن الصورة

www.rewity.com

تنتزع من يدها، ثم سمعته يضيف: «هاتيها برغم أنني لا أعتقد أنها ستثبت شيئاً...»

أنزلت ذراعها لتنظر إليه في شوق والبكاء يحتبس في حلقها وقالت: «لقد أخذوا هذه الصورة في آذار الماضي عندما بدأنا حملتنا الدعائية لمسحوق سيلك. هل تعتقد أنه كان بإمكاني أن أدعه يقترب مني بعد أن تعرفت إليك؟»

رمقها بنظرة شملتها من وجهها الدامع حتى جسدها قبل أن تثبت عيناه في مكان فوق كتفها اليسرى ويقول: «لا أعرف كيف أفكر، إنني لا أستطيع أن أفكر بشيء الآن.»

وثبت سالي على قدميها لتشير إلى الفستان الذي كانت ترتديه في الصورة وقالت: «لكنك يجب أن تفكر. ألا تعرف هذا الفستان؟ إنه الفستان الذي مزقته ليلة حفلة ميلاد الطبيبة اليز.»

نظر كيمب إلى الحرير الأحمر وقال: «هل أصلحته؟»

وردت عليه: «إنه في خزانة مناقض الغبار في المزرعة.»

«أو ربما أحضرت واحداً مثله.»

«تتكلم وكأنني حقاً فعلت! هل أرتدي أي شيء كهذا هذه الأيام؟»

نظر كيمب إلى الفستان الصيفي المحتشم المرمي على الأرض مع الأغطية والأوراق الممزقة، ثم اعترف قائلاً: «كلا، لكن، ماذا عن العشاء الحميم؟ هل هو صورة قديمة أخرى؟»

«إنها صورة من المرة الوحيدة التي خرجت معه فيها.»

جاء رده بطيئاً حزيناً كمن تخلص من أفكار قديمة متهورة واستعاض عنها بأفكار أخرى، فقال: «الآن فهمت. من الذي لفق كل ذلك إن لم تكوني أنت؟»

«إنها تارا بالطبع، فهذه هي نتيجة المنافسة بين شركتها وشركة مارك، لقد قالت إنها ستحطمه.»

«أولهذا أرسلت لك كل هذا؟»

اجتازت سالي الغرفة إلى الأريكة غير عابئة بتنفسه المتسارع، وأحضرت المغلف لتريه العلامه البريدية لمنطقة ديفون وتقول له: «إن تارا لم ترسل لي شيئاً، فهذه الرسالة من والدتي. انظر، إنها...»

حدق كيمب بصرامة إلى المغلف جاهداً ألا يقوم بأي حركة قد تضعها في نطاق نظره وقال: «إنها معنونة بواسطة الكومبيوتر.»

انحنت سالي لتلتقط الرسالة المطبوعة، والتي كانت بالقرب من قدميه، فسحب قدميه فوراً داخل اللحاف الذي كان يغطيها بينما كانت تقول: «لدينا كومبيوتر في المزرعة، ووالدتي تستعمله كثيراً. أولم تلاحظ ذلك؟» ثم راحت تقرأ الرسالة بسرعة وقالت: «لقد اعتقدت ذلك، تقول والدتي أن شخصاً من القرية أعطاها هذه الأوراق، وسألها عن صحة الأخبار المنشورة فيها.»

أخذ الرسالة بارتباك من يدها وقال: «دعيني أرى. يا إلهي.» ثم أعاد الرسالة إليها من جديد وقال: «أود أن أعتذر، غير أنني أعتقد أن اعتذاري لا يكفي، مما يحزنني كثيراً.»

تقبلت منه الرسالة ووضعتها في المغلف قائلة: «لا شيء محزناً فيك يا كيمب ويتيكر برغم أنك كريه في بعض الأحيان.»

وجاء رده بصوت حزين منسحق: «مثلما تصرفت الآن...»

«لقد تفوهت بأشياء قاسية...»

«لن أسامح نفسي مطلقاً. هل تستطيعين أن تغفري لي؟»

www.rewity.com
عيون

«ولكن، ما هو أسوأ من كل هذا، هو تركك إياي في اللحظة التي كنت في أمس الحاجة فيها إليك.»

«لقد كان ذلك مقصوداً، كنت أعتقد أ... أعني... لقد كنت أريد أن...»

غير أنه توقف مغمضاً عينيه شبه إغماضة وموسعاً فتحتي أنفه، ثم تابع بيأس من بين أسنانه قائلاً: «اسدي لي خدمة يا سالي، غطي نفسك بشيء غير هذا.» واستعاد شيئاً من قوته بينما كانت تغطي نفسها بفستانها، فقال: «إن هذا ليس أفضل.»

«ليس أفضل!»

توقفت سالي غاضبة مندهشة خلف فستانها عندما رأت يده تنطلق وكأنما لتقبض على الفستان، لكنها انكفأت قبل أن تصل إليه واستقرت مرة أخرى على ذراع الكرسي، وقال لها بصوت أجش خرج من قعر حنجرته: «هل رأيت، إن كنت ستبدئين بارتداء هذا، فاشك أنني سأدعك تنهين ارتداءه.»

نظرت سالي إلى نفسها ثم إليه وقالت: «أتعني أننا برغم ما قمنا به الآن، ما تزال...»

«أرجوك، لا تقفي هنا يا امرأة.» واندفع ملقياً اللحاف جانباً، وانطلق مجتازاً إياها فأحضر الدثار وغطاها به مرة ثانية وقال: «والآن، ابتعدي عني.»

غير أنها ظلت في مكانها مغمضة عينيها شبه اغماضة عندما نظرت إليه، فسألت: «هل أنت دائماً هكذا؟»

«بالطبع لا، فقط منذ أن التقيتك.»

«وماذا عنك وتارا؟»

«إنه ليس من شأنك.»

www.rewity.com
عيون المها

«قل لي وإلاّ...»

توقفت مفكرة في إيجاد تهديد جاد، ثم مسكت أطراف الدثار وقالت بابتسامة بطيئة: «قل لي وإلاّ رفعت هذا عني...»

قاطعها مسرعاً: «اجلسي اذاً، لن أقول كلمة أخرى قبل أن تصبحي في مكان لا أستطيع فيه أن أصلك.»

أطاعته سائلة: «لماذا ذهبت معها في الحفلة؟»

«لأنني لا أستطيع أن أكون مهذباً مع والش.»

«غير أنك تركتني...»

«كنت أظن أن ذلك ما كنت تريدينه. أوهل نسيت كم كنت مصممة على الاحتفاظ بذلك العمل التعيس؟»

«نعم، لقد كنت.»

راحت سالي تتعجب من عماها القديم، ثم تابعت: «ولكن، لا تستطيع الهائي عن موضوع تارا بهذه السهولة، يا كيمب ويتيكر. قل لي عن المرة التي خذلتها فيها.»

«أوتعرفين عن ذلك أيضاً؟»

«أولم تكن تعجبك أبداً؟ ولا حتى قليلاً؟»

واعترف كيمب غاضباً: «آه، بالطبع. نعم، قليلاً، إلى حد جعلني أ... إنني على أي حال رجل كأي رجل آخر، لكنها كانت...»

وتوقفت قليلاً وهو يهز كتفيه السمراوين وأضاف: «... كانت بديلة عن سالي، برغم أنني لا أتصرف مع النساء بهذه الطريقة، وأتوقع ألاّ تصدقيني الآن.»

ردت سالي ممازحة وهي تشعر بنبضها يتسارع: «بديلة عن ســ... سالي! يا لك من متلاعب بالكلام.»

راح كيمب ينقر على الكرسي وقال: «بعد شهرين من الامتناع

حاولت فيهما أن أظهر أنه كان بإمكاني ضبط نفسي كأي شخص آخر...»

«إذن، هل كانت هذه مشكلتك؟»

رفع عينيه إلى عينيها وقال: «مشكلة بل كان قتلاً، ولم أستمر في ذلك إلاّ لأثبت أنك لست في صدد الزواج من مهووس هائج صاخب.»

جلست سالي منتصبة في الدثار وسألت: «في صدد ماذا؟»

«أما الآن، فقد فشلت وأقمت علاقة معك، لن...»

غير أن سالي قاطعته مندهشة من الطريقة التي كان يفكر بها في ما حصل وقالت: «ماذا فعلت؟ لقد كنت أعتقد أنني أ... أرحتك قليلاً.»

«لم تكوني معي. هل كنت، لم أكن أقصد أن تتفاعلي معي.»

«ولكنك عانقتني.»

وهمس كمن لم يكن يصدق حظه: «هل ستقبلين بي برغم كل ما حصل؟»

«امتحني.»

www.rewity.com

«أحمق. هل من العجب أن تقرقع معدتي بعد كل هذه التمارين التي قمنا بها اليوم؟» ثم دفعته بعيداً عنها لتتمكن من الوقوف وأضافت: «لقد تأخرنا كثيراً على العشاء.»

قهقهت.

وتابعها كيمب بنظراته بينما كانت ترتدي فستانها قائلاً: «آه، نعم العشاء. كنت أريد أن أتكلم معك بشأن ذلك.»

«قل على الفور. هل لديك أي مشكلة إن ارتديت هذا الآن؟»

قام بإحضار قميصه وارتدائه قائلاً: «لا مانع إن كان ذلك

مؤقتاً فقط لأنه علينا أن نكون محتشمين عندما ننزل إلى بيت المزرعة.»

مهدت بيدها بعض التجاعيد في قميصه سائلة: «وهل سنقيم هناك؟»

أنهى ارتداء قميصه، ثم ارتدى سرواله وقال: «إلى أن نهيىء مكاناً لنا هنا، أو لفترة أطول إن كنت ترغبين. انتبهي فأنا بحاجة إلى بقاء ثيابي علي.»

وأطاعت، فتركته وذهبت إلى الأريكة حيث انتعلت صندالها وهي تقول: «بالتأكيد يجب أن تبقى مرتدياً ثيابك، ويجب علينا أن نأكل.»

جلس كيمب على السرير قبالتها وقال: «نعم، يجب أن نأكل. اسمعي يا سالي، لقد تركت السيدة هيوبر حلة في الفرن، في بيت المزرعة.»

نظرت سالي إليه موبخة وهي لم تكن قد أنهت ربط صندالها بعد ثم قالت: «ماذا يا كيمب ويتيكر؟ ألن نأكل أبداً في الغرفة الجديدة؟»

«ليس قبل أن تتلاشى رائحة الطلاء.»

«وماذا عن جبنتي المشوية؟»

انحنى كيمب إلى الأمام ليشعرها بأهمية ما كان سيقول: «إننا سنأكل جبنتك كتسلية اليوم، ولكن بعد ساعات من العمل في الغابة من غير أن يأكل المرء سوى بعض الرقائق...»

أكملت سالي عنه قائلة: «المتعددة الأنواع، ثم قامت لتجلس إلى جانبه، وتضع ذراعيها حول عنقه وتدفن أصابعها في شعره، وتستشعر خده الخشن يلامس خدها وقالت: «ها هي معدتك جاءت إذن.»

ضمها إليه وقبل إذنها قائلاً: «إن الرجل يحتاج إلى أكثر من مجرد جبنة مذابة، عليك أن تتذكري ذلك جيداً يا سالي بنيدكت الموشكة أن تصبح سالي ويتيكر. هل سامحتني؟»

«بشرط واحد.»

«سمّيه.»

«أن تتقدم لطلبي رسمياً. ماذا تفعل؟»

وشعرت بنفسها تقذف في الهواء لتستقر على الأريكة فأضافت: «من غير المعقول أن تستمر برمي السيدات كما تفعل، كيمب ويتيكر.»

خرّ على ركبتيه عند قدميها وقال: «ليس كل السيدات، فقط أنت. فقط أنت يا عزيزتي... انتظري، إنك تقطعين تسلسل أفكاري.»

عاد إلى وضعيته السابقة، ثم جثا على ركبة واحدة وقال وظهره مستقيماً واللطف والحنان يتطايران من عينيه: «أحبك يا سالي بنيدكت، هل تقبلين بي زوجاً؟»

تمت